

● العدد الثانى - أبريل ١٩٩٠ م - رمضان ١٤١٠ هـ الثمن جنيه واحد ●



دعوة للاضراب العام ضد الفتنة الطائفية

• • •

النيابة والحاكم العسكرى فى قفص الاتهام

• • •

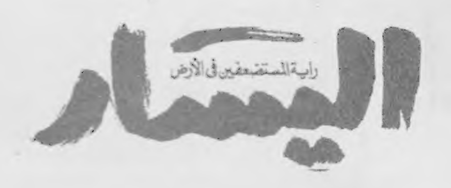
عصر تحريم الحلال

هل انحطت أخلاق المصريين ؟

عادل إمام يدعو للعنف!



اليسار
يا حضرة الباشا..
ياحضرة الباشا.. فاكر لما سحرتك
ودمعى تحت القمر بالليل مسح حارتك
وقلت لك : خلى قطفه لك .. وقطفه لى
وربنا يخلى أطفالك.. وأطفالى
ولاكنت بتصلى ياباشا.. ولابتصوم
غير كل حبه على السبحه تقول: مخصوم
وكنت ياباشا مابتسمعشى بالعربى
فؤاد حداد



ديمقراطية * عقلانية * اشتراكية

رئيس التحرير:

حسين عبد الرازق

المشرف الفنى:

محمد راشد

المستشارون:

ابراهيم بدراوى
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
د. عبد العظيم أنيس
د. فؤاد مرسى
محمود أمين العالم

الادارة والتحرير

٣ ميدان الملكة زبيدة
شقة ٣ - مدينة الطلبة
إمبابة - جيزة - ج . م . ع
تليفون : ٣٤٤٧٩٤٠
فاكسيميلى ٣٤٤٢٠١٣

هذا العدد

عبد الله صالح



طه حسين



مطبوعة لها رائحة فى زمن بلا طعم!

فى هذا العدد ، زاوية جديدة عنوانها «شمال يمين» [ص ٤٠] خصصناها لنشر آراء أصدقاء «اليسار» وقرائها، ولحوارهم مع مانتنشره من موضوعات، وما نثيره من قضايا..

ومعظم ماتلقيناه من رسائل، لم يكن يعلق على موضوع بذاته، بل كان يتعلق بـ «اليسار» كمطبوعة، من كل النواحى، من الهنط الى اللغة، ومن اللهجه ، الى الاسم..

وما نشرناه منها هو جزء قليل من فيض من الرسائل الشفهية والمكتوبة التى تتالت، تؤيد وتبارك ، وتشجع وتساند، أو تنقد وتندد، وتشتم وتهدد..

وقد أخضعنا كل ماتلقيناه منها لفحص دقيق ، واستفدنا من كل رأى سمعناه سواء كان مبعثه الرضى، أو كان مصدره الغضب..

ولأننا نعيش فى زمن تتالت فيه المطبوعات التى لالون لها ولاطعم ولارائحة، فقد اعتبرنا الإهتمام بصدور هذه المطبوعة وتناقض الرؤى حولها من قمة الغضب، الى قمة الرضى، دليلاً على أننا واضحون الى درجة الاختلاف الحدى.

ومعنى هذا أننا أعدنا الاعتبار الى صحافة الموقف فى عصر توشك فيه صحافة الهبرجه والتهريج، والعيون المسبلة، وأقلام الروج ، أن تقضى على ماتبقى للناس من وعى بمصالحهم الحقيقية..

وحتى لا يلتبس الأمر على أحد، فهذه المجله، لاتعبر عن تيار بعينه، أو عن حلقه بذاتها وليست لسان حال حزب، أو فرقه ، ولكنها منبر يصدر عن حزب التجمع لكل الراغبين فى تغيير الاوضاع القائمة، وكل الذين يطمحون الى وطن اكثر تحرراً ، واكثر عدلاً وأرفع مكانه

إنها مطبوعة لها لون وطعم ورائحة، فى زمن بلاطعم ولا لون ولا رائحة، زمن استوى فيه الظل والحرور، والنور والديجور

«المحرر»

اليسار: تصدر فى اليوم الأول من كل شهر

AL -YASSR- 3 MIDAN EL MALEKA ZOBAIDA- IMBABA- GUIZA- A.R.E

الاشتراكات: لمدة سنة واحدة مصر: ١٢ جنيها للافراد- ٣٠ جنيها للهيئات
الوطن العربى: ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها
العالم: ١٠٠ دولار أمريكى أو مايعادلها
ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حواله بريدية الى ادارة المجلة




مبارك


عادل أمام

صراعات الحزب الوطنى حول مجلس الشعب

تشهد دوائر الحكم فى المرحلة الحالية معركة صامتة حول حل المجلس الشعب.

يرى بعض مستشارى الرئيس ضرورة حل المجلس دون انتظار صدو الحكم المتوقع من المحكمة الدستورية العليا بعدم دستورية بعض مواد قانون الانتخابات، على أن يصدر الرئيس مرسوما بقانون جديد للانتخابات يضعه عدد من الخبراء والقانونيين القادرين على ضمان عدم تناقضه مع أى من مواد الدستور..



المحجوب الشاذلى

ويعارض د. رفعت المحجوب وعدد آخر من المستشارين هذا الاتجاه والذى كان الرئيس مقتنعا به. وتقوم المعارضة على اساس أن حل المجلس قبل أو بعد صدور الحكم، وهو المجلس الذى قام بترشيح الرئيس مبارك لولايته الثانية، يحمل شبهة الطعن فى مشروعية هذا الترشيح. وأن الأفضل أن يتم تعديل القانون على ضوء حكم المحكمة الدستورية العليا بعد صدوره، مع استكمال المجلس الحالى لمدته (٥ سنوات) أى حتى عام ١٩٩٢.

ويشير بعض مستشارى الرئيس إلى أن المجلس الذى سيتم انتخابه، سواء عام ١٩٩٢ أو هذا العام، هو الذى سيتحمل مسئولية ترشيح الرئيس لولاية ثالثة فى عام ١٩٩٢، وبالتالى فلابد من ضمانات قوية لوجود أكثر من ثلثى الأعضاء المؤيدين لترشيح الرئيس.

على هامش هذه المعركة - التى ينتظر حسمها خلال هذا الشهر لصالح إتخاذ قرار الحل، تدور معركة ثانية داخل الحزب الحاكم حول نظام الانتخاب. فبعد أن كان الأمر مستقرا على أساس إجراء انتخابات مجلس الشعب بالمقاعد الفردية، بدأت بعض قيادات جهاز الحزب الوطنى تطرح فكرة التمسك بنظام معدل للقوائم النسبية، يرضى جزئيا أحزاب المعارضة، دون أن يسمح بالتمثيل النسبى الكامل.

يخشى الجهاز الحزبى أن يلجأ الحكم فى حالة إقرار النظام الفردى فى الانتخابات الى اختيار مرشحين للحزب من خارج الجهاز الحزبى، على أساس النفوذ العائلى والقدرة المالية.

مظاهرة حاشدة ضد السياسة الأمريكية فى السلفادور

واشنطن خاص باليسار: خرجت فى العاشرة صباح السبت ٢٤ مارس مظاهرة ضخمه ضمت مايقرب من عشرة آلاف مواطن أمريكى أغلبهم من الطلاب والشباب فى الذكرى العاشرة لاغتيال القس السلفادورى روميرو. رفع المتظاهرون شعار: لتخرج أمريكا من أمريكا الوسطى، ولا «سنت» دعم لحكومة السلفادور وتحيا جبهة «فاراباندو مارتى» التى تقود الكفاح المسلح ضد حكومة السلفادور.



بوش

حمل المتظاهرون صور الرئيس بوش وقد كتب عليها «مطلوب للعدالة» وأخرى لجمجمة، ووزعت آلاف المنشورات التى تطالب بالسلام الآن فى أمريكا الوسطى ووقف المساعدات للكونترا وخروج واشنطن ومخابراتها من تلك المناطق. كان المتظاهرون يصيحون لماذا تهتمون بليتوانيا وأنتم غارقون لآذانكم فى أمريكا الوسطى.

سارت المظاهرة من أمام مبنى الكونجرس الى البيت الابيض وشاركت فى تنظيم المظاهرة ثلاثون منظمة بينها، اتحادات الطلاب ولجان التضامن مع شعوب أمريكا الوسطى، ولجان دينية واسلامية. وبدأت المظاهرة بصلاة على روح القس «روميرو» الذى شارك فى الكفاح ضد الديكتاتوريه فى السلفادور

وكانت أهم التعليقات التى كتبت عن المظاهرة انها تحدد اهتمام الشباب الأمريكى بالسياسة والعمل النضالى، بعد أن كان اليمين الأمريكى يظن أن تلك ظاهرة خاصة بمرحلة الستينات دون رجعة حين انخرط الشباب بمئات الالاف فى العمل ضد حرب فيتنام وقامت السلطات الامريكية بالقاء القبض على عدد من المواطنين لأنهم خرجوا على الخط المرسوم للمظاهرة.

يهمسون

** أن هناك حركة تغيرات فى رؤساء مجالس ادارات وتحرير الصحف القومية المصرية سيتم الاعلان عنها فى اعقاب عيد الفطر مباشرة. وأن الحركة ستكون واسعه وشامله.

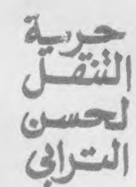
** أن عدم مصاحبة رؤساء تحرير الصحف المصرية للرئيس مبارك فى زيارته الأخيرة الى ناميبيا تعود الى تقارير رفعت للرئيس، بالتضخم الشديد فى ميزانية بدلات السفر، بينما تعانى المؤسسات الصحفية الحكومية من تراكم الديون، وتطالب الدولة ب ٥٥ مليون جنيه لدعم خسائرها.

** أن الدكتور منصور خالد المتحدث الرسمى باسم الحركة الشعبية لتحرير السودان، فى أوروبا، قد نقل مقره من لندن الى جنيف سبب النقل هو كثافة نشاط الجبهة الاسلامية القومية السودانية فى المقر القديم.

نميرى يوزع العطور

زار السويس خلال الفترة السابقة عدّة مرات الرئيس السودانى المخلوع «جعفر نميرى» وذلك للإتفاق مع أحد رجال الأعمال المعروفين بالسويس لإنشاء شركة لتوزيع المواد العطرية وإعدادها للتصدير أقام «نميرى» بفندق البحر الاحمر وتناول الغذاء مع عدد من رجال الأعمال وقابل عددا من المسئولين التنفيذيين بالمحافظة





قام د. حسن الترابى زعيم الجبهة الأسلامية القوميه فى السودان بزيارة مؤخرا إلى كل من لندن وليبيا وايران وجنيف. وفى العاصمة الليبية طرابلس شارك الترابى فى أعمال الدورة الحالية لمجلس أمناء جمعية الدعوة الأسلامية العالميه وتعد هذه الزيارات هى الأولى من نوعها منذ الإفراج عن الترابى فى فبراير الماضى. ويعد الترابى هو الزعيم السودانى الوحيد الذى يسمح له بحرية الحركة.

القطاع العام يشترى الخاص بقروض حكومية



يوسف والى

قررت اللجنة المشكلة برئاسة «د. يوسف والى» لتنفيذ البرنامج الحكومى لتصفية القطاع العام وتحويلة الى قطاع خاص طرح شركات ومشاريع مملوكه للدولة للبيع للقطاع العام تبلغ قيمتها ٤٠٠٠ مليون جنيه مصرى وجميع الشركات المعروضة للبيع من الشركات الناجحة التى حققت ارباحا ضخمة ولها علاقات مباشرة بحياة المواطنين. وتسهيلاً لاستيلاء القطاع الخاص على هذه الشركات، طلب «د. عاطف صدقى» رئيس الوزراء من البنوك المصرية. منح قروض للأفراد والشركات ليتمكنوا من شراء الشركات المعروضة للبيع دون إرهاقهم ماليا، وحتى تنجح سياسة الحكومة فى تحقيق أهدافها، وكذلك إعفاؤهم من بعض الضرائب وقد حددت لجنة «التخصيص» المشكلة برئاسة نائب رئيس الوزراء «د. والى» وعضوية وزراء السياحة، والكهرباء والطاقة، والتأمينات، وقيادات القطاع الخاص الشركات المعروضة للبيع، وتشمل:

– المشاريع المملوكه للحكم المحلى

– محافظ الأوراق المالية وأسهم البنوك فى المشاريع المشتركة.

– كافة المشاريع الزراعية التى تملكها وزارة الزراعة، وتقدر مساحتها بنصف مليون فدان.

– المشاريع الصغيرة المعروفة باسم الأسر المنتجة والتى تملكها وزارة الشئون الاجتماعية.

– عددا من مشاريع الطاقة والكهرباء، ليشارك القطاع الخاص للمرة الاولى فى مصر فى قطاع توزيع الكهرباء والطاقة.

تعويض أمريكى

أصدرت محكمة الإسماعيلية للأمور المستعجلة حكما بوقف قرار فصل أحد العاملين بشركة «دينى إنترناشونال الأمريكية»، وإلزام الشركة بصرف حقوق العامل كاملة. وكانت الشركة قد فصلت ١٦ عاملا مصريا. وقامت بنقل مسئولة العلاقات العامة وحولتها إلى سكرتيره بالمخازن بعد تقديها شكوى الى «كيمن روبانى» مدير الشركة الامريكى. اهتمت السفارة الأمريكية بالسؤال عن المخالفات الجارية بالشركة

حيث تقوم الشركة بتنفيذ عملية تطوير قاعدة أبو صوير الحربية وفق المنحة الأمريكية المعروفة باسم «مشروع السلام- فيكتوريا» ويشرف على التنفيذ هيئه «ديل بردتن» ممثلة لوزارة الدفاع والطيران الأمريكى المعروفة باسم«الكور».

القصة الحقيقية لخلاف الحكومة مع المنظمة

مصادر مصرية رسمية أوضحت أن الحملة الصحفية الحادة ضد منظمة التحرير الفلسطينية فى الصحف الحكومية، جاءت كرد فعل لتأزم العلاقات بين الحكومة المصرية وقيادة المنظمة. وقد بدأت الأزمة عقب حادث الأوتوبيس السياحى الاسرائيلى فى طريق الاسماعلية، وتحميل الحكومة المصرية الفورى مسئولية الحادث للفلسطينيين، رغم عدم وجود أية أدله ترجح هذا الاتهام، وهو ما أثبته التحقيق بعد ذلك.

وتصاعدت الأزمة نتيجة لرفض «ياسر عرفات» الاستجابة لطلب الرئيس مبارك تفويضه فى إعلان أسماء الوفد الفلسطينى فى المباحثات، وتعهد عرفات بأن لايعلن أى من أعضاء الوفد أو من قيادات المنظمة فى أية مرحلة من المباحثات وجود أى صلة بين الوفد والمنظمة. وقد ألح الرئيس مبارك على عرفات أن يقبل هذه الشروط، وقال له إختر أنت الوفد كاملا ولكن لاتعلن ذلك ودع لى اعلان الأسماء، وبهذا نزيل حجج شامير

ساندت الحكومة الأمريكية جهود «مبارك» لإقناع «عرفات» بهذا الطلب. وتم إبلاغه فى تونس بضرورة الاستجابة لاقتراح الرئيس مبارك قيادة المنظمة أجمعت على استحالة تفويض الرئيس «مبارك» أو أى مسئول عربى آخر فى تسمية الوفد الفلسطينى، وضرورة أن يكون الوفد معبرا عن منظمة التحرير الفلسطينية، وبدون ذلك لايكون هناك أى معنى للمحادثات الفلسطينية الاسرائيلية فى القاهرة.

يتوقع المراقبون فى القاهرة أن تجرى محاولات لعبور هذه الأزمة خلال فترة توقف الاتصالات المصرية الأمريكية الاسرائيلية نتيجة للأزمة الوزارية فى إسرائيل.

القاهرة تسلم فلسطينيين!!

ترددت أنباء فى فلسطين المحتلة على أن السلطات المصرية سلمت عددا من الفلسطينين المطاردين إلى السلطات الإسرائيلية. كان هؤلاء الفلسطينيون قد تركوا قطاع غزه الى القاهرة فا احتجزتهم سلطات الأمن المصرية وسلمتهم لاسرائيل. وقد عرف منهم منير جميل السندى (٢٣ عاما) و نبيل الطهراوى (١٩ عاما) و محمد ابو لمعى (٢٣ عاما) و صلاح الأخدى (٢١ عاما) و شهاب عبد الدايم (١٩)



الفتنة الطائفية بين عنف الحاكم وارهاب

أحداث «الفتنة الطائفية فى المنيا (المدينة والمحافظة) والتى امتدت الى بعض القرى، ليست «حادثة مؤسفة» مرت وانتهى أمرها. فالأسباب التى أدت اليها، وزادتها اشتعالا، مازالت قائمة تفعل فعلها فى المنيا وغيرها من محافظات الصعيد بصفة خاصة وفى المجتمع المصرى بصورة عامة.

لقد بدأت هذه الأحداث الغريبة فى ٢٨ فبراير ١٩٩٠ بمدينة المنيا بمظاهرة طلابية وصلت الى حى الحسين التجارى بوسط المدينة، بعد أن وزعت مايسمى بالجماعة الاسلامية (وهى تجمع لمجموعة من تنظيمات العنف السياسى المتشحه بأردية دينية إسلامية، مثل الجهاد، وجماعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) منشورات متوالية بعناوين مثل «مستعمرة صليبية»، «إمسحوا العار يامسلمين».. تروج للأكاذيب وتدعو بوضوح للفتنة الطائفية بين مسلمى واقباط مصر.

وتصاعدت الأحداث.. وانتشرت.. وأسفرت عن تحطيم أكثر من ٥٠ محل تجارى مملوكه لمصريين مسيحيين، وأكثر من ٢٥ سيارة مملوكة أيضا لمصريين مسيحيين، وعدد من عيادات أطباء مسيحيين!!.. بالاضافة لإلقاء كرات مشتعلة على المنازل والاعتداء على الكنائس وبعض المؤسسات العامه المملوكه للدولة.

- والغريب أن الدولة والاعلام الحكومى والحزب، وقفوا فترة طويلة صامتين وحاولوا أن يفرضوا ستارا من الكتمان على الكارثة، لولا أن بادرت صحيفة الاهالى وحزب التجمع بوضع الحقائق أمام الرأى العام.. وبعدها بدأت الدولة تتحرك ومعها الاعلام الحكومى، بالأساليب التقليدية البالية.

وإذا حاولنا أن نضع أيدينا على الأسباب والجذور الحقيقية للمشكلة، فسنواجه حقيقة أساسية ، هى مسئولية الحكم والحزب الوطنى عن هذه الجريمة.

إننا لا نضيف جديدا لايعلمه الرأى العام، عندما نقول إن الرئيس السابق «أنور السادات» هو الذى رعى هذه الجماعات «الاسلامية» المتطرفة وهيأ لها فرص النمو والازدهار والانتشار وممارسة الارهاب السياسى والاجتماعى والدينى، ضد المجتمع ككل وبصفة خاصة أقباط مصر.

وقد اتخذ هذا الدعم اتجاهين..

الاول الدعم المادى المباشر، والسكوت عن تحركاتهم فى الجامعات، ومدهم بالاسلحة فى بداية السبعينات، ومساندتهم بكافة الوسائل..

الثانى اللعب على المشاعر الدينية للناس وإذكاء التعصب واستخدام الدين فى السياسة، واللجوء الى سلاح التكفير ضد الخصوم والمعارضين السياسيين والتحريض على قتلهم.. وكلها أساليب بدأها السادات واوغل فيها، ومازال كثير منها متواصلا حتى الآن.

لقد بدأ الحكم هذه السياسة مع مطلع السبعينات فى محاولة للتصدى لليسار فى الجامعات وفى المصانع وفى المجتمع ككل. ورغم الثمن الذى دفعه بعد ذلك، عندما تحولت قوى الاسلام السياسى المتطرفة ضده ، فمازالت اللعبة مستمرة بشكل أو آخر .

وقد اعترف «اللواء حسن أبو باشا» فى شجاعة، (وكان مديرا لمباحث أمن الدولة) فى عهد السادات بهذه الحقيقة، عندما قال إن السادات **«ساعد هذه التيارات على الظهور مرة أخرى بهدف إحداث نوع من التوازن أمام القوى السياسية الأخرى فى المجتمع خاصة التيارات اليسارية. ثم تطورت هذه الاتجاهات الدينية فى عصره وتفرعت عنها بعد ذلك جماعات أخذت طريق العنف والارهاب حتى وصلت إليه هو نفسه..»**





الجماعات

وبعد أغتيال السادات وأحداث أكتوبر ١٩٨١ وتولى الرئيس حسنى مبارك للسلطة ، وبالتالى وقوع المواجهة بين الحكم وجماعات الاسلام السياسى التى تعتنق العنف، قدم الحكم مبررا آخر لنمو هذه التيارات، بلجوئه الى خرق الدستور والقانون وممارسة العنف ضد كل من يشك فى انتمائه لتيار الاسلام السياسى، وذلك باعتماده للتعذيب فى السجون والمعتقلات أسلوبا للتعامل معهم ومع المعارضين السياسيين عامة. فقد أدى التعذيب وشيوعه وبشاعته الى دفع أجيال جديدة للتطرف، والى إثارة العطف على هذه الجماعات، مما أخفى ارهابها وجرائمها.

يضاف الى ذلك ظاهرة غاية فى الغرابة. فقد قبل جهاز الأمن فى المنيا، فى محاولة لوقف العنف المتبادل مع هذه الجماعات، أن تقوم بعضها بدور التحرى والتحقيق فيما تزعمه من وجود جرائم تمس الأخلاق والأدب العام، وتسلمه المتهمين ليقدمهم الى جهات القضاء. أى تنازلت الشرطة عن مهمتها وعملت كجهاز تابع لهذه الجماعات، مما أكسبها سطوة فى المجتمع ونفوذا وأدى الى تصاعد الأحداث على هذا النحو الخطر.

ولم تكن أجهزة الحكم وحدها فى الميدان. فالحزب الوطنى بحكم تكوينه كجهاز لأصحاب المصالح إعتمد فى المنيا ومحافظات الصعيد على قوى قديمة قبلية ودينية (مسلمين ومسيحيين) والمستغلين والمفسدين من الطفيليين وكبار الموظفين فى الحكم المحلى، ولعب هؤلاء دورا فى إذكاء التعصب والانقسام فى المجتمع ..

وتتحمل أجهزة الاعلام خاصة الاذاعة والتليفزيون وتوجهاتها التى تشيع فى النهاية التعصب الدينى دورا أساسيا فيما جرى ويجرى.

ولكن تظل الحقيقة الاساسية والجوهرية ترتبط بالخيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للحكم ، والتى ومازالت الأرضية لكل الظواهر السلبية فى المجتمع.

فسياسة الانفتاح الاقتصادى والتى أدت الى الأزمة الاقتصادية والاجتماعية الطاحنة التى نعيشها، خاصة ارتفاع الأسعار، والبطالة ، والتمايز الاجتماعى الحاد بين أصحاب الملايين ، ومن يكدحون ليجدوا لقمة العيش بالكاد، وشيوع الاستهلاك الترفى ، واختلال سلم القيم الاجتماعية، والاحباط الشديد بين قطاعات واسعة فى المجتمع، وافتقاد المثل العليا والقيم .. كل هذا وغيره كان القاعدة الاساسية للتعصب والعنف الذى اتخذ فى ظل العوامل السابقة طابع التعصب الدينى والعنف الطائفى.

وليس صدفة أن الأحداث وقعت فى مناطق كثافة سكانية مسيحية (نسبية) من المهنيين والتجار (بورجوازية مسيحية) تثير غيرة التجار والمهنيين المسلمين فى ظروف الكساد العام. وأن الذين شاركوا - تحت ادعاء الاسلام - فى الاعتداء على المتاجر وبيوت المسيحيين، طلاب مدارس وعاطلون، وفئات من المجتمع محبطة محرومة من الخدمات وتعانى من آثار الانفتاح.

فاذا أضفنا الى هذا كله أن الاوضاع السياسية، واصرار الحزب الحاكم على احتكار الثروة والسلطة بالتزوير والعنف . وبالتالى فقدان الناس - تدريجيا - لأى أمل فى التغيير عن طريق صندوق الانتخابات .. فإن انتشار العنف يصبح أمرا مفهوما

فالدولة التى تزور الانتخابات، وتنتهك الدستور، وترفض تنفيذ أحكام القضاء، وتمارس التعذيب فى السجون وأقسام الشرطة ، وتكذب على الرأى العام.. أى تمارس العنف والارهاب ، فلا بد أن تخلق إرهابا وعنفا مضادين

والسؤال الأن .. هل نقبل السقوط بين العنف الحكومى ، وعنف وارهاب هذه الجماعات.

وهل نسكت على تفتيت مصر وتقسيمها

نعتقد أن الجواب من الغالبية العظمى للناس ولقواها السياسية والاجتماعية .. لا .. وألف لا..

ومرة أخرى .. نقول إن نقطة البداية لوقف كل هذا وتغيره ، هو إقامة ديمقراطية صحيحة وشاملة .

فهل نوحد جهودنا من أجل فتح هذا الطريق.

اليسار

الانفتاحيون ينشرون أخلاقهم



مانشتات الثمانينات:

مدير أمن رئاسة الجمهورية ورئيس اتحاد العمال السابق ومحافظ الجيزة السابق يقدمون للمحاكمة بتهمه تكوين ثروة عن طريق الكسب غير المشروع. ثلاثة من ضباط الشرطة يغتصبون فتاة عربية. رجل أعمال يمثل أمام النيابة متهما بتسهيل دعارة إبنته. ابن يقتل والدته بالرصاص أثناء سفر والده للكويت. نائب سابق يضبط فى عصابة لترويج الدولارات المزورة. سيدة تمزق جسد زوجها وتطعمه للكلاب الضالة. موظف بالداخلية يعلن أن كل أختام الدولة فى جيبه. سقوط عصابة الشرقاوى لتجميع مدخرات المصريين بالخليج. اغتصاب فتاه بعد خطفها فى المنيل. نقيب شرطة مدمن يقتل تاجرا للعملة ويستولى على أمواله. محاكمة زوج يساعد زوجته على ممارسة الدعارة.



. مواطن يستغل نوم شقيقه ويذبحه ليحصل على الشقة. عصابة من أطباء ومأذونى المنوفية لتزويج الأطفال. ١٣ مليون جنية ثروة طارئة لنائب فى الحزب الوطنى.

طالبة بالثانوى تتزوج رجلين فى وقت واحد. مواطن يقتل طفليه ويشوه جثتيهما انتقاما من مطلقته. موظف برتبه كبيرة يسرق مليون جنيه لشم الهيروين. أربعة من كبار موظفى الأوقاف يساعدون مقاولا على الأستيلاء على شقق الوزارة. ١١ طالبا جامعيا يكونون عصابة للسرقة بالأكراه. أب يقتل إبنه الرضيع عقابا على تبوله. عصابة من حسناوات جامعيات تسرق محلات الفنادق الكبرى. أب يشعل النار فى زوجته وأطفاله لعجزه عن تدبير المصروفات المدرسية. إختفاء مليونير بعد استيلائه على ٤ مليون جنيه من البنوك بضمانات وهميه.

.. المنشور أعلاه عينه طبق الأصل من مانشتات أبواب الجريمه فى الصحف المصرية، خلال السنوات الخمس الماضية، والشيء الذى نرصده ونسلط عليه الضوء هو أن كل الأشياء قد انقلبت، وكل الأوضاع قد تغيرت، وأن كثيرا من القيم المستقرة لم تعد كذلك، وأن أخلاق الناس قد أصابها كثير من الخلل من بين شواهده: قسوة وعنف واغتصاب ورشاوى وفسادو سرقات وقتل وأختطاف وتزوير.. أبناء يقتلون أباءهم وزوجات يذبحن أزواجهن أمام أطفالهن وضباط شرطه يعتدون على الفتيات ويشتركون فى عصابات لتهريب المخدرات.. وموظفون عموميون يستغلون مراقعهم الأدارية للاثراء. وطالبات فى الجامعة ينتظمن فى شبكات للدعارة. وجماعات ترتدى العمامة وتطلق اللحى ولاتفارق المسبحة يدها، مهمتها النصب على المصريين.. أبناء يطردون أباءهم فى الصراع على المسكن. مراهقون يشمون الكوكايين. آباء ينظمون عمليات غش جماعى لأبنائهم فى أمتحانات شهادة عامة.

غش فى كل شيء، فى الأسعار وفى الكيل وفى الميزان وفى العواطف وفى المبادىء وفى صلة الدم. الفاظ غريبة تجتاح حياتنا من نوع: «مشى حالك».. «مادقش».. «قوام.. قوام».. «قب» «المعلوم».. «فقتى.. فقتى».. «تسليك».. «شوف مصلحتك»... مصطلحات تغير قيمه كل شيء حتى النقد. فالجنيهات الخمسة أصبحت «شلنا» والعشرة «بريزه» والمائة أستك»، أما الألف فهو «باكو». عالم يتكلم «بالأفيال» وهو

ويوهمون الناس أنها أخلاق الشعب

الحصول على المال هو الذى يحدد مكانة الفرد وليس مهما من أين جاء

«المليون» ويصفه الشاعر «أحمد فؤاد نجم» بأنه.. عالم بياكل فى عالم جعان.

فى كل مكان يضرب المصريون كفا بكف وهم يؤكدون أن الناس لم تعد ناسا، وأن الدنيا لم تعد دنيا، وأن أخلاق الناس قد تدهورت، وأصابها كثير من الأنحدار. فما الذى جرى لأخلاق المصريين؟ وهل تغيرت مجموعة القيم الخلقيه الأنسانيه التى تميز الشعب المصرى تغيرا سلبيا؟

القيم.. والأوضاع الأقتصادية والإجتماعية

كان من الطبيعى أن يكون سؤالنا الأول حول ما الذى يعنيه مصطلح القيم الخلقية؟

الدكتور سمير نعيم رئيس قسم الأجتماع بجامعة عين شمس يقول:

- تتشكل أنساق القيم كنتاج لواقع إجتماعى اقتصادى فى فترة تاريخية معنية، وتتغير هذه القيم بتغير الظروف بفعل الدور الايجابى الذى تلعبه الشعوب فى مقاومة كافة الوان الأستغلال.

ويضيف د. نعيم أنه من الأمور المسلم بها أن سلوكنا فى مجالات النشاط فى حياتنا الأجتماعية توجهه قيم معينة. والقيمة هى حكم عقلى أو انفعالى على أشياء مادية أو معنويه، يوجه اختياراتنا بين بدائل السلوك فى المواقف المختلفه. فالأمانه مثلا قيمه توجهنا عندما نواجه موقفا ما، وليكن وجود ممتلكات للغير تحت تصرفنا، ويكون علينا أن نختار بين الأستيلاء عليها أى اختلاسها- وفى ذلك مخالفه لقيمه الأمانه- أو الحفاظ عليها لصالح صاحبها- وفى ذلك تمسك بقيمه الأمانه.

القيمه إذن هى التى تحدد لنا نوع السلوك المرغوب فى موقف ما توجد فيه عدة بدائل سلوكيه. وتنتظم القيم مع بعضها فى نظام قيمى بحيث تمثل كل قيمه فى هذا النظام عنصرا من عناصره. وعلى قدر مايوجد من تعدد فى مجالات الحياه والسلوك، يوجد تعدد فى نظم القيم الموجهة لسلوك الفرد. وعلى هذا يمكننا القول أن لدى كل فرد نظاما للقيم السياسية ونظاما للقيم الأقتصادية نظاما وللقيم الجماليه ونظاما للقيم الأسرية، وتنتظم هذه النظم القيميه مع بعضها البعض فى نظام كلى للقيم. ومن الأمور المسلم بها أيضا أن القيم تكتسب من خلال عملية التطبيع الأجتماعى للفرد منذ مولده ومن خلال تفاعله مع الأخرين.

تأثير الطبقه السائدة

سألت الدكتور عبد البسط عبد المعطى استاذ علم الاجتماع بجامعة عين شمس

. هل هناك منظومة من القيم الأخلاقيه الأيجابيه التى يتميز بها شعب من الشعوب وتحدد ما يسمى بشخصيته القومية بحيث إذا حدث خلل بها يمكن أن يكون ذلك مؤشرا خطيرا؟ يجيب د. عبد الباسط:

- هناك مجموعة من الثوابت النسبيه المشتركة بين المجتمعات الأنسانيه، جاءت نتيجة للعلاقات بين تلك المجتمعات والطبيعة بصفة عامة، واتصالات تلك المجتمعات ببعضها بصفه خاصة، ومثل هذه الثوابت النسبية تعبر عن القيم العامة كالأمانة والخير وقيم الجمال وهى مايسميها بعض الفلاسفة بالقيم المطلقه. وبرغم أنها تبدو مطلقه، الا أنها فى المجتمع المحدد تتأثر بتطوره الأقتصادى والأجتماعى. فنجدها فى كل مرحلة تأخذ دلالات جديدة مختلفة عن المراحل السابقة، وإعادة ترتيب هذه القيم يكاد يتمايز بين شعب وآخر.

وإذا أخذنا قيمة الكرم، لانستطيع القول بأنها خاصة بمجتمع انسانى معين، لأنها وجدت فى مجتمعات كثيرة، وإن كانت تأخذ بعض المضامين الخاصة فى بعض مراحل التطور. فقيمة الكرم بدت فى المجتمع الريفى المصرى أكثر تدفقا حين كان الأقتصاد الزراعى هو المسيطر، لأن الجهد الأنسانى كان يتفاعل مع أبعاد أخرى بعضها ملحوظ مثل البيئة الطبيعية والأرض والماء، وبعضها غيبى لم يكن يدركه الفلاح. فإذا نظرنا لهذه القيمة الآن لانستطيع أن نقول أنها اختفت إنما امتزجت بها أهداف أخرى. فالريف يغدق الكرم على القادم الغريب إلى القرية إذا كان يحمل خيرا ويقلل منه إذا كان يضمر شرا، وهو ما يعنى أن هناك بعدا واقعيا عمليا فى هذه القيمة ارتبط بمجمل أوضاع الفلاح المصرى ومعاناته من الغريب القادم إلى القرية.

ويضيف «د. سمير نعيم» بعدا آخر لما سبق فيقول.

- أننا لانستطيع أن نتحدث بوجه عام عن قيم المجتمع المصرى، أو عن نسق عام واحد للقيم فى هذا المجتمع فى أى فتره من فترات تاريخه، لكننا نستطيع أن نتحدث عن أنساق القيم التى توجد لدى كل طبقه من طبقاته والتى تنتج أنساقا مختلفه من القيم، وبرغم أنها تتصف بالثبات النسبى الا أنها تتغير بالضرورة مع تغير الظروف الأجتماعية التى يعيش فيها الناس، وبعد أن يتم تشكيلها تكتسب القدرة على الاستمرار والبقاء والانتقال من جيل لأخر وتكتسب بذلك قوة توجيه سلوك الأفراد.

ويلفت د. سمير نعيم النظر إلى أنه فى أى تكوين إجتماعى إقتصادى لاتعيش الطبقات الاجتماعية منعزلة عن بعضها البعض بل تؤثر كل منها فى الأخرى، وعلى ذلك فإن الأنساق القيمية لكل طبقة لابد أن تحتوى على عناصر من الأنساق القيميه للطبقات الأخرى. لكن الطبقه المسيطرة إقتصاديا وبالتالى أجتماعيا وسياسيا تكون لها القدرة على نشر قيمها بين غيرها من الطبقات، من خلال سيطرتها على وسائل الأنتاج وعلى مختلف الأدوات المؤثره على الوعى مثل المؤسسات التربويه والأذاعة والتليفزيون والسينما والصحافة ودور النشر بل حتى دور العبادة. وتدرك الطبقات المسيطرة خطورة القيم، وتعلم أنها هى الموجه لسلوك الناس، ولذلك تعمل جاهدة على بث قيمها بين الجماهير تدعيما للنظام القائم وحفاظا على مصالحها. وتتفنن الطبقه المسيطرة فى إيهام الطبقات الأخرى، بأن هذه القيم ليست قيمها فحسب لكنها قيم المجتمع بوجه عام، وبأن الحفاظ عليها من مصلحة المجتمع بأسره وبأن الخروج عليها ضار بالمجتمع ويستحق العقاب وهذا هو ما يطلق عليه إصطلاح تزييف الوعى.

ويؤكد د. سمير نعيم أن أنساق القيم تعكس طبيعة العلاقات الأنتاجية وتكون نتاجا لها وتتغير بتغيرها من جهه وتساعد على أو تعوق هذا التغير من جهه أخرى، هذا فضلا عن أنها تضم

عناصر قيمية ذات طابع قومى عام ومشترك بين جميع الطبقات، تنتقل من جيل لآخر، وتتسم بقدر أكبر من الثبات. ويرجع ذلك إلى الظروف التاريخية للمجتمع التى تميزه عن غيره من المجتمعات وإلى التفاعل الدائم بين جميع أفراده وخاصة فى الدفاع عن إستقلال وحرية المجتمع الذى ينتمون إليه. وعلى الرغم من أن وجود مثل هذه القيم القوميه المشتركة بين كل الناس أيا كانت انتماءاتهم الطبقية لايلغى الفروق الجوهرية فى الأنساق القيميه للطبقات الاجتماعية، فإنه يكون مسؤلا عن ذلك القدر من التشابه القيمى فى المجتمع الذى يميزه عن غيره من المجتمعات.

الفساد المالى والادارى

والسؤال الآن ما هى مظاهر الخلل الأساسيه التى أصابت القيم الخلقيه للمصريين خلال العقدين الماضيين؟

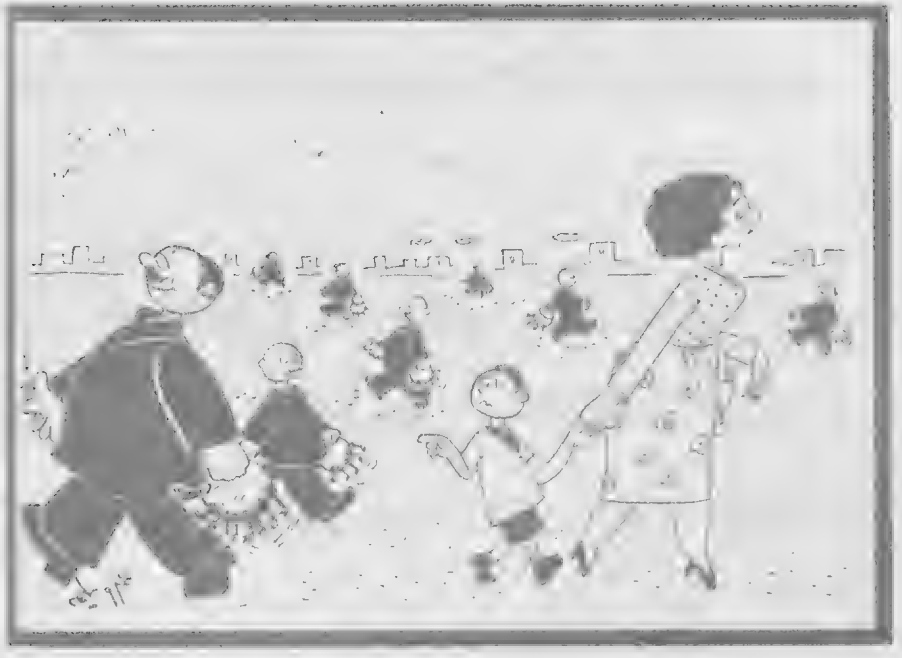
يكشف تقرير الأمن العام الصادر فى عام ١٩٨٩ عن زيادة فى عدد بعض أنماط الجرائم ذات العلاقة بالقيم الخلقية، وهى من الجرائم التى كانت غريبه وقليله، مثل جرائم هتك العرض التى كان عدد ما أبلغ منها عام ١٩٧٣ هو ١٣١ أرتفع إلى ٢٠٠ جريمه عام ٨٧ بزيادة تصل إلى ٥٠ ٪ مرة واحدة. كما ارتفع عدد جنايات السرقة قبل الأخذ بسياسة الأنفتاح من ٢٤٣ جريمه عام ١٩٧٣ إلى ٣٢٢ عام ١٩٨٨ بزيادة أكثر من ٣٠ ٪. وتضاعفت جنايات الحريق العمد حوالى ثلاث مرات. خلال ١٥ عام منذ عام ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٨٨. أما التزوير فى أوراق وأختام رسميه فقد أرتفع عدد جرائمها من ٦١ إلى ٢٠٥ فى نفس الفترة بزيادة حوالى ثلاثه أضعاف. أما تزوير الأوراق الماليه والبنكنوت فقد تصاعد من ٤ حالات عام ٧٣ إلى ٥٦ حالة عام ٨٨ أى ١٤ ضعفا بواقع مرة كل عام خلال ١٥ عاما. كما شهدت جرائم الجنح زيادة بنسبة ٧ ٪ بين عامى ٨٧ و٨٨، وهى جرائم التعامل اليومى التى تمارس بعيدا عن الأحتراف. وخلال نفس العامين ارتفعت جرائم الأحداث بنسبه ٧ ٪ كما زادت حالات الأنتحار بنسبه ١٣ ٪ وأشار تقرير الأمن العام إلى تزايد جرائم الجنايات بين العاطلين من الرجال والنساء، وإلى تزايد جرائم الأنتحار بالمخدرات حيث أرتفعت إلى ١٠٥٥٩ قضية فى عام ٨٨ بينما كانت ٨٩٥ قضية فى عام ١٩٨٧. كما أشار التقرير أيضا إلى ارتفاع قضايا التموين فى العامين المذكورين بنسبه ١٢ ٪ وإلى تزايد عدد جرائم الحرائق بإهمال فى المنشآت العامة حيث بلغت قيمة الخسائر أكثر من ١٨ مليون جنية خلال عام ٨٨.

وإذا لاحظنا أن جرائم الأغتصاب والسرقه والحريق العمد والتزوير من الجرائم المرتبطه بدرجه أو بأخرى بالفساد المالى والأدارى والأجتماعى، لكانت هذه الأرقام بالغة الدلالة على ما أصاب أخلاق المصريين من تشوهات. فمن المعروف أن أحصاءات الجنايات تتعرض لما تم الأبلاغ عنه ولاتطول الجرائم التى لاتصل إلى علم السلطات، ويعنى هذا أن هذه الأرقام هى أقل بكثير من الحقيقه. فضلا عن وجود أشكال من الجرائم لاتعتبر بالمعنى القانونى جريمة، وإن كانت كذلك بالعرف والتقليد الأجتماعى، فأعداد كثيره من الجرائم تقننت وأصبحت عرفا اجتماعيا كالرشوه، التى لم يعد يتم ضبط العمليات العظمى منها أما عملياتها الوسطى و الصغيره فقد أصبحت تقليدا مقبولا.

د. على فهمى المستشار بالمركز القومى للبحوث الاجتماعيه والجنائيه يرصد عددا آخر من مظاهر هذا الخلل فيقول:

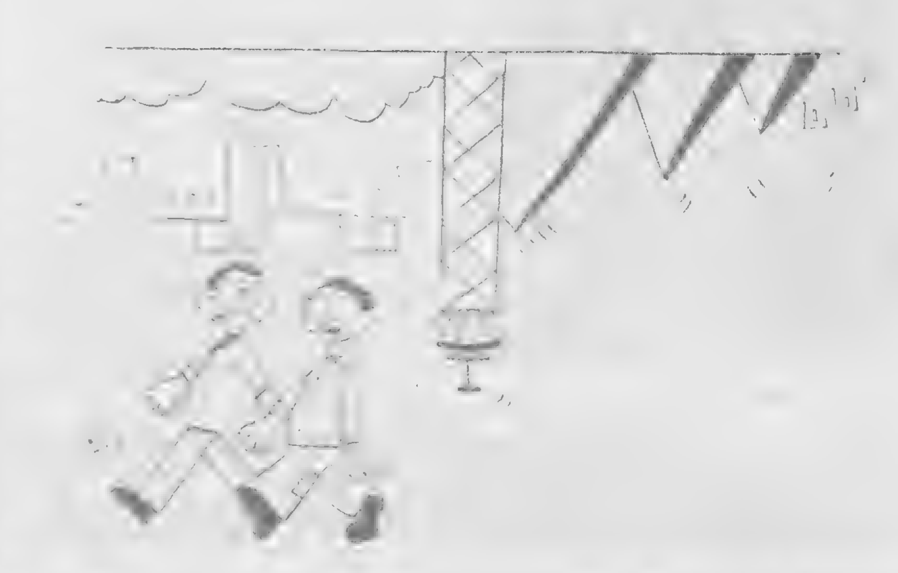
– فى عقد الستينات كان السؤال المحورى الذى يمكن طرحه على أى شخص هو ماذا تعمل وماذا تنتج، فى حين أصبح السؤال المحورى فى عقدى السبعينات والثمانينات هو كم تكسب بصرف النظر عن وسيلة الكسب هل هى مشروعة أم غير مشروعة؟ أخلاقيه أم غير أخلاقيه. وساد فى العقدين قانون عام مؤداه أكبر ربح ممكن بأقل جهد أو بدون جهد على الأطلاق ونتج عن ذلك ميل وأضح للأستهلاك الترفى الشكلى والسفيه الذى يعكس أحساسا عميقا بعدم بذل أى جهد فى الحصول على المال. فأنتشرت ظاهرة إقامة الأفراح فى الفنادق الكبرى وتكالب غير عاقل لتملك الوحدات السكنية لمنحها للأبناء حين يكبرون بما يساهم فى أزمة الأسكان القائمة والسعار الذى انتشر لتغطيه البيوت بورق الحائط والموكيت ملاءمة برغم عدم ملاحقة ذلك للأجواء المصرية.

وارتبط بهذا الشره الأستهلاكى انحطاط فى القيم الجماليه، ففى مربع وسط القاهرة تحولت ١٢



لا ياحبيبى.. مش هوه ده بابا.. بابا سلسلة مفاتيحه أكبر حبتين..!!





– حاجة غريبة.. الواحد مش عارف إيه اللي حصل اليومين دول ف البلد..!



شباب يتعاطى الكوكايين

دارا لبيع الكتب و٧ دور لبيع الزهور إلى محلات لبيع الأخذية

ويضيف د. علي فهمي أن مظاهر الخلل الخلقي قد امتدت لتشمل الجامعة التي هي منبر وقوة للأجيال القادمة، وتشهد مجالس التأديب في الجامعات المصرية حالات كثيرة لمؤلفات لبعض أساتذة الجامعات منقوله بالكامل من كتب مات مؤلفها أو من كتب أجنبية.

• كما انتشرت في الجامعة ظاهرة قيام بعض الأساتذة بكتابه رسائل جامعيه للطلبه المصريين الأثرياء والطلبه الخليجيين مقابل مبالغ نقدية باهظة.

ويضيف د. علي فهمي أنه في ظل تدني الدخول من السياحة ومن العمالة المهاجرة، وفي ظل الهجرة المعاكسة لهذه العمالة، فإن سلم القيم لدى المصريين يميل إلى الأنحدار الدائم. فالجريمة المقترنه بالعنف كالسرقة والخطف والأغتصاب والتي تطول حتى صلات الرحم في تزايد مضطرد. وفي حدود الأرقام المتاحة، فقد وصل عدد المدخنين إلى ٣ مليون معظمهم من الشباب والشابات.

• إذا كان العامل الأقتصادي سببا لتنامي هذه الظاهرة فما هو تفسيرك لدخول الفئات القادرة لميدان الجريمة؟

– في ظل سياسة الأنفتاح إتسعت دائرة الجرائم الأقتصادية، كالرشوة والنصب والأحتيال والفساد الوظيفي والتربح والأثراء بلاسبب، ولأن هذه الصور من الجريمة تحتاج إلى مستوى ذكاء مرتفع وإلى درجه من التعلم والثقافة، فإن أعدادا متناميه من الشرائح الأجتماعية الأعلى التي كانت بمنأى عن السلوك الأجرامي الصريح أصبحت تدخل يوميا دوائر الجريمة مدفوعه بالشره المادي، والطموحات المادية غير المشروعة، ومطمئنة بسبب الفساد والتسيب أن العقاب القانوني لن يطولها.

الثروة.. القيمة الوحيدة

الدكتورة ناهد رمزي الخبيره في علم النفس في المركز القومي للبحوث الأجتماعية توافق على أن خللا كبيرا أصاب سلم القيم في مصر في العقدين الماضيين وتدلل على ذلك بأن المحك الرئيسي لقيم الناس أصبح هو الثروة التي حلت محل التقدير العالي للخبره والمهارة ، و بعد أن كان التعليم قيمة إجتماعيه مرتفعه، وكان الناس ينظرون بتقدير عال لحامل الشهادة العليا أو المثقف، تدهورت قيمه التعلم والثقافة الآن لأنها لم تعد مصدرا لعائد نقدي مرتفع. وتساعد على أعلاء قيمه الثروة على ماعداها من القيم مختلف المؤسسات التعليميه والأعلاميه والثقافيه السائدة عبر برامج اعلانات التليفزيون ومسلسلاته وأخلاقه ونجومه الرائجه.

وعندما مايصبح المال هو القيمه العليا فمن الطبيعي أن تشيع روح الأنانية والفرديه في السلوك اليومي في مختلف المجالات وأن يتعرض الأنتماء الوطني والقومي للخطر، فيفتقد الناس الثقه في كل ماهو وطني ويصبح الجري وراء كل ماهو أجنبي هدفا. فالدولار أقيم من العملة الوطنيه والمدارس الأجنبية أرقى من التعليم المحلي والألتحاق بالجامعة الأمريكية يفتح أبواب العمل والثراء أسرع من الألتحاق بالجامعات المصرية، ومعرفة اللغات الأجنبية مجال للفخر والجهل باللغة العربية ليس عيبا.. الخ

ويتفق د. إبراهيم العيسوي أستاذ الأقتصاد والخبير بمعهد التخطيط القومي مع الدكتورة ناهد رمزي على أن أخطر ما أصاب الكيان الأجتماعي في العقدين الماضيين هو غلبه الحلول الفرديه للمشكلات بعد أن عجز المجتمع عن توفير الحلول الجماعيه لها الأمر الذي تنزوي فيه مشاعر الأنتماء الأجتماعي ويصاب الكيان الأجتماعي بالتفكك والعنف. ويرصد الأمثلة على ذلك بالساكن الذي لاتصل المياه إلى شقته فيركب موتورا وتتكاثر الموتورات خاصة في العمارات الكبيره وتتكاثر معها النزاعات والضغائن بين السكان الذين كانوا متآلفين من قبل ويتحول الأمر إلى حرب لا غالب فيها ولامغلوب تستهلك فيها مقادير من الطاقة الكهربائيه دون جدوى

ويضيف د. العيسوي أن الأمر يسير على نفس المنوال في أمور أخرى كثيرة لعل التعليم من أهمها فبعد ماعجزت المدارس العامة عن استيعاب التلاميذ تحول الناس إلى المدارس الخاصة وبعدما أكتظت المدارس الخاصة وتدهورت أحوالها التجأ الناس إلى الدروس الخصوصيه، ثم تحولوا إلى المدارس الخاصة الأنفتاحيه. ولأن الحل الفردي يفترض توفر القدرة المالية فهو ميسر للقله لا

هل انحطت أخلاق المصريين؟

للكثره، أما من لايمتلك المقدرة الماليه فليس أمامه من سبيل سوى هجرة وطنه وأهله بحثا عن الرزق فى البلاد العربية الأوفرحظا وسعيا لامتلاك المقدرة الماليه للدخول فى دائرة الحول الفرديه

• سألت د. إبراهيم العيسوى وما هى النتائج الأجتماعية المترتبه على عجز المصريين عن التوصل لحلول لمشاكلهم من الداخل أو العجز عن الهجرة للخارج؟

– ليس أمامهم الا أحد سبيلين، فإما القناعة بما هم فيه والصبر عليه إلى أن يكشف الله الغمة ويزيل الكرب، وأما الضجر والسخط على المجتمع الذى لم يعد مجتمعا ولانسحاب منه إلى مجتمعات إصطناعيه صغيره مثلما فعلت بعض الجماعات الأسلاميه كالتكفير والهجرة، أو الى مجتمعات معنويه قائمة على التدين والاختفاء وراء الحجاب والأخلاق المدعى، وغير ذلك من صور الأفراط فى التمسك بالرموز الدينيه، تبرئه للنفس من الفساد المحيط بها وإراحة للضمير مثلما يفعل جمهور الجماعات الأسلاميه ويشير د. إبراهيم العيسوى إلى التشوه الذى أصاب «فكرة النجاح» بحيث أصبح لاصله لها بالعمل المنتج أو الأستقامة ونظافة اليد وراحة الضمير.. فالنجاح أصبح مرتبطا بالغنى وبأنماط السلوك الترفى التى ييسرها دونما إهتمام بوسلية الغنى، والشطارة يمكن أن تأخذ صورا عديده منها التمويه على موظف الجمرك للأفلات من دفع الرسوم الجمركيه عند بوابه بور سعيد أو فى الموانى والمطارات، ومنها تفادى الوقوف فى طابور الجمعيه وما إليها من الطوابير أو التحايل للتقدم فى الطابور، دونما نظر لما يقع بالأخرين من ضرر، ومنها المقدرة على الزوغان من العمل.

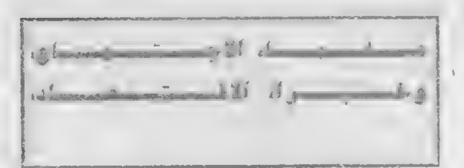
والأخطر من هذا أن تلك الممارسات قد أصبحت مادة للزهو والتفاخر، بل أن من لايتصرف بهذه الكيفية يوصف بأنه «خايب» أو «حنبلى» أو محبكها حبتين. ويؤكد د. إبراهيم العيسوى أنه بعد قلب المفاهيم المستقرة رأسا على عقب فليس من المستغرب أن يتمزق الشباب ويغترب عن وطنه بالفكر والجسد وتنصرف الكثرة عن المشاركة السياسية وتنصرف القلة إلى الفكر المتطرف وتعود المرأة إلى الحجاب وتشتعل الفتن الطائفيه وينفجر العنف المضاد.

الحلال.. والحرام

• هل تلعب الظروف الثقافيه والأجتماعية والسياسية دورا فى إبراز القيم السلبيه على حساب القيم الأيجابية؟

الدكتورة لطيفة الزيات الأديبة والناقدة والأستاذه الجامعيه تقول:

– نعم بالقطع .ففى عقد الستينات كان ظهور مسرحيه جديدة أو روايه جديدة بل أغنيه جديدة حدثا يثير الجدل فى البيوت والمقاهى والنوادى والتجمعات، آنذاك كان لنا وجدان جماعى مشترك ولغة جماعيه مشتركة. وجدان نابع من الأنتماء ولغة نابعة من أطر القيم الأخلاقيه والسلوكيه المستقرة فى أعماق معظم الناس.. كانت لنا حركات أدبيه وفنيه وثقافية وفكرية وعلميه ولدت





د. ليلى عبد الوهاب

اختفت الفروق بين البطولة والخيانة والشرف والعار

فى اعقاب ثورة ١٩١٩ وأمتدت على تنوعات مختلفه حتى أواخر الستينات

وفى العقدين الماضيين انفرط العقد المنظوم وغابت الأرضيه المشتركة.. ذلك أن اللغة المشتركة المستمدة من نظام القيم المتصالح عليه هى التى ترسم الحدود الفاصلة بين الخيانه والولاء والشر والخير والحلال والحرام والعار والشرف والرذيله والفضليه والخطأ والصواب والفشل والنجاح والتافه والجليل والقبيح والجميل والمستنكر والمستحسن

وتضيف د. لطيفه أن غيبه الأرض المشتركة قد ارتبطت بوصول الطبقات الطفيليه إلى الحكم وبالقيم الأخلاقية والسلوكيه التى أرستها، وبالأعلام الدعائى المركز الذى هز مقومات الشخصية المصرية وهويتها، بهدف إعلاء قيم هذه الطبقات وتثبيت أقدامها وتمرير سياساتها.

وصاحب خروج الطبقات الطفيليه إلى حيز الوجود إنقلاب مذهل فى سلم القيم، فالانماط السلوكيه والقيم الأستهلاكيه الرخيصه، والقيم الفرديه تسود وتعلو ما عداها وشعارها «أنا ومن بعدى الطوفان» ونظام القيم الموروثه والمكتسبه من خلال الوحدة النضاليه للشعب بزوى ويتفتت ويصبح لدينا بدلا من نظام واحد للقيم، مئات الأنظمه تترواح بين النقيضين الزائف والأصيل ولا أحد يجمع على ما هو زائف وما هو أصيل والمواطن المصرى المطحون المعزول لم يعد يعرف الحدود الفاصلة بين الحلال والحرام وبين الشرف والعار والصواب والخطأ فهل الرشوه حلال أم حرام.. وماهو معنى النجاح فى مجتمعنا وفى أى إطار من أطر القيمه يندرج النجاح، وطالب الجامعة قد أصبح يعتقد أن الغش حق من حقوقه، ويثور على من يحرمه هذا الحق.

الأنفتاح.. الأنفتاح..

أشار تقرير عام أعدته احدى الهيئات الرسمية وهى مجلس الشورى عام ١٩٨٧ حول تنميه الأنسان المصرى إلى ملامح الشخصية المصرية فقال أن من بينها اهتزاز هيبه السلطه لديها، وسعيها لتحقيق مصالحها الفرديه فى اخفاء واظهار الولاء للمجتمع فى العلن وأصابتها بالأحباط لأخفاء الدولة الحقائق عنها وانعدام احساسها بالمشاركة لكثرة



د. علي فهمي



النهب الذى تعرض له المال العام. و أوضح التقرير أن أحدى السلبيات الخطيره فى الشخصية المصرية هى إهتزاز القيم كتخطى أصول اللياقه والألتجاء إلى الوسائل غير السليمة لتحقيق الأهداف كالأختلاس والتزوير والغش، ثم النظر إلى تلك التصرفات كأنها عاديه أو بإعتبارها تصرفات لابد منها للعيش وأن المرء بدونها يضيع فى الزحام

فمن هو المتهم الأول وراء تدهور القيم الخلقيه وإهتزاز سلم القيم؟

بعض علماء الأجتماع يشيرون بأصبع الأتهام إلى غياب القدوة، والبعض الأخر يرى أن المشكلة ليست فى ضرب المثل وتقديم القدوة ولكن فى خلق المناخ الأجتماعى العادل الذى يخرج من الناس أفضل مافيهم وآخرون يحملون الفساد السياسى والأدارى المسئوليه لأنه يقود عمليات نهب منظم لثروات البلاد من شأنها أن تحطم معنويات المصريين وتقضى على إنتمائهم وتفقدهم الثقة بالمستقبل. ويجمع الكل على أن المتهم الأول فى هذه الجريمة هو: سياسة الأنفتاح الأقتصادى والهجرة غير المخططه لبلاد النفط

د. إبراهيم العيسوى يقول أن الأنفتاح الأقتصادى هو أصل الداء وسبب البلاء وأن جروحه غائرة عميقه وأن الأمراض التى حملها قد أصابت منا الجسد والروح وامتدت آثاره إلى جوانب عديده من حياتنا أو تغلغلت فى أجزاء عديده من الكيان الأجتماعى المصرى وأفسد الكثير مما كان بسبيله إلى الأنصلاح وفاقم مشكلات كانت موجودة لكنها محدودة وهز قيما كنا نظن أنها قد استقرت فى الضمير الأجتماعى للأمة وعصف بمبادىء كانت قد أصبحت فى حكم البديهيات

ووفقا لبعض الأحصاءات الرسميه فإن معدل التضخم كان يتراوح بين ٣ ٪ و ٤ ٪ حتى عام ١٩٧٣ أرتفع الأن لأكثر من ٣٠ ٪ وهو وضع يضر بمستوى معيشه أصحاب الدخول الثابته كالموظفين ومحدودى الدخل من الفقراء ويستفيد منه أصحاب الدخول المتغيرة كالتجار والمستوردين.

والتضخم هو أداة لأعادة توزيع الدخل من الفقراء إلى الأغنياء بما يساعد على إتساع الهوة بينهما كما أفرز الأنفتاح أكثر من ربع مليونير وساهم فى خلل بارز فى توزيع الدخول حيث يحصل أغنى ١٠٪ من السكان على أكثر من ثلث الدخل القومى بينما يحصل أكثر من ٦٠ ٪ من السكان على أقل من ثلث الدخل القومى، كما يعيش أكثر من ٣٨ ٪ من السكان تحت خط الفقر.

ويرصد د. رمزى زكى، الخبير الأقتصادى المعروف أثرا أجتماعيا أخر من أثار التضخم فيقول أنه فضلا عما يستتبعه من إنحطاط شرائح أجتماعية تزداد فقرا وصعود شرائح أخرى تزداد ثراء، فإنه يساهم فى تفشى الرشوه والفساد الأدارى كأساليب مضادة تلجأ إليها بعض الفئات لتعويضهم عما يفقدونه من عمليه إعادة توزيع الدخل القومى التى يحدثها التضخم بطريقة عمياء تضربهم.

ونظرا لأن معظم الذين يضارون من التضخم هم أصحاب الدخول الثابته وهم فى العادة موظفو الأدارة الحكومية، فهم يلجأون للرشوة كمصدر للدخل الإضافى لمواجهه موجات الغلاء، التى تطحنهم عن طريق عدم تقديم خدمة مشروعة إلا نظير مقابل أو تقديم خدمة غير مشروعة نظير مقابل. كما يؤدى التضخم إلى إضعاف ثقه الأفراد فى العملة الوطنية، وتفقد النقود إحدى وظائفها باعتبارها أداة لأختزان القيم، مما يساهم فى إزدياد ميل الأفراد للأستهلاك تلافيا لتدهور قيمتها الشرائيه يوما بعد آخر ونظرا للأرتفاع المتواصل فى الأسعار والتدهور الشديد الذى ألم بدخول موظفى الحكومة والقطاع العام وخريجي الجامعات وحملة الشهادات العليا، فقد نتج عن ذلك أن عددا كبيرا من هؤلاء قد هاجر للعمل فى البلاد العربية النفطية.

أخطار الهجرة

لم يزد عدد المصريين العاملين بالخارج حتى عام ١٩٦٨ على عشرة آلاف مصرى وصلوا إلى ٥٠٠ ألف عام ١٩٧٨ وتتراوح أعدادهم فى عام ١٩٨٩ مابين ٢ و ٣ مليون مصرى فما هى الأثار الأجتماعيه التى خلفتها هجرة العمالة المصرية إلى بلاد النفط؟

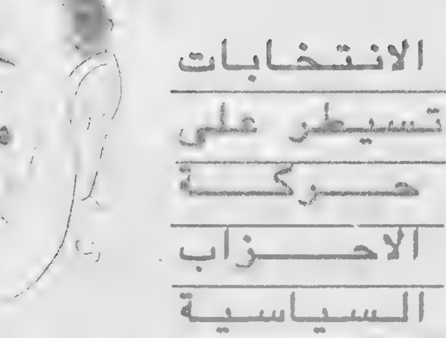
د. سعد الدين إبراهيم رئيس قسم الأجتماع بالجامعة الأمريكية يجيب

– يجب أن نلاحظ أنه فى الستينات سمح لمصريين بالعمل فى الخارج لدوافع قومية وسياسية قبل الأعتبارات الأقتصادية، وكانت هناك قيود مفروضه على العمالة المصرية خشية أن تهاجر فتلحق الضرر بالتنمية الوطنية.

ثم جاء دستور ١٩٧١ لينص فى مادته ٥٢ على حق الهجرة ثم أعقب ذلك مجموعة من القوانين والقرارات التى نظمت هذا الحق الدستورى، ثم إقرار سياسة الأنفتاح الأقتصادى التى أستهدفت خفض التدخل الحكومى إلى الحد الأدنى فى التنمية الأجتماعية والأقتصادية. وكان تصدير العمالة المصرية هو جزء رئيسى من تلك السياسة التى كانت تقوم على تصدير السلبيات وهى فائض السكان وفائض العمالة واستيراد الأيجابيات من رؤس الأموال والتكنولوجيا وكانت تلك باختصار عمليه بحث عن حلول خارجية لمشاكل داخلية. وقد تكون الهجرة قد حلت بعض المشاكل الفرديه، لكن المجتمع– وفقا لعلم الأجتماع– هو «ناتج متحصل عن» وليس مجرد «كم مجمع من» أفراده. ومن هنا فما قد يكون مفيدا للمصريين كأفراد، قد لايكون كذلك بالنسبه لمصر نفسها. ولم تفعل الهجرة الشئ المفترض كالتخفيف من وطأة البطالة وعدد السكان، بل أن الذى حدث أنها حرمت مصر من أفضل مالديها من عقول وأيد عاملة. ويرصد د.رمزى زكى أخطر الأثار المترتبه على هجرة العمالة المصرية فيقول أنها إهدار قيمة العمل الأجتماعى المنتج. ذلك أن الحصول على دخل أعلى فى البلاد المهاجر اليها، قد أدى إلى إهتزاز التصور لطبيعة العلاقة بين مستوى العمل المنتج بشكل عام وبين مستوى الدخل. ويلاحظ د. رمزى أن المهاجر لبلاد النفط لايحصل على دخل أعلى لأن أنتاجيته ارتفت، فربما تكون قد انخفضت، ومع ذلك يتلقى دخلا أعلى بسبب الثراء النفطى فى هذه الدول، ومجرد الشعور بأن هذا الدخل المرتفع لاعلاقة له بمستوى الأنتاجيه، قد أدى إلى الاعتقاد بأن تحسن مستوى المعيشه ورفع الدخل الفردى لم

البقية [ص ٥٣]

أمينة النقاش





فؤاد سراج الدين


خالد محيى الدين


ابراهيم شكرى

"الاخوان المسلمون" .. وحزب العمل يثيران مخاوف الأحزاب

كتب المحرر السياسي

سيطرت حمى الإستعداد لإنتخابات مجلس الشعب - الذى لم يتحدد موعد حله بعد، بل ولم يتأكد حله بصفة نهائية - على الأحزاب السياسية جميعا، بلا إستثناء. وقد فرض موضوع الانتخابات نفسه بمجرد تقديم هيئة المفوضين فى المحكمة الدستورية العليا لتقريرها حول الطعن بعدم دستورية قانون إنتخابات مجلس الشعب، والذى أنتخب المجلس الحالي على أساسه، فقد انتهى التقرير للتوصية بقبول الطعن لانتهاك هذا القانون للدستور فى أكثر من مادة. وتسربت معلومات مؤكدة من رئاسة الجمهورية، حول اعتزام الرئيس إصدار قرار بحل المجلس - قبل صدور الحكم - ودعوة الناخبين للاستفتاء على هذا القرار، وإصدار مرسوم بقانون جديد للانتخابات على أساس المقاعد الفردية خلال فترة حل المجلس، تتم الانتخابات للمجلس الجديد على أساسه.

وبادر رؤساء الأحزاب وممثلو القوى السياسية لعقد اجتماع فى حزب الوفد، حضره فؤاد سراج الدين (الوفد) خالد محيى الدين (التجمع) ابراهيم شكرى (العمل) مصطفى كامل مراد (الاحرار) محمود أمين العالم (الشيوعيون) مأمون الهضيبي (الاخوان المسلمون). وتقرر فى هذا الإجتماع التأكيد على عدد من الأسس لضمان إجراء انتخابات حرة ونزيهة فى مقدمتها..

* الالغاء الفورى لحالة الطوارئ.

* إطلاق حرية تكوين الأحزاب وإصدار الصحف.

* رفع أيدى السلطة التنفيذية وأجهزة الادارة المحلية ووزارة الداخلية بصورة كاملة من الانتخابات العامة، وتولى القضاء وحده إدارة العملية الانتخابية كاملة، عن طريق لجنة قضائية عليا، تخضع لها كافة الأجهزة المحلية والأمنية التى تتصل اعمالها بالانتخابات بحيث تشمل مرحلة الترشيح والتصويت والفرز وحتى إعلان النتائج!

* الغاء جداول القيد الحالية وإعدادها طبقا للسجل المدنى

* إدلاء الناخبين بأصواتهم بموجب البطاقة الشخصية أو العائلية، مع توقيع الناخب فى كشف الانتخابات أمام اسمه بإمضائه أو بصمته .

* إعادة تقسيم الدوائر الانتخابية على أسس موضوعية يتفق عليها مع ممثلى الأحزاب السياسية.

* تولى محكمة النقض التحقيق والفصل النهائى فى الطعون المقدمة فى نتائج الانتخابات العامة.

* فرض عقوبات صارمة على التزوير أو التلاعب أو التدخل فى الانتخابات العامة.

* توحيد نظم الانتخابات الخاصة بكافة المجالس النيابية، بدءا من المجالس المحلية وصولا الى مجلس الشعب. على أساس إلغاء نظم الانتخابات بالقائمة النسبية الحزبية المشروطة والقائمة المطلقة.

ولم يتطرق النقاش فى هذا اللقاء الى النظام المقترح على أساس أن الأحزاب كانت قد اتفقت فى السابق على العودة للنظام الفردى، وأعلن رئيس الجمهورية أيضا إستعداد الحكم للعودة للنظام الفردى. كما لم يتم الحوار حول موقف الأحزاب والقوى السياسية من المشاركة فى الانتخابات أو مقاطعتها إذ لم يستجب الحكم لهذه المطالب المتواضعة لضمان حرية الانتخابات.

وتقرر فى نهاية الإجتماع إعداد مشروع بيان أورساله بهذه الأسس توجه الى النقابات المهنية والعمالية ونوادى هيئات التدريس واتحادات الطلبه ومنظمات حقوق الانسان والشخصيات الوطنية العامة تدعوهم للقاء، يتم خلاله إصدار بيان للرأى العام للدفاع عن الديمقراطية وانتخابات حرة نزيهة. وكلفت لجنة تضم ممثلى الأحزاب والقوى السياسية بإنجاز هذه المهمة.

وعقدت اللجنة التى ضمت الدكتور محمد حلمى مراد (العمل) حسين عبد الرازق (التجمع) ابراهيم دسوقى أباظه (الوفد) عبد العزيز الشوربجى (الأحرار) أحمد شرف (الشيوعيون) سيف الاسلام حسن البنا وعصام العريان (الاخوان المسلمون) أول إجتماع لها ، إتفقت خلاله على الرساله التى يتم توجيهها للنقابات والهيئات والمنظمات والشخصيات العامه، وتحديد الجهات التى توجه لها.

وأثير خلال هذا الإجتماع أيضا، النظام الجديد للانتخابات الذى ستدعو إليه الأحزاب . ولاول مرة يطرح الاخوان المسلمون والوفد تفضيلهم للقائمة النسبية، كما يعرفها العالم، أى بدون اشتراط نسبة معينة، أو أن تكون حزبية . أى قائمة بلا أى قيود أو شروط، وبالتالى عدولهم عن المطالبة بالانتخابات الفردية، وهو الموقف الذى تبناه حزب التجمع، وتنازل عنه أمام إصرار الأحزاب على الانتخابات الفردية. وفضل المجتمعون عدم التسرع باتخاذ أى قرارات فى هذا الموضوع، والتركيز على الضمانات المطلوبة. لانتخابات حرة نزيهة فى هذه المرحلة.

وفجأة تعثر عمل اللجنة. طلب ممثلو الاخوان

المسلمون» ترك الاتصالات بالنقابات المهنية ونوادى هيئات التدريس مؤقتا، حيث تقوم النقابات بمبادرة ذاتية بتنظيم لقاء بينها لبحث قضايا الديمقراطية. وبعد ذلك تخلف الاخوان المسلمون عن الاجتماع التالى للجنة. وأمام تخلف «الاخوان المسلمون» توقف حزب العمل الذى كان مسئولا عن اجتماعات اللجنة عن الدعوة للاجتماعات.

كان التفسير الوحيد لموقف «الاخوان المسلمون» هو محاولتهم الانفراد بالحركة فى النقابات المهنية، إعتمادا على ثقل وجودهم فى نقابتى الأطباء، والمهندسين، وإمكانية أن تقود النقابتان حركة النقابات المهنية .. وبالتالى أن تكون لحركتهم ثقل خاص مستقل عن حركة الأحزاب والقوى السياسية، تعطيهم قوة فى التعامل مع الدولة وفى التعامل مع الأحزاب أيضا.

وفضل حزب العمل أن يوقف عمل اللجنة مؤقتا حتى لايصطدم مع حلفائه (الاخوان المسلمون) خاصة وهناك عديد من المشاكل والخلافات بدأت تبرز على الساحة بينهما. فكما يبدو فإن التحالف مع العمل أعطى كل مايريده



الاخوان منه ولم يعودوا فى حاجة إليه. فبالاضافة للخلافات الكامنة تحت السطح والتى لم يعبر عنها بوضوح بعد، فهناك علامات ظاهرة لايمكن إخفاؤها. فالمستشار مأمون الهضيبى يتحدث الأن فى مجلس الشعب بصفته ممثلا لكتلة الاخوان المسلمين فى المجلس. وأعلن فى حديث صحفى عن ضرورة قيام حزب سياسى إسلامى فى مصر حتى ولو لم يحصل على ترخيص من الحكومة.

وفاجأ حزب العمل الأحزاب والقوى السياسية بدعوته الى مقاطعة إنتخابات مجلس الشعب القادمة مالم تستجب الحكومة للمطالبة بتعديل قانون تنظيم ممارسة الحقوق السياسية وتوفير ضمانات ونزاهة الانتخابات. فحذر د: حلمى مراد المعارضة فى مقال بجريدة الشعب من المشاركة فى الانتخابات «من دون أن يكون هناك تقنين واضح لضمانات جيدة ولنزاهة الانتخابات. أما أن تقنع المعارضة نفسها بأوهام للقبول بالنزول الى ساحة الانتخابات بلاضمانات، فهوا مر محفوف بالخطر والمخاطر ومحكوم عليه بالفشل مسبقا». وقد نظرت الأحزاب خاصة الوفد والتجمع، لهذه الدعوة بحذر، فحزب العمل هو الذى أفسد أكثر من مرة الدعوة للمقاطعة وأجبر الأحزاب على خوض الانتخابات بإصراره على المشاركة فيها. وإن كان هناك تيار كاسح فى الوفد يدعو للمقاطعة مالم تتوفر حدود دنيا من الضمانات. ويواجه حزب العمل منذ فترة ظاهرة الانقسامات والانشقاقات والتآكل الداخلى. فبعد انسحاب مجموعة من قيادات مصر الفتاة القديمة بزعامة على الدين صالح ومحمود المليجى، انسحبت فى العام الماضى مجموعة كبيرة من أعضاء هيئته البرلمانية مع أحمد مجاهد فيما عرف بإسم «الجبهة الاشتراكية لحزب العمل». ويواجه اليوم خطر فك التحالف مع الاخوان المسلمين. وبالتالى فتعرضه للضغوط الحكومية وقبوله لصفقات عشية الانتخابات لكى يضمن السماح له بالتواجد داخل البرلمان أمر وارد، وهو ما يدفع الوفدَ والتجمع إلى عدم أخذ الدعوة للمقاطعة من حزب العمل على محمل الجد، والميل إلى إعتبارها مناورة سياسية قصيرة النفس.

ويدعم من موقف المعارضين لموقف المقاطعة



داخل حزب التجمع والوفد، احتمال ظهور أحزاب جديدة على الساحة قبل إجراء أنتخابات مجلس الشعب. فمحكمة الأحزاب توشك أن تصدر قرارها بشأن أربعة أحزاب هى:

- حزب مصر الفتاة
- وحزب الخضر
- والحزب الناصرى «تحالف قوى الشعب»
- والاتحاد الديمقراطى

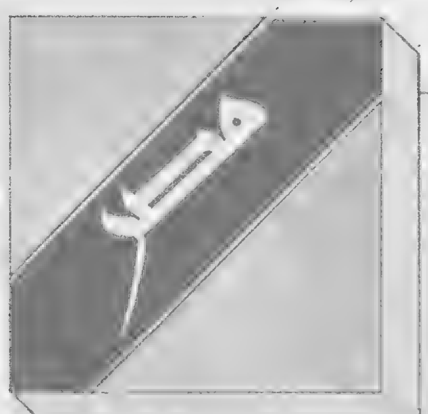
وترجح الدوائر القضائية والسياسية أن تصرح المحكمة بقيام الحزبين الأولين مصر الفتاة والخضر، وسيسارعان بالمشاركة مع الحزب الوطنى فى الانتخابات دون قيد أو شرط كذلك فهناك إحتمال لتأسيس حزب جديد، توافق عليه لجنة الأحزاب، هو «الحزب الاشتراكى العربى» الذى يدعو الى تأسيسه «عادل والى» عضو مجلس الشعب عن حزب العمل والذى شارك إنشقاق «أحمد مجاهد»، ثم انسحب منه داعيا الى تكوين حزب جديد يقوم أساسا على «قيادات العمل السياسى فى فترة الستينات» التى ترغب فى ممارسة العمل السياسى «بتشكيل حزبى يبدأ من القاعدة ويطبق بالفعل مبادىء ثورة ٢٣ يوليو»..» لأن مانراه على الساحة من ممارسات للاحزاب القائمة لايزيد عن كونه تجسيدات لصالح الأسر والعائلات كما هو الحال فى حزبى الوفد والعمل» كما يقول والى.

أما موقف حزب الأحرار فى ظل الأنشقاق داخله والضغوط الحكومية على رئيسه، يكاد يقطع بمشاركته تحت أى ظروف

على كل مازالت قضية المقاطعة مؤجلة حاليا، لحين صدور قرار حل المجلس وتعديل قانون الانتخابات، واحتمال تعديل بعض مواد قانون ممارسة الحقوق السياسية. وفى جميع الأحوال فالمقاطعة مازالت إحتمالا قائما.

وقد نجح حزب «التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى» بعد إجتماع أمانته العامه فى ١٠ مارس الماضى ومناقشتها الأوليه لإحتمالات حل المجلس والدعوة لانتخابات مبكرة فى الخروج بالأحزاب والقوى السياسية من حالة الجمود التى أصابت حركتها. فبادر الأمين العام للحزب «خالد محى الدين» بالاتصال برئيس حزب الوفد «سراج الدين» واتفقا على توجيه الدعوة لرؤساء الأحزاب وممثلى القوى السياسية لعقد إجتماع يوم الأربعاء ١٤ مارس بحزب الوفد لاستئناف العمل المشترك دفاعا عن الديمقراطية وضمانات للانتخابات الحرة والنزيهة. وحضر الاجتماع بالاضافة لخالد محيى الدين وسراج الدين، الدكتور حلمى مراد ممثلا للعمل لسفر إبراهيم شكرى المناجى، [illegible] لحضور تسليم الأسرى المصريين فى إيران، ومصطفى كامل مراد. ولم يحضر ممثل الاخوان المسلمين، واعتذر ممثل الشيوعيين لسفره للخارج مع تأييده لقرارات رؤساء الأحزاب. وانتهى الاجتماع الى التأكيد على المبادىء وأسلوب الحركة السابق اقراره وإضافة المطالبة بإستقالة رئيس الجمهورية من رئاسة الحزب الحاكم قبل الانتخابات العامة، واستئناف لجنة الأحزاب والقوى السياسية لعملها بصرف النظر عن حضور أو تخلف أحد الأحزاب والقوى السياسية، مع توجيه الدعوة للجميع بلا إستثناء.

وعقدت اللجنة أول إجتماع لها يوم الاثنين ١٩ مارس، حيث أعدت مشروع وثيقة، الاصلاح الديمقراطى التى أقرها رؤساء الأحزاب فى إجتماعهم يوم ٢١ مارس وبدأت اللجان المتفرعة فى جمع توقيعات ممثلى النقابات العمالية والمهنية والاتحادات ونوادى هيئات التدريس والشخصيات العامة.



في أصول المسألة الطائفية..

دعوة للإضراب العام ضد الفتنة الطائفية

ليس هناك خلاف بين فصائل المعارضة المصرية-وخاصة اليسارية منها- وبين الحكومة، حول خطورة الفتنة الطائفية على حاضر الوطن ومستقبله، وأمن واستقرار أبنائه..

وليس هناك عاقل- أو حتى مجنون- يمكن أن يؤيد دعاة الفتنة، أو يصمت على مايفعلونه، أو يشارك- بوعي- في إشعال نار يعرف الكل أنها ستنتهي بالتهام الأخضر واليابس، وبتحويل مدن الوطن وقراه، وشوارعه وأزقته، إلى أكوام من الحجارة، وجثث لانجد من يشهد نهاية عنها، أو يسبل عيونها، أو يكفنها، ويستر عورتها.. أو يهش عنها الذئاب والذباب.

ولايوجد خطر يستحق الصّد والتصدّى، ويتطلب الاجتهاد والجهد، اكثر من هذه الفتنة الملعونة، التى لوصمتنا عليها لما بقى لناشئ نعطيه اهتمامنا، سواء كان هدفا عاما، أو خاصا.. ذلك لأن نيران الفتنة لن تُبقى منا واحداً ليحقق شيئاً، بل ستحرقنا جميعاً: الشيوخ والشباب، والأمهات والأطفال، والمسلمين والأقباط، ولأن أعاصيرها سوف تدمر كل شئ: المصانع والمدارس.. والمساجد والكنائس.. فلايبقى فى الوطن سوى أشلاء تتلى، تحترق بنيران من حطام المنابر، وبقايا الهياكل، وحبات المسابح، وشظايا الصلبان.. لتكون شاهداً على الملاعين الذين أشعلوا الفتنه، ولى وهمهم أنهم يرفعون رايات الله، فإذا بهم يحرقون كل ماخلق.. ويدمرون كل من خلق، حتى البيوت التى أذن أن يتلى فيها اسمه، وأن يتقدس فيها ذكره..

الخلاف بيننا وبين الحكومة إذن، ليس فى الموقف من الفتنة الطائفية، ولايمكن أن يكون كذلك.. ولكنه خلاف حول جذور المشكلة.. وبالتالى حول السبل الصحيحة الكفيلة بمواجهتها..

وحتى لايخطئ أحد فى الفهم، أو يحرث فى البحر، فلابد وأن نتذكر أن الحلقات الراهنة لهذه الفتنة، قد بدأت بذلك الإلهام الخبيث الذى دفع الرئيس الراحل أنور السادات إلى الظن بأن إضفاء طابع من «الدرْوشه» على الحكم، وتظاهر رئاسة الدولة بالغلو فى التدين، ومغازلة المشاعر الدينية العميقة للأغلبية المسلمة، وإطلاق العنان للعناصر الموصوفة بالتشدد الدينى، وتزويدها بالعصى والشوم والقبضات الحديديه، هو الأسلوب المضمون لاتمام الانقلاب الذى كان يخطط له. على السياسات التى كانت سائده فى عهد سلفه، وتصفية المعارضة اليسارية القائمة أو المحتمله، لهذا الانقلاب..

ولم يتنبه الذين ألهموه هذه اللعبة القذرة، إلى مخاطرها البالغة حتى علبه هو نفسه..

ولعله لم يدرك- إلا متأخراً- أن القوى الموصوفة بالتشدد الدينى، كانت طوال الوقت تلعب لحسابها..

وحين اكتشف عجزه عن ضبط بوصلة حرية العدوان التى أباحها لتلك القوى فى اتجاه اليسار وحده، كان الأوان قد فات، وكانت حرية العدوان قد أصبحت حقاً، وكان مجاله قد اتسع- بتأثير الظروف الإجتماعية والاقتصادية- ليشمل اليسار- والأقباط، ثم سرعان ماشمله هو نفسه، حين حاول أن يوقف اللعبة.. وحتى لايقول أحد أننا نجلد ميتين، فلابد أن نتذكر أن ذلك كان مجرد واحد من أعراض كثيرة، لذلك الخلل الذى أحدثه«السادات» فى الأوضاع المصرية، وهو خلل انتهى بنا إلى تلك الشيزوفرانيا الفردية والإجتماعية التى نعيش فى ظلها.. وهى سمة المجتمعات التى يتهددها التحلل بسبب انقسامها الحاد والمتطرف بين الثراء الفاجر.. والجوع الكافر.. والانفاق السفيه والبطالة الزاحفه، وبين التزمت الدينى.. والانحلال الخلقى.. وبين الانفتاح الاقتصادى الذى لاحدود له، والانغلاق السياسى الذى لاأمل فى انفتاحه..!

وهذا الأنقسام الحاد، هو المناخ الذى تتخلق فى ظلّه تلك النماذج البشرية التى ترتد إلى نفسها، وتغرق فى داخلها، تأكلها مشاعر الإحباط واليأس والإحساس باللاجدوى، فتقودها إلى عدوانية جاهزة للانطلاق نحو أى هدف، وبلا تمييز، لتقذف الطوب.. أو تشعل النيران، فيستوى لديها الكباريه والجامع، والكنيسة والجيره.. ولاعبو فريق القدم المهزوم..

من بين هذه النماذج المحبطة اليائسة يخرج دعاة الفتنه..

وبينها يجدون جيشهم الجاهز لتصديق شائعاتهم التى تمليها عليهم هلاوس دينية، والمستعد للانطلاق لكى يحرق ويخرب ويدمر

وسوف يظل ذلك الخطر يتهدد وحدة الوطن والشعب، مالم نتجه إلى أصول المسألة الطائفية بعلاج هذه الشيزوفرانيا المصرية..

والحلقة الرئيسية فى ذلك تكمن فى علاج النظام المصرى من ذلك الأنقسام الحاد بين الانفتاح الاقتصادى والانغلاق السياسى..

وحتى لايندفع أحد فيمن علينا بما نعيشه من حرية، نقول إن الديمقراطية ليست أحزاباً معارضة تعارض، وقد لاتعارض، وهى ليست «مكْلمة» تُبح فيها الحناجر.. ولكنها ببساطة: حق المشاركة فى اتخاذ القرار!

وهذه المشاركة وحدها، هى التى تشعر المصريين بأنهم مواطنون لارعايا، وتعطيهم الأمل فى أن يوم تصويب الأوضاع المختله، والتئام الفجوة الحادة - بين عائد العمل وعائد السرقه،

وعائد الشرف وعائد الدعارة- ليس سرابا، فتخرج هذا الجيل اليائس الساخط المنكفئ على نفسه، يمضغ هلاوسه، من قمقم ذاته، ليشارك فى بناء الوطن لا فى تدميره، وفى صنع المستقبل بدلاً من الهجرة إلى الماضى البعيد..

وهى تعنى إطلاق حرية المنافسة السياسية بين الأحزاب والتيارات، ليجد كل مواطن منبراً يؤثر من خلاله فى سياسات بلده، وفى القرارات التى تمس مصالحه، وينتمى إلى «جماعة وطنية» أرحب من تلك الجماعات المنغلقة التى تقوم على الدين أو الطائفة أو النادى الرياضى..

وليتذكر الذين نسوا أن الأخوان المسلمين، ظلت فى ظل المنافسة السياسية الحرة، التى كانت سائدة طوال المرحلة بين ثورتى ١٩١٩ و ١٩٥٢ مجرد جماعة محدودة النفوذ- رغم انتشارها- وأنها عجزت عن أن تفوز بمقعد واحد من مقاعد برلمانات ذلك العهد..

وليتذكروا أن ظاهرة تعيين «نواب» يمثلون الاقباط بقرار من رئيس الدوله، فى مجالس الأمة والشعب، قد نشأت بعد أن أدى الإلغاء القسرى للأحزاب السياسية، الى انقسام المصريين إلى «أهلوية» و«زمالكاويه» ، و«أقباط» و«مسلمين» بدلاً من انقسامهم إلى «وفديين» و«سعديين»، فلم يعد أحد من الأقباط يفوز فى الانتخابات..

وعليهم أن يكفوا عن الثرثرة المكرورة التى يتصورون أنها ستطفئ نيران الفتنه، لأن دعوتهم لتوعية المواطنين بخطورتها لن تطفئ ناراً، أو تصد دماراً، ولأن الوعى الحقيقى لايتخلق إلا عبر إدراك كل مواطن أنه شريك فى الوطن..

ولو كانوا مخلصين حقاً فى إطفاء الفتنه، فليهدأوا بالخطوة الصحيحة : تصويب المعادلات المصرية المختلة، وتصويب النظام السياسى المعوج..

ولتكن الإشارة الأولى لذلك ، هى الدعوة لموقف قومى موحد ضد الفتنه الطائفية..

موقف عام، وشامل، وقوى، وصريح، يدرك معه المتهوسون الذين يشعلون نيرانها، أن لا أحد يؤيدهم، أو يقف فى صفهم..

ولن يتحقق ذلك إلاّ بتحديد يوم للإضراب الوطنى العام احتجاجا على الفتنه الطائفية.. يوم تتوقف فيه دواوين الحكومة عن العمل، وتغلق فيه المتاجر أبوابها، وتحتجب الصحف، ويتوقف الإرسال التليفزيونى و الاذاعى ، ويلزم الناس جميعا بيوتهم، فلايسمع أحد فى الوطن صوتا سوى أجراس الكنائس، ونداءات المآذن، تحتج على كل الأوضاع التى انتهت باشعال شرارات الفتنه، ودفعت بعض الملاعين إلى الظن بأنهم يرفعون رايات الله، فإذا بهم يوشكون أن يدمروا كل ماخلق، وكل من خلق، حتى البيوت التى أذن أن يعلى فيها اسمه، وأن يتقدس فيها ذكره.

صلاح عيسى

كتاب

أهمية هذا الكتاب، من ثم عرضه تكمن فى أهمية الظاهره المتصدى لها وأيضا المدرسة الفكرية التى تناقش هذه الظاهره. فالاسلام السياسى كظاهره تكاد تكون اليوم هى الشغل الشاغل للدارسين. سواء فى حقل السياسه أو حقل الثقافة. ولأن الخصم الفكرى والسياسى الاساسى لهذه الظاهره هو اليسار، كان لابد ان يكون لليسار المصرى كلمته فى هذا الموضوع. ومن هنا كانت خطورة التناول. فترى هل يقع الدارسون فى أسر الايديولوجيه أم ينجحوا رغم انتمائهم الإيديولوجى- وربما بسببه- فى تقديم دراسات علميه جاده، من أجل فهم أوضح وأفضل لهذه الظاهره. وهو مانعتقد أن كتاب قضايا فكرية نجحوا فى تحقيقه.

وتتصدر المحاور التى يتكون منها هذا الكتاب مقدمه محمود العالم بعنوان : الدين السياسة يقول العالم «عندما نتحدث هنا عن الدين فلسنا نقصد العقيده أو الايمان أو التدين وإنما نقصد التجلى العملى النسبى لهذه العلاقه فى صور مختلفه من الوعى والممارسات الاجتماعية وخاصة فى مجالى السلطه والنظام الاجتماعى ومن ثم يرصد الكاتب عدداً من أشكال الممارسه الدينيه. ثم ينتقل الكاتب ليؤكد ان السياسه الدينيه الرسميه والسياسه الدينيه المهادنه والسياسه الدينيه الرافضه المتعصبة تتلاقى فى تغييب قضايانا ومشاكلنا الوطنيه والاجتماعية والثقافية الاساسيه، وحرف نضالاتنا الفكرية والعملية عنها، ويصبح التصدى لها وخاصة المتعصبه منها، وفضح جمودها وتحالفها الموضوعى مع السلطه السياسية الراهنه، هو وجه من أوجه نضالنا ضد سياسات الرده والتخلف والتبعيه

ويواجه رفعت السعيد خصمه بلاتردد ولهذا يبدأ دراسته لموقف الماركسيه من الدين فيؤكد على « أنه من الضرورى أن نبدأ برفض الادعاء بأن الفكر المادى يعنى بالضرورة إتخاذ موقف معاد للدين كمعتقد فالدين فى رأى الماركسية هو ظاهره موضوعيه تنتمى من حيث المجال إلى «الوعى الاجتماعى» وبطبيعه الحال فانه يصعب التعامل مع الشعب- أى شعب - دون ادراك مكونات وعيه الاجتماعى والتعامل معها تعاملاً موضوعياً ثم يضيف.. ومن هنا فان احترام الماركسيه للدين شيء والمطالبه بخضوعها لابتزاز الذين يستغلون الدين فى معركة الصراع الطبقى شيء آخر. وهو يؤكد على ضروره التفرقه بين العنصر الايمانى فى الدين وبين تصاعد أو هبوط نشاط جماعات الاسلام السياسى فهما عنصران غير متلازمين بل قد ينمو أحدهما بينما ينكمش الأخر وفق تطورات إجتماعيه محدده. ومن هذه الملاحظه الذكيه والصحيحه ينطلق الكاتب راصداً فى إطار الظروف التاريخيه المحدده للمجتمع رحله ارتداد الاسلام السياسى من العقلانية الى مهاوى التطرف ليصل الكاتب إلى القول أن السلطه كانت هى الراعى الأول لفكرة التطرف الدينى والاسلام السياسى.وهذه الملاحظه تتأكد على مستوى العالم العربى جميعا من خلال الدراسات الغنية التى يقدمها الكتاب كدراسه عروس الزبيرالدين «السياسه فى الجزائر» و «الحركه الاسلاميه» فى تونس» لمصطفى التوانى و «الاسلام بين السلطه والمعارضة فى الأردن» لأياد البرغوثى و «الاسباب الاجتماعيه لظاهرة الهوس الدينى فى السودان» للحاج وراق بل،وحتى فى دراسه الحركه الاسلاميه بالأرض المحتله كما يتضح من دراسات ماجد عامل و برنس العاصمى وهى كلها تثبت صحه الملاحظه عن الدور الاساسى للسلطه فى نمو جماعات الاسلام السياسى وهو الوجه الآخر لعجز البرجوازيه العربية عن أتمام مهامها

وتتقدم دراسات الكتاب تأصيلاً نظريا لبنيه الفكر السياسى الدينى عبر دراستين هامتين هما «معالم الطريق لسيد قطب لاحمد ماضى» و «الخطاب الدينى المعاصر آلياته ومنطلقاته الفكرية» للدكتور نصر حامد أبو زيد وهى دراسه من الصعب تلخيصهاوتحوى اجتهاد طيبا ويؤكد الكاتب يعتمد مجمل الخطاب الدينى موضوعاً لدراسته دون الأخذ فى الاعتبار تلك التفرقه- المستقره إعلاميا- بين المقبول والمتطرف فى هذا الخطاب لان الفارق بينهما هو فى الدرجه لافى النوع.

وتتوالى دراسات هذا الكتاب الهام والتى منعنا الحيز من التعرض لها رغم أهميتها الكبيره خاصه دراسات سمير أمينو فؤاد زكريا وخليل عبد الكريم، وهادى العلوى و محمود عبد الفضيل ومحمد دويدار وغيرهم من الدارسين.

وكنا نتمنى أن تستكمل فى هذا العمل الكبير بتخصيص دراسه للنشاط السياسى الاسلامى المصرى تناقش اطروحاتهم السياسيه من خلال آرائهم فى مجلس الشعب وعبر مطبوعاتهم المتعدده، ذلك لان مثل هذا الحوار يخرج الصراع مع «الاسلام السياسى من مجال الايديولوجيا الى فضاء السياسه الرحب وهو المطلوب فى الصراع معه. كما كنا نتمنى ان يهتم الكتاب بعرض الدراسات السابقه فى الموضوع وخاصا التى تستخدم لنفس المنهج

أحمد عبد القوى

الحرب في بر مصر

اسرائيل تنشر الإيدز في مصر

وتخرب مزارع القطن والموز والدواجن والمناحل

هذا العنوان المحدد بمعانيه وإيحاءاته الملموسه، لروايه الأديب المصرى يوسف القعيد. هو العنوان الاكثر إقترابا لوصف وحالة العلاقة الغريب والمشبوه القائمة بين مصر العربية، ودولة اسرائيل الصهيونية منذ توقيع المعاهدة المشئومة.

واذا كانت المدافع قد سكتت عن الدوى فى ساحات القتال ، فإن اسرائيل قد قامت بنقل الحرب ومنذ لحظة إنسحابها من سيناء، لتشمل «بر مصر» كله، لتمتد باتساع «برمصر» بكل ماينبض ويضطر م من حياه وبكل ماتزخر به مصر من ثروات.

إن آخر الاخبار المنشوره حتى اليوم «الجمعة ١٦ مارس ١٩٩٠» تقول أن دوائر علمية عالمية مهتمة بأنظمة الكمبيوتر، أكدت أن اسرائيل تسعى حاليا لتطوير فيروس الكمبيوتر والذى أجتاح العالم مؤخرا. كما تسعى لتصديره بالطرق غير المشروعه للعالم العربى بشكل عام ومصر بشكل خاص. كما أن إسرائيل فى الوقت الراهن، تدرس نوعا جديدا من هذا الفيروس باسم «حريسلون ٣» . وهو أخطر من الفيروسين اللذين ظهرا عام ٨٩ وأوائل ٩٠ ثم ينتهى الخبر بأن ثمة تقريرا قد رفع الى جهات سيادية مصرية أكد نفس المعلومات»!

وهكذا إسرائيل. وفى الوقت الذى يخطو فيه العالم وقواه الكبرى، خطوات هامة بعيدا عن سياسات الحرب الباردة. وتتطلع فيه البشرية الى ممارسة عملية التسويات السياسية للنزاعات المتفجرة. نجد اسرائيل تضع فى التطبيق العملى، بعنف بالغ الشراسه مبدأ «كلاوز فيتز» الشهير «الحرب هى إمتداد للسياسه بوسائل أخرى.. والعكس صحيح»؟!!

ولنعد معا قراءه بعض الوقائع الأخيرة...

فى بداية مارس ٩٠ خرجت الصحف المصرية، وتحديدا صحف المعارضة تعرض لوقائع مذهلة ومروعه، بطلها أمريكى يدعى «وليام تشارلز هاركورت» حامل لمرض الايدز تم ترحيله من مصر يوم ١١ مارس- بعد إقامه إستمرت ٣ سنوات متصلة- إستجابه لضغوط مارستها السفارة الامريكية بحجة أن الامريكى القبيح يعانى مرضا نفسيا. وكان الامريكى القبيح قد مارس الفجور مع عدد كبير من الصبية الفقراء نظير مبالغ نقدية. وقد تمكن من الاتصال بالصبية المصريين بمساعدة صديقته الاسرائيلية «ساره» والتى اختفت تماما عقب القبض على الامريكى القبيح. وبعد ان تمكنت هى الاخرى - وعلى مدى زمن غير معروف-من الاتصال جنسيا بعدد غير محصور من الشباب المصرى ومن كل الطبقات والذين كانت تلتقطهم من الملاهى الليليه.

وفى ذات الشهر مارس ٩٠ . تم محاكمة خبير الكمبيوتر الانجليزى «بول ديفيد ساتيون» الذى كان قد استدرج عددا من الصبية ومارس معهم الفجور. وقد ثبت أن الخبير الانجليزى مثل زميله الامريكى قد تنقل عبر عدد من الشقق المفروشة! ثم تنهى صحفنا الحكومية الخبر الاسود، أن الخبير الذى حكم عليه سنه مع الشغل وكفالة ٢٠٠ جنية وغرامه مماثلة- خال من مرض الأيدز؟!

ويمكننا أن نعرض لعشرات الوقائع. فقط. ستكتفى بالعناوين.. كارثة محصول الطماطم فى نهاية ٨٩ والبذور والتقاوى الاسرائيلة الفاسده - الشوطه التى عصفت بزارع الدواجن بعد استيراد كتاكيت «الاتاكا»- حريق المناحل المصرية بعد جلب تجار العريش لملكات النحل الاسرائيلى المصابة بمرض «الهوفيليا»- تخريب وتدمير الثروة الطبيعية النادرة من الشعب المرجانية فى البحر الاحمر بالسفن الجانحة وهواه الغطس من السياح المشبوهين - حرق ٣ مليون شتلة موز اسرائيلى فى مزارع الجيزة- العملية الاجرامية المتواصلة لتخريب الانسان المصرى وتدمير عقله بتنشيط جانب هام من تجاره المخدرات الخ..

ولعل مانشرته - جريدة الاهالى- فى عدد ١٤ مارس عن رفض عدد من كبار المسئولين بوزارة الزراعة المصرية، استقبال وزير الزراعة الاسرائيلى «إبراهام كاتزير» فى زيارته السرية والتى انتهت يوم الجمعة ٩ مارس لاستياء خبراء الزراعة المصريين من دور اسرائيل فى تخريب المحاصيل المصرية عن طريق تصديرها بذور وتقاوى فاسده. لعل هذا الرفض يحمل فى طياته ضمن ماحمل، إتهاما لم يتوفر دليله بعد على دور اسرائيل فى كارثة القطن التى اجتاحت المحصول الأول لمصر والتى تجاوزت خسائره عام ٨٩ مايقترب من الالف مليون دولار؟!

هذه الوقائع المروعة تعنى شيئا واحدا ومحددا، محاوله تدمير مصر كيف؟ ولماذا؟

إن إسرائيل تعرف- وقبل غيرها - عن وعى وادراك أنه حتى لوقبلت بقيام الدولة الفلسطينية فى الضفة وغزه، وتم رسم الحدود فأن الصراع العربى الاسرائيلى لن ينتهى فى يوم وليله. لأنه وببساطه شديده التعقيد صراع ذو طابع حضارى طويل الأمد.الغلبة فيه لمن يمتلك عن اقتدار أدوات العصر النووى وانجازات العلم والتكنولوجيا المصرية. واذا كان رسم الحدود سيحول بينها وبين التوسع الجغرافى، فان التفوق التكنولوجى الشامل يمكن أن يحقق لها انتشار النفوذ والهيمنة على الوطن العربى وفى القلب منه مصر موقع القيادة والقائد للأمة العربية. ولهذا فأن اسرائيل توظف لهذه الحرب الشاملة الضروس كل امكانيات الصهيونية العالمية وفى مقدمتها جهاز استخباراتها «الموساد» الذى يرتبط بعمليات تنسيق متكاملة مع المخابرات الامريكية وكل اجهزة المخابرات فضلا عن توظيفه للجاليات اليهودية فى كل انحاء العالم، الامر الذى يوفر له ميزات متعدده وغنيه الاتساع فى نسج شبكة عريضة من علاقات العمل المتنوعة مع أصحاب أعمال مصريين وعرب، يشكلون نقط إرتكازه فى حربه داخل برمصر.

فهل يدرك مهندسو السياسة المصرية الرسمية أن اسرائيل تشعل اليوم لسنوات قادمة الحرب فى برمصر بوسائل أخرى؟ انه لأمر لويدركون خطير

حسين عبد ربه

حول تصريحات الرئيس عن الموقف الأمريكي من القضية الفلسطينية



أثارت التصريحات التى أدلى بها الرئيس «حسنى مبارك» للصحفيين عقب انتهاء مراسم الاستقبال للرئيس التونسى «زين العابدين بن على» - ٦ مارس ١٩٩٠ - والتى تناولت موقف الادارة الأمريكية من القضية الفلسطينية ، موجة من التساؤلات - الغاضبة أحيانا- بين عدد كبير من المواطنين ، الذين فوجئوا بهذه الشهادة المجانية المغايرة للواقع ، التى تطوع الرئيس مبارك بالأدلاء بها لصالح البيت الابيض الأمريكى .

قال «مبارك» .. «أريد أن أقول إن الادارة الأمريكية تعالج موضوع القضية الفلسطينية بعدالة فائقة .. ويجب أن نتمشى جميعا مع العدالة . وفى الحقيقة فإننى أحيى الرئيس الامريكى ، ووزير خارجيته ، لأنها يتمشيان بمنطق ، وعقلانية مع هذا الموضوع ، وبدون تحيز لأحد .. »

وبالقطع فهذا التصريح الغريب الذى يتناقض مع كل الوقائع الثابته والمعلومة للكافة حول الموقف الأمريكي المنحاز لإسرائيل ، وحول الدعم اللا محدود العسكرى والاقتصادى والسياسى وفى المنظمات الدولية للعدوان الاسرائيلى ، والدور الأمريكى فى هجرة يهود الاتحاد السوفييتى .. ليس ذلة لسان من الرئيس مبارك ، أو نتيجة لغياب المعلومات ، ولكنه موقف متسق ، تفرضه مصالح الحكم ، الذى أوغل فى التبعية إلى حد أصبح معه عاجزا عن التصرف بحرية فى كافة قراراته الأساسية الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

واذا كان صحيحا أن علاقات التبعية بدأت تنسج خيوطها منذ انقلاب ١٣ مايو ١٩٧١ بزعامة السادات ، وإعلان سياسة الانفتاح (١٩٧٤) وزيارة القدس وإتفاقيات كامب ديفيد .. فالسنوات الثمانى التى إنقضت من حكم الرئيس مبارك ، شهدت مزيدا من أشكال التبعية

الحكم الفلسطينية والاقتصادية

تبرها ، والخضوع للبيت الأبيض . ومراجعة سريعة لبعض القرارات والمواقف خلال هذه السنوات تؤكد لهذه الحقيقة المؤسفة .

تبعية إقتصادية

لقد إستمرت الحكومات المتعاقبة فى سياسة الاقتراض من الخارج ، حتى وصلت ديوننا الخارجية فى نهاية أبريل ١٩٨٥ طبقا لتقرير سرى رفعه وزير الاقتصاد الى رئيس الوزراء ٤٤ مليار و ٣٠٠ الف دولار) وإرتفع الدين الخارجى خلال عام ١٩٨٦ ،حده بمقدار ٨ مليار و ٧٤ مليون و ٥٠٠ الف دولار . ويقدر الدين الخارجى فى نهاية ١٩٨٩ بحوالى ٥٥ مليار دولار .

ووقعت الحكومة المصرية سلسلة من الاتفاقات تنتهك السيادة المصرية بصورة فظه ، وتفرض شروطا إقتصادية وسياسية .. مثل إتفاقية القرض الأمريكى ببيع القمح فى مصر (٧يونيه ٨٤) ، وإتفاقية قرض بنك الاستيراد والتصدير الأمريكى مع مصر للطيران ، وغيرهما . فمن شروط هذه الاتفاقيات ، خفض الدعم للذرة واللحوم ، ورفع الدعم عن الأسمدة الكيماوية ، وعرض ميزانية «مصر للطيران» على البنك الأمريكى سنويا ، أى إعطائه حق الرقابة والتفتيش ، وإخضاع الاتفاقية لولاية القضاء الأمريكى.

وفى يونية ٨٦ صدق مجلس الشعب ، وقبل نصف ساعة من صدور القرار الجمهورى بفض دورة الانعقاد العادى الثانى ، على إتفاقية «تشجيع وحماية الاستثمارات بين جمهورية مصر والولايات المتحدة الأمريكية ، وهى إتفاقية تمس السيادة المصرية وتلزمنا بدفع تعويضات لأمريكا فى حالة وقوع عدوان على بلادنا - من إسرائيل مثلا - يضر بالاستثمارات الأمريكية فى مصر ، وتعطى أمريكا حق التدخل العسكرى إذا فكرت مصر فى تعديل أى إتفاقيات مع شركات أمريكية ، وينزع الولاية القضائية المصرية على الاستثمارات الأمريكية .

المثير أن هذه الاتفاقية وقعت لأول مرة فى ٢٩ سبتمبر ١٩٨٢ فى واشنطون . وشنت صحيفة «الاهالى» حملة ضدها خلال شهرى ديسمبر ٨٢ ويناير ١٩٨٣ أدت الى عدم التصديق عليها . وفجأة وفى ظل أحداث الأمن المركزى جاء الى القاهرة مساعد وزير الخارجية الأمريكى «مورفى» ، وانتهز احتياج الحكم لدعم مالى وسياسى من البيت الأبيض ، فأصر على توقيع بروتوكول تكميلى فى ١١ مارس ١٩٨٦ والتصديق على الاتفاقية ، فلم يملك رئيس الجمهورية إلا أن يضع توقيعه فى ٢١ مايو ١٩٨٦ ، ولم يتأخر مجلس الشعب فى التصديق .

أمريكا ... أمريكا

ولم تقتصر علاقات التبعية على الجوانب الاقتصادية . بل امتدت الى فقدان الارادة السياسية فى الساحة الدولية والعربية ، بل وفى شئون مصر ذاتها .

وأكتفى بأمثلة قليلة تنشط الذاكرة فحسب .

لقد كشفت جريمة العدوان الأمريكى على ليبيا (١٥ ابريل ١٩٨٦) فى واحدة من أبشع عمليات الارهاب الدولى ، عن وجود تواطؤ من الحكومة المصرية . وأزاحت المصادر الأمريكية الستار عن إتصالات تمت طوال عام ١٩٨٥ و ١٩٨٦ للاعداد لهذه العملية العسكرية ، وقيام «بوينيدكستر» مساعد مستشار الأمن القدمى الأمريكى بزيارة مصر فى سبتمبر ١٩٨٥ وبحثه فى القيام بعمل عسكرى ضد ليبيا ، ثم زيارة «وليام كاسى» مدير المخابرات المركزية (C.I.A) لمصر لنفس الغرض للمرة الثانية فى يناير ٨٦ .

ولم تكن مناورات «النجم الساطع» بعيدة عن هذه المؤامرة .

وعقب العدوان الاسرائيلى المدعوم أمريكيا على مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى «حمام الشط» بتونس ، لم يستطع الرئيس مبارك مواصلة الاعلان عن غضبه ، وقال - على عكس ما أعلن ريجان - ان واشنطون لاتوافق على أى عمل من أعمال الارهاب ، وأنها لا علم لها بعملية حمام الشط . وفسر وزير الخارجية الموقف بوضوح ، عندما قال أن الحكومة لاتستطيع الاستجابة لدعاوى المعارضة باتخاذ مواقف قوية تجاه إسرائيل وأمريكا لأن البلاد مثقله بالديون الأمريكية .

تأكد الموقف المصرى العاجز أمام أمريكا عقب اعتراض الطائرات المقاتلة الأمريكية للطائرة المدنية المصرية التى تقل الفلسطينيين الذين إختطفوا السفينة الإيطالية «أكيلولاورو» و اجبارها على الهبوط فى قاعدة أمريكية بصقلية . وكشفت العملية عن عمق الاختراق الأمريكى للاجهزة المصرية ، حتى أكثرها حساسية ، وتسللها الى كل المواقع وصولا الى مكتب رئيس الجمهورية ، كما كشفت الوثائق الأمريكية التى نشرت فى كتاب «الحجاب».

واستكملت حلقات التبعية بتوقيع المشير «عبد الحليم أبو غزالة» وزير الدفاع السابق على ما سمى بمذكرة التفاهم ، مع وزير الدفاع الاميركى فى ابريل ١٩٨٨ ، وتعهدت مصر فى هذه المذكرة بمنح مزيد من التسهيلات والإمتيازات العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية ، وتعهدها بحظر منح تسهيلات عسكرية تتجاوزها لأى أطراف عسكرية تتبع دولا أخرى إلا بموافقة مشتركة من الولايات المتحدة ومصر ، وعدم القيام بأى أعمال تناهض إتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية ، أو تخرق ملاحقها العسكرية .. الخ .

وانعكست هذه القيود كلها على سياسة الحكومة المصرية تجاه القضية الفلسطينية ، وإرتباك هذه السياسة ، وخضوعها فى النهاية للسياسة الأمريكية ، وهو مايفسر الأزمة التى. إنفجرت أخيرا بين المنظمة والحكومة وإعلامها .

والتصريح الأخير للرئيس مبارك يأتى فى سياق هذه الأوضاع ، خاصة بعد أن صعّد صندوق النقد الدولى من ضغطه على الحكومة المصرية ، فطالب بأن تصدر الحكومة مجموعة من القرارات المتضمنة فى خطاب النوايا قبل توقيع الاتفاق ، مما أدى الى تأجيل التوقيع ، ربما الى شهر يونيو القادم . وإحساس مبارك بالأزمة يدفعه الى المزيد من محاولات إرضاء البيت الأبيض علّه يرضى ، فيرضى بالتالى صندوق النقد الدولى ، ويوقع على الاتفاق مع الحكومة المصرية ..

وهذه هى شروط التبعية ، ولاخلاص منها إلا بالتغيير الحقيقى فى السياسات .وهو ما لايريده ، ولا يستطيعه الحكم القائم .

حسين عبد الرازق

الحكومة تبيع الشركات الرابحة وتعطى الادارة

الحملة التى نشهدها هذه الأيام ضد «القطاع العام» ودوره القائد فى الصناعة، تحت شعارات الاصلاح والتطوير، ليست الأولى، ولن تكون الأخيرة.فمنذ أقدم «السادات» على التفريط فى إستقلالنا الوطنى بسياسة «الانفتاح» وإصداره لقانون الاستثمار العربى والأجنبى عام ١٩٧٤،

والحملات تتوالى موجة إثر موجة.. تتراجع حينا أمام مقاومة الطبقة العاملة المصرية والقوى الوطنية والتقدمية.. ثم تعود مرة أخرى تحت مسميات مختلفة، وفى أشكال جديدة.

والحملة الأخيرة التى تشنها حكومة الدكتور عاطف صدقى تنفيذا لتوجيهات «صندوق النقد الدولى»، القوة الحاكمة المسيطرة على سياسات الحكم بمساندة جوقة من يسمون «رجال الأعمال المصريين» يتزعمهم الطفيليون، ومن بينهم - للأسف - اثنان من رؤساء شركات القطاع العام السابقين، فى مجال صناعة السيارات والتجارة الخارجية.

خطة التصفية

وخطة الحكومة الرأسمالية (الحالية) تهدف الى مايسمى ب «خصخصة» الادارة، أى ادراة القطاع العام بواسطة رأسمال القطاع الخاص تحت إسم الادارة المحترفة وبدعوى فصل الملكية عن الادارة، وإعادة تشكيل الجمعيات العمومية بحيث تصبح أغلبيتها من القطاع الخاص، وإنهاء علاقة الحكومة بالقطاع العام وتبعيته للوزارات المختلفة، وإلغاء إشراف ومراقبة أجهزة الرقابة والجهاز المركزى للمحاسبات على شركاته.. ثم السماح ببيع أجزاء من القطاع العام للقطاع الخاص، بعد إصلاح أوضاعها الاقتصادية وتحويلها من شركات خاسرة الى شركات رابحة، والسماح بتأجير أجزاء من القطاع العام للقطاع الخاص، وبيع شركات التجارة الداخلية والسلع الغذائية ووحدات القطاع العام المشاركة للتحكم الفعلى للقطاع الخاص، وعرض الزيادات فى رؤوس أموال القطاع العام للبيع للقطاع الخاص.. وأخيرا تحويل الهيئات العامة الى شركات قابضة تملك حافظة السندات المالية للقطاع العام ، وتمهيد طرح أسهم الشركات الداخلة فى نطاقها للبيع فى سوق الأوراق المالية.

ولتنفيذ هذه السياسة وضمان تجاوب الرأسمالية المصرية والأجنبية، تعد الحكومة لسلسلة أخرى من الاجراءات تمس الطبقة العاملة مباشرة، فى مقدمتها.. إطلاق حرية فصل العمال كإجراء عقابى، أو لتوفير العمالة الزائدة عن الحاجة. وتشديد العقوبات على العمال والتسليم بحق الادارات فى نقل العامل خارج الشركة دون موافقته، وإلغاء مشاركة العمال فى مجالس ادارات الشركات، وإلغاء نصيبهم فى الارباح، ونظام التوقيات القائم، وتقييد حق تكوين اللجان النقابية وإبعادها عن الدفاع عن مصالح العمال.

أسباب الخسارة

والحجة الاساسية التى تستند اليها الحكومة والرأسمالية المصرية فى الدعوة لتصفية القطاع العام، هى مايتردد عن خسائر شركاته. الغريب أن الشركات الخاسرة عددها محدود للغاية ولاتمثل نسبة تذكر فى إجمالى القطاع العام. وعلى سبيل المثال أشير الى أرقام هيئتين فقط من هيئات القطاع العام وعددها ٣٥ هيئه.

فالمؤسسة العامة للصناعات الغذائية فى عام ١٩٨٩/٨٨ بلغت قيمة الانتاج فى شركاتها ٤٩٨٠ مليون جنية، والارباح والضرائب والرسوم ١٥٨٣ مليون جنية منها ١٤٣٦ أرباح صافية.

أيضا هيئة الصناعات المعدنية (عن نفس العام) بلغت قيمة الانتاج فى شركاتها ٢١٣٠ مليون جنة والصادرات ٧٩٣ مليون جنية والارباح ٢٨٤ مليون جنية.

ولعلنا لانغضب السادة الرأسماليين عندما نسأل عن حجم القطاع الخاص الاستثمارى فى مصر مقارنا بالقطاع العام؟

وعن حجم خسائر القطاع الخاص الاستثمارى والتى تتجاوز بكثير خسائر بعض شركات القطاع العام؟

ولعلنا لانتجاوز الحقيقة إذا سجلنا ان خسائر القطاع العام هى نتاج لسياسات حكومية، ولمناخ معاد القطاع العام يسود المجتمع المصرى نتيجة لسياسات التبعية.

لبعض قيادات القطاع العام المختارين من الحكومة، إما فاسدة أو عاجزة، وتديره بشكل عائلى وفى أحيان كثيرة لصالح القطاع الخاص.

والقطاع العام لايتمتع بما يمنح للقطاع الخاص والاستثمارى من إعفاءات جمركية وضريبيه، أوحرية فى تسعير منتجاته.

وتغيب داخل القطاع العام- استمرارا لسياسة الدولة- الديمقراطية داخله، فالادارة تتسلط ضد العمال، وتقيد مشاركتهم فى الادارة، وتعطل لجان الأنتاج الرئيسية والفرعية، والتى شكلت ضمانا للرقابة الشعبية وصيانة المال العام وتنظيم عمليات الانتاج، وتقديم الحلول لمشاكله. وقد نجح القطاع الخاص والاستثمارى فى سرقة الكفاءات الفنية والادارية من القطاع العام، مستفيدا من إخضاع القطاع العام للأئحة الموحدة للأجور والعلاوات التى شكلت معوقا حقيقيا فى طريق تحسين الانتاج وزيادة الجودة.

ديمقراطية الانتاج

إن الحملة على القطاع العام، والتى ساهم فيه رئيس الاتحاد العام لنقابات عمال مصر بدور رئيسى بتوقيعه على البيان المشترك بين اتحاد العمال ورجال الأعمال، قد وصلت الى ذروتها.. ومواجهتها مسئولية مشتركة لنا جميعا.. لكل القوى والاحزاب والطبقات الحريصة على الكفاية والعدل.. على زيادة الانتاج وعدالة التوزيع.. الساعية حقا لتحرير مصر من التبعية، وخروجها من أزمتها الاقتصادية..

وحماية القطاع العام واضطلاعه بدوره وعلاج مشاكله أمر قابل للتحقق. ويتطلب الاتفاق على برنامج يشمل استغلال الطاقات المتاحة الى أقصى حد ممكن، واللجوء الى تكنولوجيا مناسبة عند

لجنة لحماية القطاع العام وتحقيق الديمقراطية



عاطف صدقى

أحمد العبارى

إجراء عمليات الاصلاح والتجديد الضرورية فى القطاع العام، وعدم اللجوء الى التكنولوجيا عالية ومرتفعة الثمن تزيد من ربط الاقتصاد الوطنى بالسوق الرأسمالى، ومساهمة البنوك بما يوازى مديونيتها فى القطاع العام فى رؤوس أمواله، وتطبيق قانون موحد يساوى بين القطاعات المختلفة (عام وخاص واستثمارى) فيما يتعلق بالجمارك والضرائب والاعفاءات والاستيراد والتصدير، وتصفية أرضيه القطاع العام فى الشركات المشتركة، وتوفير حريه للادارة التنفيذية فى إطار السياسات التى يتم تحديدها فى مجلس الوزراء، ومساءلة الجمعية العمومية للادارة عن انجازاتها فى ضوء الخطط والأهداف المحددة سلفا، وأن تبيع الشركات منتجاتها بسعر السوق، والغاء النصوص الواردة بالقانون ٩٧ لسنة ٨٣ بمشاركة ممثلى القطاع الخاص فى الجمعيات العمومية للقطاع العام، وتطوير منتجات القطاع العام

كما يتطلب فى الجانب العمالى والديمقراطى، الاقرار بحق النقابات فى عقد اتفاقات جماعية مع تأكيد مبدأ الأجر المتساوى للعمل المتساوى وتحديد العلاوة السنوية بمفاوضات بين النقابة والادارة، وان يتحرك الأجر بنفس نسبة تحرك الأسعار، وإعادة تشكيل لجان الانتاج الفرعية والرئيسية التى أوقف العمل بها منذ عام ١٩٧٦ والتى تختص بمناقشة خطط الانتاج والأجور، فهى الضمانة لوقف الفساد ورفع الانتاج والجودة وتحسين إقتصاديات التشغيل وسيادة روح الديمقراطية داخل المصانع .. وتحرير النقابات من الخضوع لقانون تضعه الدولة، بل يستقل التنظيم النقابى بوضع لوائحه فى كل مستوى، وتأكيد استقلالية التنظيم النقابى وعدم تدخل الحكومة أو الادارة أو الأحزاب فى شئونه، وتمتع المنشأة النقابية بالشخصية الاعتبارية، وإقرار تشكيل المندوب النقابى، والاقرار بحق الاضراب كسلاح أساسى للطبقة العاملة للدفاع عن حقوقها وتحسين ظروف وشروط عملها، وحق التنظيم النقابى فى الاجتماع وعقد الجمعيات العمومية دون تصريح سابق، وإطلاق الحد الأقصى للارباح وعدم تقييده، وأن يكون نصيب العمال فى الأرباح المخصص للخدمات، تحت تصرف العاملين بكل شركاته للتوسع فى الخدمات التى تعود عليه بشكل مباشر.

إن معركة القطاع العام توشك أن تدخل مرحلتها الحاسمة..

ومن حقنا - كعمال- أن نتساءل..

هل يترك الشعب المصرى هذا الصرح الشامخ الذى بناه بالجهد والعرق ينهبه الطفيليون؟

هل تسمح الطبقة العاملة المصرية لأحد أن يعيدها لعبودية رأس المال ؟

نبيل عبد الغنى

لماذا أبقى شيوعيا؟!

لايحتاج المرء أن يكون مجنونا لكى يكون شيوعيا اليوم. فأنا شيوعى وأشعر أننى عاقل تماما. وأردد أن أقول إننى شيوعى فى الحزب الشيوعى البريطانى، لأن الاساليب الستالينية لقيادة الحزب غير مقبولة. ولكن أن تكون شيوعيا فذلك أمر مختلف.

إن لليسار حججه المقبولة، والتغيرات التى تجرى فى الشرق - وفى الغرب أيضا - تعنى أن الافكار الاشتراكية لايجرى دفنها وإنما تبدأ حياة جديدة. إن تقييما عقلانيا للرأسمالية والمستقبلات البديلة يمكن أن يزدهر الآن، بعد أن تحرر من نفايات الحرب الباردة.

إننى شيوعى لأن حياة الجماهير المادية والروحية تزداد فقرا، ولأن هذه الجماهير غير حرة. ولا أعتقد أن الرأسمالية قادرة على تدارك هذه الآفة، بل هى تنشطها وتزيدها سوءا!

إن معنى أن تكون شيوعيا هو أن تعتقد أنه بتنظيم المجتمع ديمقراطيا وعقلانيا يمكن بناء عالم تتحقق فيه القدرات الخلاقة للشعوب. أما ترك العالم تحت رحمة السوق والشركات الدولية التى لا تخضع لحساب فلن يؤدى إلى أمل فى المستقبل.

وقد يكون لمثل هذه القناعات صدى خيالى (يوتوبيا) هذه الايام. ألا تتجاهل التاريخ الحديث وتتعامى عن فضائل الرأسمالية وتتخذ موقفا ساذجا من كوارث الاشتراكية؟

ومع ذلك فإننى لا أعتقد أن مثل هذه القناعات يمكن أن تنحى بسهولة.

بالطبع لقد ظهرت باسم الاشتراكية نظم لها بعض السمات المفزعة. ومن الممكن أن ندرك نقاط القوة الكبيرة فى الرأسمالية وقدرتها على تحويل حياة بعض الناس إلى الأفضل. بينما نرى فى نفس الوقت أن قاعدة الربح تولد أيضا تباينات اجتماعية بشعة وحياة فاسدة للملايين. لقد كان هذا هو منظور ماركس، وإلى حد كبير فإن الشواهد تؤكده.

لقد كان ماركس مصيبا عندما قال إن السلطة الاقتصادية - فى ظل الرأسمالية - تتركز باستمرار فى أيدى شركات ومؤسسات ضخمة لا تخضع عمليا لأى حساب. واليوم نرى أن السلطة الاقتصادية لهذه الشركات تتخطى بسهولة سياسات دول ديمقراطية. وقد يكون هذا النظام محتملا - وإن لم يكن مرغوبا - لو أن هذه المؤسسات فعلت هذا بشكل جيد. لكن كل خبراتنا توضح أن الشركات الرأسمالية لايمكن أن تزدهر إلا بالاساءة إلى أرواح الكثيرين.

وحتى لو كانت أحوال سكان الاقطار المصنعة أفضل كثيرا اليوم عن أحوالهم أيام ماركس، فلا تزال ديناميات النظام تستند إلى نفس الأسس. فلا يزال السوق لايعرف طريقا أفضل لحفز منتجات جديدة إلا بطرد الملايين من العمال.

إن النمو فى اقتصاديات دول غرب أوروبا لم يكن ممكنا إلا لأن الملايين قد أصبحوا عاطلين عن العمل. وحياة هذه الملايين قد أهدرت فى ألمانيا الغربية والاقتصاديات القوية الأخرى كما أهدرت فى بريطانيا. وقد تكون مفارقة أن نتحدث عن « الجيش الاحتياطى من العمال »، لكن المفارقة الاكبر هى أن هذا النظام مازال قائما حتى اليوم.

هناك من يقولون إن البرهان على أن الرأسمالية قد تغيرت هو أن العمال يقبضون أجورا أفضل ويعملون ساعات أقل مما أدى إلى مكاسب حقيقية فى مستوى معيشتهم. وإذا أغمضت عينيك عن اللامساواة التى يختص بها النساء السود فمن الممكن أن تقنع نفسك بأن تجاوزات الرأسمالية فى الاستغلال هى من تراث الماضى. ولكن هل هذا صحيح؟

إن كل من رأى ظروف العالم الثالث. والفقر والحياة المحاصرة للمنتجين المحاطة بجيوب الثروة الضخمة ذات الارتباط بالمال الدولى، لايمكن أن يشك فى أن هناك خطأ فادحا. فللملايين عبر القارات الثلاث هناك مأساة ازدادت اتساعا خلال هذا العقد.

إننى شيوعى لأننى أعتقد أن هذه الحقيقة البشعة لايمكن فصلها عن الرأسمالية مثلما لايمكن فصلها عن ثروة الناس العاديين فى أوروبا الغربية أو أمريكا أو اليابان. ولقد تراكمت الشواهد على هذا عبر القرون ومن السهل أن نجد أمثلة جديدة على ذلك.

وإليك مثالان عن حقائق عصرنا.... أولهما أن العمل المهلك لنساء العالم الثالث هو الذى جعل ملابسنا مقبولة الثمن، وثانيهما أن برامج التقشف فى العالم الثالث هى التى أجبرت أفقر الفقراء على تمويل أقساط الفوائد التى تدفعها حكومات هذا العالم للغرب.

ولأن تكون شيوعيا يعنى أكثر من مجرد إدراك أخطاء الرأسمالية. وإنما يعنى الاعتقاد بأن الاشتراكية يمكن أن تقدم شيئا أفضل بكثير. وقد يبدو هذا الاعتقاد بعيد المنال على ضوء البشاعات المعروفة ابتداء من الستالينية إلى فواجع البيئة فى ظل الانظمة الشيوعية. ومن الممكن أيضا أن نسرد قائمة ببشاعات الرأسمالية الحديثة. ولكن مقارنة قوائم البشاعات فى النظامين لاتفيد فى تقرير أيهما أفضل.

لكن مما له دلالة أنه الآن - أى عام ١٩٨٩ - من الواضح أن اشتراكيات أوروبا الشرقية والسوفييت قد استطاعت أن تفحص تاريخها علنا - فى جانبى التقدم والجرائم - وأنها تملك عزما هائلا على تطوير سياسات اشتراكية جديدة. وإن انفتاح الحياة السياسية فى الاقطار الاشتراكية هو أعظم سبب للاعتقاد أن الاشتراكية تدخل مرحلة جديدة واعدة وأكثر ديمقراطية.

فماذا عن قدرة النظام على إعطاء مستوى جيد فى المعيشة؟ إن نقص الحبوب فى الاتحاد السوفيتى فى بعض السنوات معروف جيدا، وبعض أنواع الفشل الاقتصادى تصطدم المرء أيضا، ولكن لايوجد شئ ضمنى فى التخطيط يؤدى إلى نقص الفوط الصحية للنساء السوفييت، وأو يجعل سكان برلين الشرقية يندفعون لشراء الفاكهة الطازجة بمجرد فتح السور. فهذه النواقص تنشأ نتيجة أخطاء جدية فى أنظمة التخطيط وليس فى الاستراتيجية الاقتصادية الاشتراكية.

ورغم هذه الاخطاء فقد أظهرت الاقتصاديات الاشتراكية نموا ملحوظا، وفعلت الكثير لضمان الرعاية الصحية الشاملة والتعليم والعناية بالجميع. صحيح أن هناك امتيازات وفساد، ولكن على عكس النظم الرأسمالية فإن الفوارق الضخمة فى مستويات المعيشة ليست من سمات الاقتصاد الاشتراكى. ولقد تحقق كل هذا فى ظل اقتصاد دولى تحكمه الشروط الرأسمالية وخلال حرب باردة أدت إلى تحويل مصادر هائلة إلى الجانب العسكرى بينما منعت التعاون التكنولوجى.

كل هذا يمكن أن يتغير اليوم، وهناك فرصة حقيقية فى نجاح استراتيجيات اشتراكية جديدة لادارة الاقتصاد.

إن النقاد الذين يقولون إنه لاتوجد قوة حقيقية للاشتراكية اليوم ينتهون إلى إعلان انحسار الطبقة العاملة وبالتالى السياسات الطبقية فى الغرب. إن هذا سخفا واضحا حتى لو كانت الافكار الاشتراكية الجادة قد صُفيت من الحياة العامة فى بريطانيا. ومهما كانت نظرتك إلى سياسات الطبقة العاملة هنا فلا ينبغى أن تتجاهل قوة السياسات الاشتراكية فى العالم الثالث.

لورنس هاريس
ترجمة عبد المنعم أنيس

القلعة.. حكايات الحصار

الوظيفة الحقيقية لمتحف الشرطة.. أو سجن القلعة



"ابن تيمية" أول سجين رأى يدخل معتقل القلعة

لم يبيحوا سكناها لكل أحد... انها الطابية.. المعقل.. الحصن.. «القاهرة».. التى سميت يوم كانت قلعة فى خطط القائد جوهر الصقلى». قصد لها يوم أسست ٣٥٨ ، ان تكون حصنا للفسطاط.. ومعقلاً لعساكر الفاطميين ومقراً، لخلفائهم.

ولهذا حوصرت فى الزمن الفاطمى بين أربعة خنادق.. خندق فى الجنوب كان قد حفره عمرو بن العاصى، وخندق اليحاميم شرقا وخندق فى الغرب وأخر فى الشمال.

وفى سورها الممتد بنيت الابواب المنيعه (باب النصر.. باب الفتوح.. باب القوس.. باب سعاده.. الباب المحروق.. باب القنطره.. باب الفرج.. باب الخوضه.. وبابان متلاحقان سميابباب زويله) وعلى الابواب ركب البستان الكافورى أو بوابات الحديد

وحين شرع « صلاح الدين الايوبى » فى بناء سور آخر منيع للقاهرة ٥٦٦ ، قدرت بواباته ب ٧١ بابا منها ماهو داخل البلد فى السور القديم أو ماهو فى السور المحيط الذى اتخذ شكلا غير منتظم كثير الاضلاع وامتد الى مايقرب من ٢٤ ألف متراً من الحجارة. ويصف على مبارك فى (الخطط التوفيقيه) كيف ضربت البوابات على الدروب والحارات والعطوف فى القاهرة كل بوابه

الشيوعيون والناصريون والاخوا

تغلق عند العشاء وينام خلفها بواب بأجره من اهلها ولا يتأخر أحد بعد العشاء خارج الحارة الا لضرورة. مع تنبيهه على البواب حتى يفتح له اذا حضر وقد كان أهل البلد يبالغون فى متانة الأبواب فيصفحونها بالصفائح الحديدية، ويسمرونها بالمسامير الكبيرة، ويفرطحون رؤوسها ويجعلون بأكتاف الباب السلاسل المتينه ويجعلون للباب الضبب والضبتين فى الخارج والداخل، ويزيدون من الداخل الترباس وهو خشبه طويله ينقرون لها نقراً يبيت فيه»

... الشهادة على الجدران

هى أسوار المدينة وابوابها بدايات الخوف وحكايات الحصار الاولى وللحصار دائما ان يستدعى حصاراً أخر.. هكذا أمر صلاح الدين الايوبى وزيره النسر الاسود الأسير بهاء الدين قراقوش الاسدى ببناء قلعة الجبل لتكون معقلاً وحصناً أخر يعتصم به من اعدائه خاصه من الشيعه الفاطميين هدم قراقوش المساجد، وأزال القبور، وهدم العديد من الأهرامات الصغيره بمنف (الجيزة حالياً) حيث نقل حجارتها لبناء سور القلعة ويقال ان قراقوش حين شرع فى بناء القلعة ٥٧٢ ﻫ (١١٦٦م) سخر ٥٠ ألف أسيراً من الافرنج.

هى الاهرامات الاخرى.. او القلاع حصن الموتى.. الحكام، وحصن العبيد .. لكن الحصار لايغلق فى أبوابه وجه الخارج وحده محميا وراء متاريس المكان المغلق.. ان الخوف يواصل ارتماداته ايضا أمام نفسه لذلك عرفت مصر السجون.

داخل الابراج والابواب والأسوار كانت الدهاليز سجناً لارباب الجرائم.. اما فكره انشاء السجن فقد عرفتها مصر ٢٨ﻫم حيث أنشىء سجن سمى (بسجن المعونه) لكن « صلاح الدين الايوبى » أحاله ال مدرسة مستعيضا عنه بسجن الصبار.

اما المنصور محمد بن قلاوون فى العصر المملوكي، صاحب العمائر الكثيرة طوال حكمه المتد للقاهره فكان أول من انشء فى القلعه سجنا حقيقياً سمى (بسجن الجب) هذا الذى كتب على جدرانه ابن تيميه شهادته:

(النصر لى سعاده.. والسجن عباده.. والموت لى شهاده»

فكان بذلك يدون تاريخه كأول سجين رأى يدخل معتقل القلعه. ... جلس الشيخ «زين الدين بن مخلوف» كبير علماء القاهرة الديني فى القلعة ليبدأ محاكمه « تقى الدين ابن تيميه » .. كان بيبرس الجاشنيكر أتابك العسكر، « وسلاد » نائب السلطان الناصر « محمد بن قلاوون » قد أمر بعقد مجلس من علماء القاهرة الدينيين لامتحان عقيدة ابن تيميه بعدما انتشرت معارضته للصوفيه ووسمهم بالبدعة

– « انت متهم بانك تقول ان الله يجلس فوق العرش حقيقه، أنه يتكلم بحرف وصوت » رفض ابن تيميه سؤال الشيخ مخلوف».. كيف تحكم فى وانت خصمى فما كان من الشيخ مخلوف الا الغضب والاسراع بمغادره المجلس بعد ان حكم بالسجن دون تحديد مدة على ابن تيميه.. ليظل عاما حبيساً فى جب القلعه «وللناصر قلاوون» المشغوف بالعماره، العديد من المنشآت بالقلعه. القصر الابلق.. والجامع الناصرى، والبستان العظيم الذى جلبت له الاشجار من سائر البلاد حتى طلع



الشيخ ابو زهرة: غسيل مخ فى المعتقل

فيه الكادى وجوز الهند...

وهوايضا صاحب حوش القلعه الذى لم يرمثله من قبل حيث اتسعت مساحته الى مايقرب من أربعه فدادين. وفى حوش القلعه أنشأ «السلطان قايتباى » فى العصر التركى (العرقانه) وهو سجن بناه «الطواشى سرور» رئيس الحوش وقد عرف بهذا الاسم بسبب رطوبته الشديدة ويحدثنا محمد احمد بن اياس فى (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) انه... فى شهر رجب عام ٦٠٠ ﻫ توفى الطواشى سرور شاد الحوش (أى رئيسه) وكان عنده قسوة زائده وعسف وظلم وهو الذى أحدث بالقلعه السجن المسمى بالعرقانه من داخل الحوش وكان يحبس به من يختار السلطان من أصحاب الجرائم » وهو الحصار السجن الذى ما كاد يغلق أبواب اسواره على الموكب المملوكى يوم الجمعه ٥ صفر ١٢٢٦ ﻫ داخل القلعه » محاصرين بين باب العزب والباب الاعلى فى المضيق بينها حتى ارسل عساكر محمد على رصاص بنادقهم على الامراء دون أن يتمكنوا من الفرار فكانت مذبحه القلعه. هى مذبحه القلاع جميعها.. وحكايات الحصار الممتد حتى العتمة داخل زنازين مغلقه هى بدايه الحكايه لمعتقل القلعة.. أشهر معتقل سياسى فى تاريخ مصر كلها حيث لاقانون.. لاعدل.. لاحرية وحتى بعد ان أحاله اللواء «أحمد رشدى» الى متحف منذ سنوات قليله فى عصر «مبارك».. ظل جزءاً محاصراً ومقتطعاً من المشهد الجمالى والقانونى حين ظلت تبعيته لوزارة الداخليه مباشره وليس لوزارة السياحه انه السجن.. التاريخ.. المتحف بقياده مباحث أمن الدوله!

« حصار العزله »

فى قلب العمارة الاسلامية الشامخه وامام مسجد محمد على صاغ الاحتلال الانجليزى مشهد الاعتداء على التاريخ الجمالى والسياسى

للقلعه فى منطقه الحراملك (دور الحريم) التى اقامها محمد على».. انشأ الانجليز عددا من الزنازين الضيقه لتتسع لاكثر من ٣٠٠ معتقلا..

بوابه حديديه ضخمه تنفتح على فناء صغير.. ثم صف من الزنازين الشديده الضيق لكل منها باب مزدوج.. الاول من القضبان الحديدية، والأخر من الخشب السميك.. ولاينفذ اليها الهواء الا من كوه ضيقة فى السقف.. فلا توجد نوافذ داخل الزنزانه لكنها فتحة مستطيلة اسفل الجدار عند التقائها بأرض الزنزانه مغطاه بشبكه حديدية لاتسمح بالرؤيه لكنها تسمح بدخول الهواء وفى اعلى السقف فتحه اخرى مغطاه هى الاخرى بشبكه حديديه وبشكل لايسمح الا بخروج الهواء انها العماره الجديدة للحبس الانفرادى. حصار العزله حيث لاشىء سوى الصمت.. لاكتب لاجرائد. لا اوراق.. لا اقلام.. لاصوت.. لاوجوه..لا أخر على الاطلاق انه الحرمان الحسى الذى يحيل الانسان الى كائن بيولوجى.. يأكل على مرحاض. اجرى عالم النفس «دو نالدهب» تجربه على بعض معاونيه..تم تقييد كل منهم داخل سجن انفرادى.. ولاشىء يحيط بهم الا أزيز مروحه قديمه.. بعد ثلاثه ايام

والفرعيون وحتى الحكام ينزلون ضيوفا

دائمين على زنازين القلعة

بدأت انهباراتهم النفسيه وتشوهاتهم الادراكيه.. وانتابتهم الهلاوس والخيالات. لقد ظل السجن الانفرادى هو اقسى عقوبه تأديبيه توقع على المعتقل ولهذا لم يستطع القانون (٤٣ لسنه ١٩٥٦) ان يسمح لها بالتجاوز عن خمسه عشر يوماً باعتبار ان ذلك هو الحد الاقصى للاحتمال البشرى. ظل صلاح عيسى أربعين يوماً وحيداً فى زنزانته بالقلعه.. مرتعداً اذا طرق السجان بابه فقد كان ذلك يعنى عدداً من الخيزرانات وعدداً من الشتائم البذيئه كانت تجرحه اكثر من ضربات العصى.. وحين قلب يوماً غطاء علبه (المربى) ليرى وجهه فزع من ملامحه المقهوره....

الأوجه المستعارة

ومن الاعتداء الجمالى بدأ الاعتداء على القانون والعداله حين ابتدع الانجليز قسم الشرطه السياسى مرسين قواعده الخالده والتى تضع افراده (واقعيا) فوق القانون. منذ وضعت لوائح السجون المصرية ١٩٠١م وبعد ان عدلت بقانون ١٨٠ لسن١٩٤٩.. ثم قانون ٣٩٦ لسنه ١٩٥٦.. والسجون خاضعه جميعاً لمصلحه السجون بوزاره الداخليه. ويحدد القانون اربعه انواع من السجون ١- ليمانات ٢- سجون عموميه. ٣- سجون مركزيه. ٤- سجون خاصه تنشأ بقرار من رئيس الجمهوريه تعين فيه فئات المسجونين الذين يودعون فيها وكيفيه معاملتهم وشروط الافراج عنهم. وسجن القلعه من النوع الاخير.. ويحدد القانون ١٩٦٨ صراحه عدم جواز دخوله على أى فرد الابإذن من النيابه وبأمر كتابى موقع عليه من السلطات المختصه. كما يجب على مدير السجن أو مأموره قبل قبول اى معتقل فيه ان يتسلم صوره من الايداع وبعد ان يوقع على الاصل بالاستلام. تلك هى وضعية السجون قانوناً.. لكن للقلاع منطقها الخاص.. ولقسم الشرطه السياسى تاريخه وملامحه التى تنفى العداله وتفقد السجن والسجين والسجان هويتهم، ويستحيل القانون الى أداه للثأر السياسى ووسيله للبطش والارهاب. هكذا انفردت القلعه بعدد من المخالفات القانونيه.. حركة السجن الوحيد بمصر الذى لم يمتلك فى كثير من الحالات (دفتراً للاحوال) يمكن ان تثبت فيه الخارجون منه والداخلون اليه. وانفردت القلعه ايضا بمكتب تحقيقات تخضع مباشرة للمباحث العامه حيث يتكون طاقم السجن الرسمى من ضباط وجنود ومدير للسجن لكنهم يخضعون جميعا (طبقا للواقع وليس للقانون) للطاقم غير الرسمى من ضباط المباحث العامه. دائما هناك اكثر من ضباط للمباحث مقيم.. جميعهم باسماء مستعاره ،ارقام مزيفه ووجوه مرعبه ومرعوبه. ويتساءل د. عصمت سيف الدوله فى (اعدام السجان).. هل يصلح المرعوب ان يحمل سوط



د. عصمت سيف الدولة:اعدام السجان

القانون؟ ان ضابط المباحث العامه هو نموذج فريد للانسان المعاصر داخل رعبه « انهم يعرفون ان وظيفتهم تحتم عليهم ان يتركوا ضمائرهم واحلامهم وقيمهم فى منازلهم قبل ان يذهبوا الى حيث يعملون.. فهم يعملون معاً بدون ضمائر أو اخلاق أو قيم.. يعملون معاً بالأمر يصدر اليهم فكل منهم عدو للاخر وان كانوا لايقولون.. كل واحد منهم يحمى نفسه من ان يكون ضحيه فيبالغ فى طاعه الجلادين وليس متاحاً لهم من تعويض نفسى عن الرعب الذى يعانون فى اعماقهم الا المبالغه فى الارهاب ».... ربما كان معتقل القلعه من حيث ظروفه المعيشيه افضل سجون مصر. كان هناك دائما متعهد خاص بالتغذيه.. امكانيات النظافه متاحه اكثر من أى سجن آخر.. وربما منح للبعض الفرصه لتلقى الرسائل وزيارات الاهل (هكذا كان يلتقى شمس بدران بزوجته داخل الزنزانه ١٩٧٠).. وشهد شيوعى ١٩٥٩ كما يحكى «الهام سيف النصر» بأن القلعه كانت أحلى ايام اعتقالهم حين لم تستخدم معهم ايه اساليب للتعذيب .. لكن للسوط ملامح اخرى أقل غلظه واكثر أيلاماً.. انه ايضا السوط القانونى.. فوفقاً للمادة ٨١ من قانون ٧٩ لسنه ١٩٦١ تحدد مادة التعذيب والتى تستعمل فى الجلد بأداه عبارة عن يد مخروطه من الشوم طولها ٤٨سم وقطرها بوصه، مركب باحد طرفيها قطعة من سير جلد متصله بحبل كتان مجدول بطول ٢٥ سم والباقى عن سبعه افرع لكل فرع ٦ عقد. .. فى الحكم المملوكى والعثمانى كان الضرب بالمقارع وقطع الاصابع وعصر الارجل والايدى.. يحدثنا ابن اياس انه فى شوال من عام ٩٠٨ ، أمر السلطان بالقبض على «على ابن ابى الجود » المتصرف فى شئون المملكة وسلمه الى الحاج بركات ليعاقبه ويستخلص منه الاموال.. وانزل من القلعه وهو فى الحديد.. وفى الثلاثاء حادى عشرينه صعدوا به الى القلعه مره اخرى وعرض على الحضره السلطانيه بالحوش وضرب امام السلطان بالمقارع حتى فرق جنبه واشرف على الموت.. وفى ذى القعده يتسلمه الوالى ليواصل تقريره..فعصره فى رجليه ويديه حتى اورد شيان من المال الذى قرر عليه. اما «على عبد القدوي بن الجعيان» وكان قد اشتهر عنه انه يزور خطوط المباشرين والقضاه ،كان نادره عصره فى محاكاه خطوط الناس ففى ذى الحجه ٨٣٨ ، صعدوا به الى القلعه مقيداً حيث رسم السلطان بقطع اصابعه. لم تنس المباحث العامه العصى والخيزارن والجلد وفقاً للقانون لكنهم ابتدعوا ايضا اضافتهم الهيستريه فى حصار العزلة.. والمودات الناعمه المعتديه.. وغسيل المخ. امضى الشيوعيون ١٩٥٩ ثلاثه اشهر بالقلعه يستمعون فيها الى محاضرات من الدكتور طعيمه الجرف «والشيخ محمد ابو زهره» وغيرهم من اساتذه جامعه القاهرة لانتزاع العقيده السياسيه من المعتقلين.. ويشير «الطاهر عبد الحكيم» فى الاقدام العاريه.. انهم كانوا يلقون عليهم محاضرات حول الاشتراكيه والشيوعيه ومطامعها الاستعماريه ثم تجرى لهم امتحانات تحريريه فيما استمعوا اليه من محاضرات. .. وقد عرفت القلعه للمرة الاولى اعتقال النساء برغم

البقية ص ٧٦

عبلة الرويني

نيابة أمن الدولة والحاكم العسكرى فى قفص الاتهام

فجرت حيثيات الحكم التى أصدرتها محكمة أمن الدولة العليا برئاسة المستشار «محمد سعيد العشماوى» فى قضيتى» التنظيم الناصرى و «الحزب الشيوعى المصرى»، قضيتين بالغتى الخطورة والأهمية.القضية الأولى تتعلق بالتحقيقات التى تجريها نيابة أمن الدولة العليا ومدى حيدتها وبين المتهمين وسلطة الضبط، والضمانات التى يحصل عليها المتهمون فى التحقيقات التى تتولاها هذه النيابة.وإنتهت المحكمة بالمطالبة بانهاء دور النيابة فى مجال التحقيق فى قضايا الرأى والقضايا السياسية.

قالت المحكمة فى حيثياتها فى قضية التنظيم الناصرى فى تعليقها على التعذيب الذى تعرض له المتهمون..

«إن يقين المحكمة ليفزع وضميرها يجذع وهى ترى أن أى متهم قد تعرض للتعذيب المادى أو النفسى أو العقلى.". والتعذيب عموما- مهما كانت صورته- عدوانا على الشرعية من حماة الشرعية، وإعتداء على حقوق الانسان ممن واجبه الحفاظ على حقوق الانسان.

وحيث أن المحكمة لاحظت فى هذه الدعوى أن المطاعن التى توجه عادة إلى محاضر الضبط قد استطالت حتى وصلت الى محاضر تحقيق النيابة، مثل الاتهام بعدم الحيدة، وعدم أثبات كل الأقوال والوقائع، والتهديد بالإيذاء، ومجاملة رجال الضبط، وغير ذلك، وهو أمر لابد أن يؤثر على العمل القضائى بأكمله إن إستمر وإستشرى..

وإن المحكمة وقد ساءها أن يصل التجريح الى محاضر تحقيق النيابه العامة، ويكون محمولا على أسباب لها فى الأوراق دليل، فإنها تدعو إلى تعديل التشريع بحيث يتولى قضاة التحقيق وحدهم فى قضايا الرأى، وأن يتسير للمتهم فى القضايا ذات الطابع السياسى طلب ندب قاض للحتقيق بحيث يبطل أى إجراء فى التحقيق إذا تم دون إجابة المتهم إلى طلبه..

وعادت المحكمة فى قضية الحزب الشيوعى المصرى فطالبت فى حيثياتها المشرع بتعديل التشريع بحيث يكون قاضى التحقيق هو جهة التحقيق وليست النيابة العامة. باعتبار ان ذلك هو أصح طريق لضمان حريات الأفراد، وصيانة حرية الرأى، وتحقيق حكم الدستور.

وبإثارة محكمة الإستئناف لموضوع قاضى التحقيق فى قضايا الرأى والقضايا السياسية، ومطالبتها بفصل سلطتى التحقيق وتوجيه الاتهام أعيد لدائرة الضوء مرى أخرى ذلك التساؤل حول مدى عدالة توحيد سلطتى الاتهام والتحقيق.

نعم.. لقاضى التحقيق

ويكمن الخلاف بين سلطتى الاتهام والتحقيق أن دور الأولى هو تحريك الدعوى الجنائية ثم تجميع الأدلة التى تساند الإتهام وتدعيمها لدى القضاء، ويمثل الإتهام الادعاء فى الدعوى الجنائية ومن ثم كان بالضرورة طرفاً يواجه المتهم.

أما سلطة التحقيق الإبتدائى فدورها مختلف لأنها تنقب عن أدلة الدعوى جميعا، ما كان منها ضد مصلحة المتهم وما كان فى مصلحته ثم الترجيح بينها فى حيدة تامة وبغير رأى مسبق فيه ضد المتهم، واتخاذ قرار بكفاية الأدلة من عدمه لإحالة المتهم للمحاكمة.

فسلطة التحقيق لاتقف الخصومة من المتهم بل إنها تسعى لإكتشاف الحقيقة، سواء كانت ضد المتهم أو لصالحه.

ويقول د. محمود نجيب حسن إستاذ القانون الجنائى ورئيس جامعة القاهرة السابق فى كتابه «شرح قانون الاجراءات الجنائية» حينما صدر قانون الاجراءات الجنائية قرر المشرع الفصل بين السلطتين فجعل الإتهام من اختصاص النيابة العامة، وجعل التحقيق الإبتدائى من اختصاص قاضى ينذب لذلك ويتفرغ له وهو قاضى التحقيق.

لكن المشرع عدل عن هذا الفصل بالمرسوم بقانون رقم ٣٥٣لسنة ١٩٥٢ الذى جعل للنيابة العامة، الإختصاص بالتحقيق الابتدائى فصارت بذلك تجمع بين سلطتى الإتهام والتحقيق.

وكانت قبل ذلك وطبقا للمادة ١٩٩ من قانون الاجراءات الجنائية.. مباشرة قاضى التحقيق للتحقيق وجوبية فى الجنايات، ولايجوز أن تباشره النيابة العامة.. ولكن جوازى فى الجنح.

ويؤكد د. نجيب حسن على أن جمع سلطة واحدة بين الإتهام والتحقيق يجعلها أميل لتدعيم الاتهام باعتبارها التى وجهته، ويعنى ذلك أن يكون إهتمامها الغالب بجمع الأدلة ضد المتهم، وأن ينزل للمرتبة الثانية إهتمامها بتمحيص الأدلة التى فى مصلحته.. وكل هذه العيوب تزول لو عهد بالتحقيق الإبتدائى لسلطة غير سلطة الإتهام إذ يتاح لها أن تتولاه فى حياد بين الاتهام والمتهم، فليس لها رأى مسبق ولا انحياز مفترض.

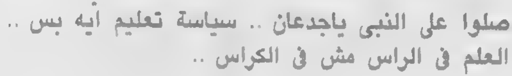
ويبنى اصاب وجهة نظر عدم التوحيد بين السلطتين موقفهم على أساس من صعوبة توفير العدد الكافى من قضاه التحقيق، وأن التشريع المقارن يميل لهذا الجمع. وان الحصانة القضائية قد امتدت لتشمل

البقية (ص ٣٤)








صلوا على النبى ياجدعان .. سياسة تعليم أيه بس ..
العلم فى الراس مش فى الكراس ..

تحريم قصيدة نزار جزء من تيار تحريم

نجيب محفوظ والغناء والقطار وشهادات الاستثمار

على الرغم من كثرة مايكتب عما يسمى بالصحوة الإسلامية، فإننا نادرا ما نميز بين التدين كظاهرة فردية والتدين كسلوك اجتماعى.

فالمؤكد أن الظاهرة التى انتشرت عندنا انتشارا عظيما خلال العشرين عاما الماضية، هى ظاهرة التدين كسلوك اجتماعى، كارتداء السيدات للحجاب والرجال للجلباب، وإطلاق الرجال للحية، وازدياد عدد المصلين فى المساجد، واستخدام المساجد لمكبرات الصوت، واستهلال الخطب والخطابات «باسم الله الرحمن الرحيم»،


أحمد فتحى سرور

وازدياد المساحات المخصصة للمقالات والأحاديث والدروس الدينية فى الجرائد والإذاعة والتليفزيون والكتب المدرسية، فضلا بالطبع عن ازدياد مختلف أوجه النشاط التى تقوم بها مايسمى بالجماعات الدينية المتطرفة.

يضاف الى ذلك طبعا، ازدياد عدد الذين يقرأون فى المصحف بصوت مسموع فى القطارات أو الاتوبيسات، والذين يؤدون الصلاة فى المصليات العامة فى أماكن العمل والمدارس والشوارع والميادين، وظهور مايسمى بالزبيبة فى أعلى الجبهة، إذا كان ظهورها نتيجة تدخل إرادى من صاحبها، ولم تكن نتيجة طبيعية لكثرة السجود.

أما التدين كظاهرة فردية، فالله أعلم بما اذا كان قد أصابه الازدهار او الانحسار. فهو فى الواقع ليس «ظاهرة» أصلا، إذ ليس له مظهر خارجى، وإنما يتعلق بعلاقة المرء بربه ويمارسه المرء بالصلاة المنفردة فى بيته، أو إيتاء الزكاة دون الإعلان عنها، أو قراءة القرآن بعيدا عن العيون، أو الدعاء وذكر الله فيما بين المرء وبين نفسه .. الخ فليس هناك من يستطيع الجزم بأن هذا النوع

<<

من التدين هو الآن أكثر انتشارا مما كان منذ عشرين أو ثلاثين عاما، فهو بطبيعته غير قابل للقياس.

والذى أريد أن أوكد عليه الآن، هو أن كثيرا جدا من مظاهر التدين كسلوك اجتماعى، التى انتشرت فى مصر خلال العشرين عاما الماضية، تقترن صراحة أو ضمنا بالدعوة الى مايمكن تسميته بتحريم الحلال، او تحريم ماكان يعتبره الكثيرون حلالاً. فارتداء السيدات للحجاب هو تعبير عن موقف مؤداه أن الزى الأوربى الذى كان سائدا من قبل، وسفور هذا الجزء أو ذلك من جسم المرأة، محرّم أو على الاقل مكروه. وارتداء الرجال للجلباب وإطلاقهم للحية يحمل مثل هذا المعنى. فضلا بالطبع عن أن جزءا كبيرا من نشاط مايسمى بالجماعات الدينية المتطرفة يقوم فى الأساس على تحريم الحلال أو تحريم مايظنه الكثيرون حلالاً. فمن بضع سنوات انفجرت حملة ضد حفلات التمثيل فى الجامعة على أساس أن التمثيل حرام، أعقبتها حملة أخرى ضد شهادات الاستثمار، بحجة أن عائدها هو من قبيل الربا المحرم، ثم رفع البعض دعوى ضد محمد عبد الوهاب بحجة أن التساؤل عن الغرض من المجئ الى هذه الدنيا فى أغنية «من غير ليه» حرام، وأن ذم القدر حرام .. الخ

بل إن قليلا من التأمل يبين أن الاتجاه الى تحريم الحلال هو أشد انتشاراً بكثير مما تدل هذه الأمثلة. فاستخدام مكبرات الصوت فى إذاعة الأذان، وغيره من الشعائر الدينية، فى أى وقت من أوقات النهار أو الليل، وبأعلى صوت ممكن، ورفض أى شكوى تقول إن من الناس من هو مريض يحتاج الى النوم، أو طالب يحتاج الى المذاكرة، أو أن من الممكن تحقيق نفس الغرض بصوت أقل ارتفاعاً .. الخ، كل هذا إنما يعنى فى الواقع، فيما يعنيه، أن القيام أثناء إذاعة هذه الشعائر بأى نشاط آخر غير الاستماع اليها وغير الانطلاق فورا الى المسجد، أياً كانت الظروف، إنما هو عمل غير جائز وغير مقبول، وأن النوم فى أى وقت من أوقات النهار او الليل اذا كان المؤذن يؤذن للصلاة فى ذلك الوقت، هو أيضا غير جائز وغير مقبول.

قل مثل ذلك على قطع البرامج التليفزيونية لإذاعة الأذان بمجرد حلول موعد الصلاة، وإصرار الموظف على أن يترك عمله للذهاب الى المصلى بمجرد اسماع الأذان، وعدم قبوله أى حجة من رئيسه تتعلق بتأجيل الصلاة إلى مابعد الانتهاء من العمل، وتحريم إدارة مترو الانفاق على الرجال الركوب فى العربة الأولى من القطار بتخصيصها للسيدات الخ كل هذا معناه أن ماكنا نعتبره حلالا من قبل، كالقيام بالصلاة بعد الفراغ من عمل كنا نؤديه، أو كوجود الرجال والنساء فى عربة واحدة، أصبح الآن يعد حراما أو غير مقبول ويتعين منعه.



نزار

نجيب

كان آخر مثل صادفته على هذا الاتجاه المتزايد نحو تحريم الحلال، ماقرأته منذ أيام فى خبر صغير فى جريدة الاهرام مؤداه أن وزير التعليم قرّر حذف النص المقرر فى كتاب اللغة العربية للصف الأول الإعدادى بعنوان «عند الجدار» للشاعر نزار قبانى، وذلك على حد تعبير الوزراة «لخروجه على مقتضيات التربية والتعليم». كما يقول الخبر أن الوزير أمر بتوجيه نشرة بهذا المعنى إلى جميع المديريات والادارات التعليمية ومدارس التعليم الأساسى على مستوى الجمهورية لحذف هذا النص «وعدم ورود أى سؤال عن هذا النص بأى شكل من الأشكال» فى امتحان آخر العام.

وأصارح القارئ بأنى وجدت فى عبارة «خروج النص على مقتضيات التربية والتعليم» شيئا كثيرا من الطرافة، اذ ان ما أتذكره عن الكتب المدرسية التى كانت مقرره على أولادى طوال سنوات دراستهم، هو أنها كلها تقريبا كانت «تخرج على مقتضيات التربية والتعليم»، فتشوقت الى أقرأ هذا النص الشنيع الذى كتبه نزار قبانى، واعتبرته وزارة التعليم على هذه الدرجة من الفظاعة التى دفعتها الى أن تسارع بالاتصال بكافة المديريات والإدارات والمدارس فى جميع أنحاء القطر لتحرم عليها أن تورد أى سؤال عن هذا النص «بأى شكل من الأشكال».

حصلت على الكتاب وقرأت النص، واذا بما كنت أجده من طرافة فى الموضوع قد انقلب جداً، واذا بالغم الشديد يعتريني، اذ ذكرني بكل ما حدث فى السنوات الماضية من تحريم التمثيل وتحريم الغناء وتحريم رواية لنجيب محفوظ وتحريم شهادات الاستثمار وتحريم أغنية عبد الوهاب وتحريم ركوب عربة القطار اذا كان فيها سيدات، وتحريم النوم أثناء الأذان. وهاهو ذا أمر جديد بتحريم قراءة أو وضع امتحان فى قصيدة لنزار قبانى. فما الذى تقوله هذه القصيدة المكوّنة من ١١ بيتاً؟

القصيدة تجرى على لسان صبى صغير يصف مقابلته لصبية صغيرة لم تبلغ العاشرة من عمرها بعد ، بدليل قوله:

«كنت بعمر البرعم المندّى أعوامك العشرة لم تتمّى»

جاءت إليه الصبية عندما رأته بجوار جدار البيت لتسأله عن اسمه،وكان يجلس فى الشمس:

«ينقش فى التراب ألف رسم»

وطلبت منه أن يلعب معها فقبل، وسارا معا فى الطرقات:

«ونضفّر الورود ألف كوم»

«كنا حبيبين .. وكنت أصغى لكل ماترويه عنك أمى»

وعندما ذهب الصبى للنوم فى المساء استعصى عليه النوم حزنا على فراق الصبية، وسالت من عينه الدموع وقال لنفسه:

«يارحمة الله على جدار لذنا به طفلين ذات يوم»

هذه هى القصيدة من أولها الى آخرها، التى استشاط لها غضب وزارة التعليم. ومن الواضح أن سبب الغضب هو أن شخصا أو أشخاصا فى الوزارة رأوا أن فى القصيدة حراماً يجب إزالته. صحيح أن الصبيين لم يبلغا العاشرة بعد ، كما تقول القصيدة صراحة، وصحيح أنه لم يبدر من أى منهما مايشين، فهما لم يفعلا أكثر من السير فى بعض الطرقات ورسم بعض الرسوم فى التراب، وصنع بعض العقود من الورد، ولكن الوزارة مع ذلك قلقة من تلك العاطفة التى قد تتطور فيما بعد، بعد أن يكبرا فى السن، إلى مالاتحمد عقباه، فالأفضل الاحتياط او إزالة القصيدة من الآن.

قلت لنفسى : اذا كانت الوزارة تعتبر هذه القصيدة منافية لمقتضيات التربية والتعليم. فما هو ياترى ذلك الذى تعتبره متفقا مع مقتضيات

تربية والتعليم ولم تر داعيا لهذه؟ أخذت أطالع كتاب «القراءة والنصوص الأدبية» من أوله، سعيا لاكتشاف نظرية وزارة التعليم فى الحلال والحرام.

الكتاب ينقسم الى خمسة أقسام متساوية تقريبا، يتكون كل قسم من نحو خمسين صفحة. القسم الأول يحمل عنوان: «آداب وأخلاق وقيم»، والثانى يحمل عنوان «الوطن» والثالث «البيئة والطبيعة والانسان»، والرابع «الثقافة» والخامس «العلم والتقدم».

والعناوين، كما ترى جذابة ومعقولة، ويخيل لك لأول وهلة أن هذه هى الموضوعات التى ينتظر المرء أن يراها فى كتاب فى المطالعة لتلاميذ فى الحادية عشرة او الثانية عشرة من عمرهم. ولكن الحقيقة هى أن الأمر على غير ذلك. فمن بين أربعين نصا ما بين نثر وشعر، لم أجد نصا واحدا يشير من قريب أو بعيد الى علاقة انسانية بين شخصين سواء كانا ذكرا وأنثى، أو رجلين او امرأتين، إلا هذا النص الذى تقرر حذفه. نعم هناك «آداب وأخلاق وقيم» ولكنك بعد أن تفرغ من الآيتين القرآنيتين فى أول هذا الجزء لاتجد الا كلاماً من نوع الحض على مكارم الأخلاق التى تذكر للطالب مجردة عن أية علاقة إنسانية، «كالاستقامة» «والعمل الصالح» و «والخلق الكريم» «وعدم اليأس» ولاتعترف بوجود أى مظهر من مظاهر الضعف الانسانى، ومن ثم لايمكن أن تحرك فى التلميذ أو فى غيره أية عاطفة أو انفعال، ولابد أن تتركه غير مبال لأنه يجد كلاما لاعلاقة له بالواقع الذى يراه ويحسه.

نعم هناك كلام عن الوطن، ولكنه وطن غريب حقا. ليس به أشخاص الا هذا الشخص الذى يحب وطنه ويتكلم عنه بطريقة مقززة، طريقة «ياحبيبتى يامصر»، والاسباب التى يبنى عليها هذا الحب هى بدورها أسباب مصطنعة ومفتعلة، لايحسها مؤلف الكتاب فلايمكن أن تنتقل الى التلميذ، اذ أنها مجرد أكلشيهات وترديد لكلام سقيم سئمنا سماعه، أو مجرد نفاق محض من جانب مؤلفى الكتاب للوزارة أو الحكومة، ومن ثم لايمكن بدورها أن تترك أى أثر على أى تلميذ متوسط الذكاء. فالمفروض، طبقا لكتاب القراءة هذا أن نحب الوطن للأسباب الآتية :

١ - نصر أكتوبر ٢ - عظمة آثار الأقصر ٣ - فضل علماء الأزهر فى مجالى العلم والعبادة ٤ - جمال نخيل مصر ٥ - جمال الاسكندرية ٦ - فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل.

قد تقول، ها هو ذا سبب معقول :فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل. ولكن فلتقرأ ما يقوله الكتاب عن نجيب محفوظ مما جعله يحصل على الجائزة العظيمة: «تقول زوجته: إن نجيب طيب وهادئ ومنظم جدا .. لايتدخل فيما لايعنيه، بار بوالديه لدرجة ملفتة للنظر» (ص١٢٠) وكأن من المستحيل أن يكون نجيب محفوظ عبقريا دون أن يكون بارا بوالديه، وهو «هادئ ولايتدخل فيما لايعنيه»، تماما كما تريد منا الحكومة، أن نحفظ هذا الكلام الفارغ ونتركها تفعل بنا ماتشاء.

هل فى الكتاب قصص؟ مما يجب الصغار أن يقرأوه؟ نعم هناك قصص. قصة عن الإمام أبى حنيفة. وهو رجل عظيم بلاشك ويستحق أن يقدم كقدوة للتلاميذ، ولكن فلتقرأ لماذا يعتبره كتاب المطالعة رجلا عظيما: «كان الامام أبو حنيفة كثير العبادة، كثير الصلاة، لاينام الليل من كثرة الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن طوال أربعين سنة وظل أربعين سنة يصلى الفجر بوضوء العشاء» إن من حق التلميذ بالطبع أن ييأس يأسا تاما من أن يصبح مثل أبى حنيفة إذ أنه على الأرجح لن يستطيع الامتناع عن النوم طوال أربعين سنة. ولكن فليلاحظ القارئ أن الوزارة تفصح بذلك عن رأيها فى حدود الحلال والحرام: الحلال لايكاد يشمل شيئا أكثر من الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن، والبر بالوالدين، مثل نجيب محفوظ، وحب الوطن على طريقة «ياحبيبتى يامصر» وهناك شبهة الحرام بمجرد أن تحاول أن «تتدخل فيما لايعنيك».

هل هناك شعر؟ نعم هناك تسع قصائد، إحداها بعنوان «ابتهال الفجر» للشاعر «رشاد محمد يوسف»، وهو إن لم تكن تعلم «شاعر مصرى معاصر»، وأهم الافكار التى اشتمل عليها النص، على حد تعبير الكتاب هى «أثر مشهد الفجر لدى المؤمن» وأن «الهناءة كلها لمن صلى لربه ودعاه». هنا لا يعتريك أى شك حول نظرية الوزارة فى الحلال والحرام، فقد أصبح الأمر واضحا وضوح الشمس. هناك قصيدة أخرى فى مدح الأزهر، وأربع فى وصف الطبيعة: الشمس والنخيل والقرية والزراعة، وأخرى فى مدح الدكتور طه حسين لوزير ثقافة سابق هو د. أحمد هيكل ألفها كما يقول الكاتب صراحة فى اختيار طه حسين له ليسافر فى بعثة الى الخارج.

وكعادة وزارة التعليم، تجد فى كتب المطالعة دائما أثناء شرح النصوص الأدبية جزءا بعنوان «مواطن الجمال» يحفظه الطلاب باعتباره يمثل رأى الوزارة فيما يعتبر ولايعتبر جميلا، إذ أن المفروض أن الوزارة أكثر دراية بذلك من التلاميذ فمثلا فى قصيدة «نخيلك يامصر»، من تأليف لشاعر اسمه عمر عسل، يقول الشاعر «نخيلك يامصر تاج الحياة»، وهذا فى نظر الوزارة من مواطن الجمال فى القصيدة إذ أنه صور النخيل» تاجا يزداد به وجه مصر فتزداد حسنا وسحراً. وأنا شخصيا أختلف مع الوزارة فى هذا، وأرى أن من الممكن أن يكون من بين التلاميذ تلميذ له حس جمالى مختلف عن حس الاستاذ عمر عسل، فيرى فى هذا التعبير «نخيلك يامصر تاج الحياة» افتعالا وتصنعا، ويرى فى اضافة التاج الى الحياة تعبيرا سقيما للغاية.

عندما وصل المؤلفان الى قسم الثقافة صادفا مشكلة عويصة فقد كان من الواضح أنهما لايستطيعان أن يتجاهلا، فى قسم عن الثقافة، الكلام عن بعض الفنون. ومعظم الفنون تتعرض بشكل أو آخر لتصوير علاقات إنسانية، ومعظم العلاقات الانسانية مشبوهة فى نظر المؤلفين ويحيط بها الشك فيما إذا كانت حلالا أو حراما. فمن الصعب مثلا أن نتصور عملا فنيا من أى نوع لايشير الى المرأة من قريب أو بعيد، والمرأة معزولة تماما من الكتاب. بل وحتى اذا استبعدنا المرأة فإن كثيرا من العواطف الانسانية التى تتعرض لها معظم الفنون لها جوانب لم يشر اليها الدين صراحة، ومن ثم لايمكن الجزم بما اذ كانت حراماً أو حلالاً. اهتدى المؤلفان الى اختيار فنين بدا الكلام فيهما آمنا ومباحاً. أولهما هو فن الخط العربى. فهذا الفن، باعتماده على الزخرفة، هو على درجة من التجريد بحيث يمكن للمرء أن يرى فيه مايشاء. وبالفعل ذهب المؤلفان الى أن الألف واللام فى الخط العربى «يبدو ان كرجل يرفع أكف الضراعة الى

البقية ص ٩٧

د. جلال أمين

- بدون تعليق -

رجال النيابة العامة.

وهذا ماينفيه د. نجيب حسن حينما يؤكد على ضعف دفاعات أصحاب وجهات النظر هذه، فصعوبة توفير العدد الكافى من قضاة التحقيق هو قول بعيد عن الحقيقة فى الوقت الحاضر، والقول بالميل للجمع بين السلطتين اتجاه مخالف لإتجاه التشريعات الحديثة التى تميل إلى تقرير الفصل بين سطلتى الاتهام والتحقيق.

كما يؤكد على أن المشرع حينما اجاز إمكانية إنتداب قاض للحقيق فى حالات محدده، فقد أكد بهذه الاجازه على وجود عيوب للجمع بينى سلطتى الاتهام والتحقيق،

وأن الأجدر من ذلك هو الفصل بين السلطتين. والواقع أن قضية نيابة أمن الدولة وموقفها من المتهمين فى القضايا السياسية التى تختص بها، وما أثير وتأكد بأحكام قضائية عديدة من تعرض المهتمين في عديد من هذه القضايا للتعذيب.. يفرض أن تأخذ جهات التشريع بجدية واهتمام توصية محكمة الاستئناف (أمن الدولة العليا) فى القضيتين، وأن تأخذ بنفس الاهتمام مطالبة هيئات قضائية وسياسية عديدة بالغاء نيابة أمن الدولة

القضية الثانية هى حكم البراءة الذى أصدرته محكمة أمن الدولة على كافة المتهمين فى القضية المعروفة بقضية الحزب الشيوعى المصرى ١٢ متهما،

وقالت فى حيثيات البراءة.. «إن القضية ليست إلاصورة من قضايا الرأى التى تفتقر الى أى دليل يستهدف تنفيذ الرأى بالقوة. وأن حرية الرأى هى أهم حقوق الانسان. وأن الرأى لايجوز تأثيمه أو الحجر عليه بأى سبيل طالما أنه لم يقترن باستعمال العنف أو يتصل بالدعوة إلى الارهاب.»

وطالبت المحكمة المشرع« الى معاودة النظر فى قانون العقوبات خاصة والقوانين الجزئية عامة لترفع منها نصوص المناسبات التى وضعت فى ظروف معنية لمواجهة أوضاع خاصة ثم تجاوزتها الأحداث، فأصبحت متناقضة مع الظروف المعاصرة، متعارضة مع غيرها من نصوص فى الدستور وفى باقى القوانين» وذلك فى إشارة واضحة للمواد ١٩٨ أ،ب،ج د، والمادة ١٠٢ مكرر والمادة ١٧٤ وغيرهم.

فخطورة وأهمية الحكم لاتقف عند حدود من تم الحكم ببراءتهم ولكنها تمتد الى ٢٢ مواطنا فى قضية أخرى يوجد منهم حاليا أربعة عشر داخل جدران السجن.

ففى صباح الأربعاء ٢٧ سبتمبر ألقت قوات الأمن القبض على المناضل الشيوعى«مبارك عبده فضل» «وعريان نصيف» عضو الأمانة العامة لحزب التجمع، و «محمود مراد» عضو اللجنة المركزية للحزب، وحسن بدوى «رئيس تحرير أوراق عمالية» و «فتحية سيد أحمد» زوجة المناضل الشيوعى المرحوم زكى مراد، و «حسين أشرف» عضو اتحاد الشباب التقدمى «وأحمد على مصطفى» و «أحمد عدلى»، و «أحمد بدوى»، و «إبراهيم حامد» و «طاهر البرنبالى» و «أحمد فهيم» و «إسماعيل على» وعلى عبد المقصود شحاته» و «فؤاد حسنى» و «أحمد المطوارى» وطلبت القبض على أخرين من بينهم الكاتب الصحفى «محمد الجندى» و «صلاح عدلى»،،



المستشار محمد سعيد العشماوى

تنفيذا الحكم صادر فى ٢٤ مايو ١٩٨٦ بعد أن صدق نجاة نائب الحاكم العسكرى العام على الحكم فى سبتمبر ٨٩ أى بعد أكثر من ٣ سنوات.

وقد أثار هذا التصديق وقتها إحتجاج الأحزاب ولجان الحريات ومنظمات حقوق الانسان فى مصر والعالم لأكثر من سبب..

- فالحكم قد صدر من محكمة استثنائية (محكمة أمن الدولة العيا) واستنادا الى قانون الطوراى،

- أن المواد التى حوكم بها المتهمون وأدينوا على أساسها وهى المادتان ٩٨ ب، ٩٨ مكرر قد تسللت للقانون المصرى فى العهد الملكى وفى غيبة السلطات التشريعية، ونقلت من قانون فاشى أصدره «موسيلينى دكتاتور ايطاليا عام ١٩٣٠.

- الأوراق المنسوب حيازتها الى المتهمين والتى أدينوا بسببها، تتضمن كتابات فى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ينشر مثلها وأكثر فى الصحف الحزبية وبعض الكتابات فى الصحف القومية، وقت صدور الحكم وحتى الآن.

- أن التهم التى حوكم بها التهمون جميعا، وقعت طبقا لقرار الاتهام فى الفترة من أواخر عام ١٩٧٧ حتى مارس ١٩٨١، أى فى فترة زمنية تعود الى ٥ أو ٩ سنوات قبل صدور الحكم و٨ أو ١٢ عاما قبل التصديق عليه!.. والجميع يعرف طبيعة الظروف السياسية التى أحاطت بمصر فى هذه الفترة من تاريخها.

- ولكن أخطر الحقائق أن المحكمة عندما أصدرت حكمها فى ٢٤ مايو ١٩٨٦ فى هذه القضية أصدرت حكما مماثلا فى قضية أخرى كلتاهماللحزب الشيوعى المصرى وبصفتها محكمة جنايات عادية (٢٦٦٨ لسنة ١٩٨٠) التى حكم فيها على ١٢ متهما بنفس مواد الاتهام (وهم من تم تبرئتهم أخيراء بحكم نهائى).

وقدم المحامون طعنا بالنقض فى القضية الثانية. والتماسا الى رئيس الجمهورية بالغاء الحكم فى القضية الأولى (٢٨ لسنة ١٩٨٢) وأيقاف تنفيذ العقوبة، حيث لاتخضع القضية لولاية محكمة النقض باعتبارها خاضعة لقانون الطوارىء، وأصدرت محكمة النقض يوم الخميس ١١ فبراير ١٩٨٧ برئاسة المستشار «قيس الرأى عطية» قرارها برفض طعن النيابة العامة فى أحكام البراءة الصاردة فى القضية ٢٦٦٨ لسنة ١٩٨٠ عابدين، وقبول الطعن من المتهمين المحكوم عليهم ونقض الحكم بالنسبة للطاعنين جميعا»

وكان على مكتب التصديقات التابع للحكم العسكرى العام (رئيس الجمهورية) أن ينزل على حكم القضاء ويطبق حكم النقض على القضية المطروحة أمامه حتى لايضع رئيس الجمهورية فى موقع الحرج والتناقض مع السلطة القضائية ويظهر بمظهر المعتدى عليها والذى يسىء استخدام سلطاته الاستثنائية طبقا لقانون الطوارىء. وهو مانبه له محامى المتهمين بمجرد صدور حكم النقض.

ولاشك أن موقف الحاكم العسكرى اليوم أصبح غاية فى الحرج فتصديقه يتعارض مع حكم نهائى صادر من محكمة استئنافية مستندا الى حكم محكمة النقض.

وليس أمام رئيس الجمهورية لا(الحاكم العسكرى العام)، الا أن يستخدم حقه الدستورى طبقا للمادة ١٤٩ من الدستور ويصدر عفوا شاملا على المحكوم عليهم جميعا، ليصحح الخطأ الذى أوقعه فيه مكتب التصديقات.

فهل يفعل رئيس الجمهورية ويستجيب للمنطق والقانون والدستور والرأى العام؟؟

حازم منير



وحدة المأزق .. ومأزق الوحدة





الرئيس علي عبد الله صالح

على عبدالله صالح : لا للتعددية .. ونعم للحزب الواحد

المعارضة تظهر علنًا فى صنعاء دون تصريح أو قانون

مجلس رئاسة من خمسة لليمن الموحد

الإخوان المسلمون ينفردون بالساحة

في «عدن» بهجة وخوف يتداخلان. بهجة بالوحدة، وخوف على مصير التوجه الاشتراكي الذي يحيط به الغموض. ومع ذلك يغضب اليمنيون إذا ماسألتهم:

هل الوحدة ضرورة إذن لهذا الحد؟

لجميعهم يرون ان التقسيم أو مايسمونه التشطير هو النشاز.

[illegible] إذا قلت «اليمن الجنوبي» و«اليمن الشمالي» [illegible] واحد هكذا كان عبر التاريخ وقسمه الاستعمار. وتفخر النساء بأن امرأة هي الملكة «أروى بنت أحمد» وحدت اليمن في العصر الفاطمي. يصعب على المراقب أن [illegible] نفسه [illegible] من الحالة العاطفية [illegible] التي [illegible] إعلان [illegible]، وهي حالة تكاد أن تحجب الرؤية الموضوعية المعانيه، بل وتصادر الأسئلة القلقة حولها، حتى أن المعارضين للوحدة «المتعجلة» يسوقون اعتراضاتهم بتحفظ بالغ، وأحيانا مايخافون [illegible] تماما. وعلى حد تعبير أحد أساتذة الفلسفة الاسلامية الذي قال إن اليمنيين قد أصبحوا باطنيين فجأة رغم انهم ليسوا شيعة.

متحمسون ... ومتشائمون..

أما المتحمسون والساعون لاتمام الوحدة فيقولون انها الثورة، وأنها الإنتصار والتجسيد الحقيقي لثورتي ٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر، وأنها عمل عظيم لان الشعبين يتوقان لحل القضية الوطنية فورا بما يساعدهما على توفير الطاقات المهدرة في الحروب الصغيرة التي كانت تنشب على الحدود بين الحين والآخر، وعلى استعادة الأرض التي إقتطعتها منهما السعودية التي كدست على حدودها مع اليمنين ما قيمته خمسون مليار دولار من أحدث الأسلحة.

ويرى المتشائمون والحذرون أن تصريح «الملك فهد» الذي أعلن فيه تأييده للوحده اليمنية دون تحفظ، ليس إلا مقدمه لخطوه تالية ستطلب فيها السعودية المدججة بالسلاح والمال، «ترسيم» الحدود من قبل الدولة الجديدة وإقرار هذا الترسيم - أي الاعتراف باستيلاء السعودية على أراض يمنية شاسعة عبر مجلس تشريعي موحد، تسعى لتكون لها يد طولى في تشكيله باغداق الأموال وشراء الذمم، وهو أسلوب مجرب بحيث يتم لها ماتريد.

والقائلون بهذا المنطق المتماسك يسوقون دليلا عليه أن الحكومة السعودية قد مارست ضغوطا اقتصادية هائلة على الشطرين بهدف دفعهما لهذه الخطوة، حين وضعت العراقيل أمام تدفق تحويلات المهاجرين اليمنيين إليها، فانخفضت التحويلات الى الشمال وحده خلال عام واحد من مليار وخمسمائه مليون دولار الى مائتى مليون دولار، وأصبح الشمال يعاني وضعا إقتصاديا صعبا للغاية.

أسباب الوحدة: الأوضاع الاقتصادية والتغيرات في العالم الاشتراكي والخوف من التجمعات العربية

وليس الجنوب بأفضل حالاً وإن كان أكثر استقرارا وأمنا فبينما يستقر سعر الدينار اليمني منذ سنوات طويلة ولاتوجد أى مضاربة عليه، فان سعر الريال يواصل الانخفاض باستمرار. وعندما زرت صنعاء سنة ١٩٨٧ كان الدولار يساوى تسعة ريالات وهو الان يساوى عشرين ريالاً .. وهلم جرا.

ومع ذلك فلم تكن دوافع التعجيل بالوحدة هي تلك الدوافع التقليدية التي يتحدث عنها اليمنيون، والتي نص عليها دستورا البلدين ووثائقهما، من قبيل التاريخ الواحد والجغرافيا الواحدة، وإنما كانت هناك عناصر عملية جدت على الساحة خلال السنوات القليلة الماضية.

[illegible]

أول هذه العناصر التغيرات المتلاحقة في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الاشتراكية. ومن المعروف أن المعسكر الاشتراكي هو الحليف الرئيسي لليمن الديمقراطي، وهو أيضا حليف وإن بدرجة أقل كثيرا لليمن الشمالي. ان هذه التغيرات والصعوبات أدت - كما يقال - الى تخلي الاتحاد السوفيتي واقعيا عن مساعدة اليمن الديموقراطي وارتفع شعار «الحساب الاقتصادي» بديلا عن التضامن الأممي، وأصبح الأخير كلاما فقط دون [illegible]، بسبب المشكلات الاقتصادية التي يواجهها الاتحاد السوفيتي نفسه، وقد أدى انشغال الاتحاد السوفيتي بنفسه الى استشراء الخطر الأمبريالي والعنف الأمريكي على نحو خاص.

والسعودية وكيل معتمد لهذا العنف المحتمل.

ورغم ان هذا التحليل شائع جدا ورائج في كثير من الأوساط السياسية، فقد أدلى السفير السوفيتي في عدن بتصريح قاطع حين قال ردا على سؤال عن مدى تأثير المصاعب الاقتصادية السوفيتية على العلاقات مع الدول الصديقة في العالم الثالث، أوضح رانشكون بأنه «يتمسك بالرأي القائل [illegible] في [illegible] الطريق مهما بلغت المصاعب» وفي شأن العلاقات الاقتصادية مع اليمن الجنوبي فان حجمها ازداد -كما قال السفير - بمعدل ضعفين أو ثلاثة أضعاف في بعض الميادين مقارنه بمؤشرات ماقبل حوادث يناير ١٩٨٦، مؤكدا على أن الاتحاد السوفيتي سوف ينفذ التزاماته في خصوص تقديم بعض المساعدات المجانية. » ومن المعروف ان الاتحاد السوفيتي يستخرج نفط الجنوب في شبوة ضمن عديد من المشروعات الاقتصادية الهامة.

التجمعات العربية

وهناك الاتجاه الجديد في الساحة العربية نحو تشكيل تجمعات إقليمية بدأت بمجلس التعاون العربي والسعودية هي العضو الفاعل فيه، ثم التجمع الرباعي الذي يضم اليمن الشمالي مع العراق والأردن ومصر بعد أن استبعدت منه اليمن الديموقراطي على أسس سياسية وإيديولوجية، إذ يعد هذا التجمع تنسيقا بين مايسمى بالقوى المعتدلة في المنطقة والتي يشعر اليمن الديموقراطي أن سهامه موجهة ضده بشكل ما، وأنه محور عسكري أمني.

الأزمة الاقتصادية

والعامل الثالث الأزمة الاقتصادية المستحكمة في البلدين التي كان أبرز مظاهرها انخفاض

الرسمية ويعارضون الوحدة

تحويلات المهاجرين اليمنيين من الشمال والجنوب انخفاضا حادا خلال العامين الماضيين مما أدى باليمن الديموقراطي الى وضع خطة إقتصادية انكماشية تجلي في ظلها الأزمات المستحكمه قائمة مثل أزمة الاسكان مثلا وانخفاض مستوى المعيشة.

التعددية ... وحرية الصحافة

وهناك عامل رابع هام يرتبط بالتطورات السياسية والاجتماعية الداخلية فى اليمنين.

قبل إعلان وثيقة عدن الخاصة بالوحدة فى ٣٠ نوفمبر الماضى بزمن طويل، كان الجدل دائرا داخل المجتمع اليمنى حول الطريقة المثلى لمشاركة الشعب كله وليس الحزب وحده فى وضع تصورات لحل المعضلات المتفاقمة/ ترى وثيقة الاتجاهات الأساسية للاطلاع السياسى والاقتصادى الشامل التى أصدر الحزب الاشتراكى اليمن مشروعا لها طرحه للنقاش على مدى عام ونصف، ثم صدرت مؤخرا، ترى أن التجربة ومسار العلاقات بين الشطرين أثبتت.. « منذ عام ١٩٧٢ وحتى اليوم بما رافقها من تعرجات سلبية حينا، وملامح ايجابية حينا آخر، أهمية أن يرتكز العمل الوحدوى على الأسس التالية وهى الاسس التى يفاوض الحزب الاشتراكى اليمنى على قاعدتها الآن

التمسك بأهداف ومبادئ ثورتى ٢٦ سبتمبر و١٤ أكتوبر، وجعل وحدتهما إطارا للوحدة اليمنية

النأى بقضية الوحدة عن المناورات السياسية

تجاوز المفاهيم للوحدة، والتأكيد بأن الخيار الديموقراطى الشامل هو السبيل الوحيد لتحقيقها ».

وكان الحزب قد ترجم مشروعه الجديد حول الخيار الديموقراطى باعلانه للتعددية السياسية واصدار قانون جديد للصحافة يطلق حق إصدار الصحف للهيئات والأفراد. وهو ماستحظى به الأحزاب الجديدة بطبيعة الحال

وتواكب مع وثيقه الاصلاح والجدل الواسع حولها، صدور قانون للاستثمار راجع فيه الحزب وجهاز الدولة عددا من الاجراءات المتطرفة التى كانت قد صدرت فى خضم الصراعات الحزبية فى أزمنة سابقة، وثبت عدم جدواها الاقتصادية .. مثل تأميم الدكاكين والمساكن والاراضى عشوائيا وهو ماحول قوة العمل الأساسية الى موظفين حكوميين وبقيت هذه الاجراءات قائمة فقط بسبب مايمكن تسميته «بالابتزاز» حيث يقر الجميع بضرورة الغائها ولايجرؤ أحد على اتخاذ القرار.

وقد تساءل عدد من المراقبين الذين رأوا فى بعض الاجراءات الجديدة عودة لنهج «على ناصر» الذى هزمه الحزب فى موقعه يناير ١٩٨٦ .. عن مغزى هذا التحول.

وسألت الدكتور «صالح شائف» الامين العام لاتحاد شبيبة فتاة الاشتراكية « أشيد » .. ماهو فى نظره الفرق بين برنامج الاصلاح الاقتصادي-الاجتماعى الجديد، وتلك السياسة التى كان على ناصر محمد قد انتهجها قبل عام ١٩٨٦ وسميت حينئذ من قبل المعارضين بسياسة الإنفتاح وهددت



سعيد الجناحى رئيس تحرير «الامل»

البلاد بنشوء مجتمع إستهلاكى على الطريقة الخليجية حيث تنفق تحويلات العاملين فى الخارج على شراء بضائع إستهلاكية،

أثار« شائف» نقطة بالغة الأهمية بالنسبة للمشروع الجديد مقارنا بالسابق، وهى أن الطبقة التى نشأت حول «على ناصر محمد» كانت من صنع الدولة والحزب حينئذ، أى أنها كانت تستخدم المال العام لتصنع ثروات طائلة عن طريق المقاولات والاستيراد والتصدير .. أى أنها تأخذ من الفائض الاقتصادي وتستنزفه ولا تضيف جديدا..

أما الجديد فى برنامج الاصلاح فهو إتاحه الفرصة للمال الخاص سواء رأس المال العربى أو الأجنبى لكى يأتى بثروته ويستخدمها ويستثمرها فى اليمن دون مساس باستثمارات الدولة والقطاع العام

ويقدم برنامج الاصلاح عددا من الضمانات القانونية والاعفاءات الضريبية والجمركية التى ستحمى أرباح هذه المشروعات وتؤمنها فى حدود تشجع على الاستثمار.

وقد فتح المشروع الجديد شهية التجار الذين أخذوا يتدفقون على عدن ويشترون الأراض والدكاكين التى ارتفع سعرها بمعدلات هائلة.

العلانية ... والمعارضة

كذلك يشهد اليمن شمالا وجنوبا حالة من العلانية المبهجة.. كل شئ يظهر على السطح، ويجرى تقليب الأرض .. طلبات لاصدار صحف هيئات تحرير تتشكل .. برامج الأحزاب الجديدة تتبلور وقد تحولت «المقايل» الى خلايا سياسية حيث يجتمع اليمنيون فى الجنوب يومى الخميس والجمعه حول القات، ويجتمع القادرون فى الشمال-كل يوم - وتظهر بقوة أكبر قوى المعارضة السياسية والاجتماعية التى تضم فى الشمال خاصة «جماهير غفيرة من العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والمتوسطة، والتى تملك جميعا برامج بديلة كانت فى الماضى القريب تخفيها عن عيون السلطات اذ لم يكن الوقت مناسبا للافصاح عنها».. وهى الآن تعمل علنا حتى قبل صدور القانون، وقبل أن يحسم مؤتمر الشعب العام فى الشمال موقفه من مسألة التعددية. واصرار «على عبد الله صالح» على رفض التعددية فى الشمال والتمسك بصيغة الحزب الواحد«مؤتمر الشعب العام» يشكل معضلة حقيقية ومشكلة فى مباحثات الوحدة

بينما تشهد مدينة «تعز» لقاءات واسعة بين عدد من المسئولين السياسيين فى عدن الذين رافقوا الامين العام «على سالم البيض» وبين قادة بعض التنظيمات السياسية المعارضة فى محاولة من قيادة الحزب الاشتراكى اليمنى لاستكشاف الأرض والتعرف بشكل دقيق على مختلف التصورات الوطنية لكى تخلص الى تصور واسع وواقعى بحيث يأتى برنامج الاصلاح الشامل ارضية لتعاون حقيقى بين كل هذه الأطراف .لم تتحرك قيادة الشمال خطوة واحدة على طريق التعددية.

ورغم أن خطوات الوحدة تبدو أسرع من القدرة على التحليل الا ان نقاشا عنيفا يدور لتمديد الفترة الانتقالية الى أربع أو خمس سنوات وقد أسفر لقاء تعز الاخير بين «على عبد الله صالح» و«على سالم البيض» عن تكليف وزاره التخطيط بوضع خطة اقتصادية انتقالية لسنتين تبدأ من سنة ١٩٩١ وهى تمهيد لوضع الخطة الخمسية للتنمية فى دولة الوحدة على أن يتم توحيد العملة فى

فترة الانتقال التى سيتم فيها أيضا توحيد الجيش والخارجية حتى قبل الموعد المقرر لاعلان الوحده وهو نوفمبر القادم. ويتوقع بعض المراقبين أن يتم هذا الاعلان فى ذكرى ثورة سبتمبر التى أطاحت بالامامة سنة ١٩٦٢. ولكن المشكلة التى تطفو على السطح هى المشكلة السياسية. فبدور جدل عنيف حول تسييس القوات المسلحة وحزبيتها، وقضية التعددية .فبينما لعب الحزب الاشتراكى اليمنى بالورقة الرابحة على حد تعبير «محمد على صالح» المحرر بجريدة ١٤ أكتوبر فى عدن وعضو الحزب لثمانى سنوات، وهى ورقة التعددية الحزبية فإن الساحة السياسية (الرسمية) فى الشمال مفتوحة لقوة واحدة هى قوة الاخوان المسلمين، التى طالما استعان بها الحكم لضرب اليسار ولم تبادر القيادة هناك الى تقديم حتى وعد بالموافقة المبدئية على التعددية وشعارها هو «كل شيئ بعد الوحدة»، خاصة بعد أن كسبت نصرا كبيرا بقبول الجنوب المفاجئ لا لمشروع كونفدرالى أو فيدرالى كانت المفاوضات قد وصلت بشأنه الى مأذقه، وإنما بطرح «على سالم البيض» الأمين العام للحزب الاشتراكى اليمنى للوحدة الاندماجيه ، وهو الطرح الذى يقال أنه أصاب على عبد الله صالح بالذهول وهوما يجعل الكثير من السياسين يقولون إن الوحدة ليست خيارا شعبيا بل أن هذا الصحفى نفسه يرى «أن هناك مؤامرات على الحزب لأن الوحدة لاتتم على أساس شعبى»

صراعات الشمال

وعن شكل الصراع السياسى الدائر الان فى الشمال يقول جار الله عمر الأمين العام «لحزب الوحدة الشعبية» وهو الحزب التقدمى الذى يمثل أهم قوة سياسية معارضة فى اليمن الشمالى وعمل تحت الارض طويلا « ينزع الجناح اليمينى المتطرف بزعامة الاخوان المسلمين وبعض القوى الاقطاعية، وعناصر معينة من البورجوازية الطفيلية الى الحد من تيار التحديث الاقتصادى - الاجتماعى فى الداخل، ووضع المزيد من القيود أمام الاتجاهات المعاصرة، وخنق الثقافة والعلوم الحديثة لاسيما العلوم الاجتماعية، ويدعو الى تشديد القمع للمعارضة، واتباع سياسة خارجية مواليه بلا حدود للغرب والمملكة العربية السعودية.. وينطوى الجناح الاخر على بعض الاتجاهات الاصلاحية ويدفع بعجلة النمو والتحديث على طريق التوجه الرأسمالى الى الأمام، ويدعو الى الحفاظ على التوازن فى السياسة الخارجية عن طريق الابقاء على الهامش الاستقلالى والحيادى الذى تميزت به سياسة البلاد الخارجية الى هذا الحد أو ذاك، كما تقوم سياسة هذا الجناح حيال المعارضة السياسية على المزج بين القمع الايديولوجى والبوليسى الى جانب الاحتواء وتقديم المغريات الشخصية أى الجمع بين ذهب المعز وسيفه، وقد كشفت تحركات هذا الجناح عن الرغبة فى قيام أحزاب داخل الأحزاب الوطنية والديموقراطية، أو مجموعات داخلها تعمل على افراغ نشاطها السياسى من طابعه المعارض، وتدعو الى منح الولاء للحكم وتقبل سياساته، وتقاد هذه المجموعات مباشرة من قبل جهاز المخابرات..»

ويقول يحيى الشامى الأمين العام للجبهة الوطنية الديموقراطية التى تجمع داخلها كل القوى الوطنية فى اليمن الشمالى أنه «خلال السنوات الأخيرة فأن قوى الظلام والجهالة والتى تتستر بالدين قد أصبحت ذات نفوذ وقوة فى مجالات مختلفة فى حياة الشطر الشمالى فى الوطن، ويعتبر «الاخوان المسلمون» إحدى الكتل الأساسية فى إطار المؤسسات المختلفة للدولة بدعم وتشجيع من الدولة نفسها، ناهيك عن الدعم السعودى المتنوع..»

«وصراحة لابد من القول هنا أن إستمرار غياب الديمقراطية السياسية وخاصة منها التعددية الحزبية يجعل هذا المشروع التاريخى العظيم عرضه للانتكاس».

وفى لقاء حضرته وعدد من الاصدقاء المصريين مع «على سالم البيض» الأمين العام للحزب الاشتراكى اليمنى قال أننا لانستطيع أن نأخذ من الوحدة كل شئ، لقد قلنا لاخواننا فى الشمال لديكم تطرف يمينى ولدينا فى الجنوب تطرف يسارى لتكن الوحدة منزلة بين المنزلين»

ويقر عبد الله الراسعى عضو قيادة التنظيم السبتمبرى الديمقراطى وهو الامتداد الجديد لتنظيم الضباط الأحرار قائد ثورة سبتمبر ١٩٦٢ التى أطاحت بالامامة يقر بنفس نفوذ الاخوان المسلمين فى الشمال، ولكن موضوع الوحدة إستنهض كل الشرفاء الذين قاتلوا فى مواقع الثورة ودفاعا عنها»

اما العقيد «أحمد قرمش» عضو قيادة التنظيم السبتمبرى الديمقراطى والذى أصر على أن أكتب الديمقراطى تأكيدا لحقيقة أن الضباط ليسوا معادين للديمقراطية وان التجربة فى الشمال علمتهم أن يدافعوا عن الديمقراطية بكل قوة وكانوا يعدون العدة لمظاهره حاشدة فى الشمال والجنوب تطالب بالتعددية الحزبية..

يرى قرمش أن «صنعاء» كانت تنتظر أن يحدث فى عدن ماحدث فى برلين، وأن يقع انفجار فى الجنوب يطيح بالحزب «الشيوعى» أى الحزب الاشتراكى اليمنى، ولكنهم تبينوا أن السقوط يمكن ان يحدث فى الشمال قبل أن يحدث فى الجنوب لسبب الأزمة الاقتصادية العنيفة، وحيث يتفشى الفساد والتهريب والتفسخ الخلقى»

ويتفق محمد على صالح فى أن شواهد كثيرة كانت تقول إن الازمة الاقتصادية الخانقة يمكن أن



عمر الجاوى

خطر السقوط هنا أكثر من تهديده للحزب

تطيح بالقيادة العسكرية فى الشمال التى وصلت لمأزق فعلى»

ومع ذلك فأن هذا المأزق الاقتصادى لم يمنع بعض ساسة الشمال من استخدام الأسلوب الذى اعتمدته السعودية فى التعامل معهم- وهو الاغداق، فقدموا سيارات مرسيدس فاخره هدايا لقادة الجنوب فقرر المسؤلون فى الجنوب تسليمها لادارة المراسم لتستخدمها فى تنقلات الضيوف.

كذلك يأتى أعضاء اللجان من الشمال فى مراكب لها طابع البهرجة الاستهلاكية الفاخرة التى لابد أن تؤدى الى «تدويخ» فقراء الجنوب الذين لايتجاوز طموحهم امتلاك سيارة صغيرة أو شقة متواضعة ، وهو مايذكرنا بمسرحية دورينمات الشهيرة «زيارة السيدة العجوز» والكيفية التى اغدقت بها على أهل القرية كى يتواطأوا معها.

مستقبل الحزب

ورغم الابتهاج بالوحدة الذى يكاد يشكل حالة من الاهتزاز للقلقين والمتسائلين، فإن مناخا عاما يسود الآن حيث تجرى ترتيبات الوحدة، بحيث يضمن كل لنفسه مكانا فى الوضع الجديد الذى لايستطيع أحد أن يتنبأ بشكله، وكأن الناس تحمى نفسها من المجهول.

ويشعر المحترفون الحزبيون فى عدن بقلق بالغ



سالم بكير

الحكومة الشمال
الاشتراكي في الجنوب

وهم جيش كبير متعلم تعليما جيدا ويعد نفسه للقيادة، في بلد قليل السكان تعرضت كادراته المدربة لمذبحة خسيسة في يناير ١٩٨٦ .وقد ارتبط مصير هؤلاء المحترفين بمستقبل الحزب.

ويقال ان صراعا يدور في صفوف والحزب الاشتراكي اليمني حول المواقع. أما التوقعات الرائجة في الشارع السياسي فتتمثل في تشكيل مجلس رئاسة من ٥ أعضاء ثلاثة من الشمال واثنان من الجنوب، فمن هما الاثنان؟

ويقال ان هناك اتجاها لكي يكون كل من الامين العام علي سالم البيض والامين العام المساعد سالم صالح محمد بينما يرأس مجلس الوزراء في دولة الوحدة رئيس الدولة الحالي حيدر ابو بكر العطاس، ويتولى الدكتور يسن سعيد النعمان رئيس الوزراء الحالي موقع الأمين العام للحزب فماذا سيتبقى للأخرين؟

يرى البعض أن هذا السؤال معناه أن الوحدة تتعطل بسبب مصالح صغيرة منها الخوف على المناصب .. وأنه لايفهم طبيعة ثوار الجنوب وقادته.

ويثور سؤال أخر حول القيادة الجديدة لدولة الوحدة ولأى حد سيتمكن هذا الفريق الجديد غير المتجانس من العمل المشترك تحت رئاسة علي عبد الله صالح صاحب التوجيهات المختلفة والتاريخ الشخصي المطعون فيه والمليئ بالنقاط السوداء والطموحات المختلفة والذي يشاع عنه أنه قدم نفسه للأمريكيين، الذين قبلوا في سنة ١٩٨٦ فقط التعامل مع صنعاء مباشرة وليس عبر السعودية. ويقال أيضا أنه أعطى وعدا ضمنيا بتصفية الحزب الاشتراكي اليمني الذي فشل الأمريكيون في تصفيته على مدى ثلاثة وعشرين عاما .

ولكن الدكتور سالم بكير عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني يرى أن الحزب سوف يدخل مرحلة صعبة لكنه يستعصي على التصفية «الحل»

وتتوالى الأسئلة .. فهل يسلم الجنوب، نفسه للشمال تحت راية القضية الوطنية مقابل حلم غامض بمجتمع إستهلاكي على طريقة الخليج اختبر الشعب اليمني في الشمال عبثه منه واكتوى بناره؟ وحيث يتصور الجنوبيون الذين يزورون الشمال أن الوفرة الهائلة في البضائع الاستهلاكية هي حق ممنوح لكل الناس.

وقد عبر الدكتور« ابو بكر السقاف» أستاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة صنعاء، عن كل مخاوف القلقين صراحة حين أخذ يذكر بالبديهيات.. أن هناك نظامين اجتماعين مختلفين أحدهما ذا توجه إشتراكي في الجنوب والآخر ذا توجه رأسمالي تابع في الشمال، وترجمة هذا القول تعني وجود شكلين مختلفين للصراع الطبقي، يجعلان التماثل والاندماج مستحيلا ويهددان بانهيار دولة الوحدة.

وقد طالب «السقاف» في برنامج تليفزيوني في عدن باجراء إصلاح زراعي في الشمال، واصدار قانون الأحزاب الذي يطلق التعدد قبل الشروع في أي خطوات وحدوية. حظى البرنامج بشعبيه واسعة خاصة بين الشباب من الحزبيين الذين طالبوا قيادتهم بعقد ندوة مفتوحة في التليفزيون ترد فيها على الأسئلة الجديه التي طرحها السقاف الذي يرى أن الرأسمالية التابعة الحاكمة في الوطن العربي «جعلت الظفر بالوحدة الوطنية داخل كل قطر مطلبا عسيرا ..»

ويعتصم الجميع الآن بحبل الديمقراطية . الذين لايوافقون على التعجل، والذين يتنبأون بانهيار الدولة المقبلة حيث سيصاب اليسار بنكسه أكيدة، إذا تجمع الطفيليون والقبائل والجماعات الدينية في تحجيم نفوذ الحزب الاشتراكي اليمني عبر الانتخابات.

ويرى الدكتور محمد بن زيد بمركز الابحاث في صنعاء « أن أخطر عيوب المشروع الذي جاءت به الثورة اليمنية للتغير أن قوى الجديد نفسها، بقدر ماكانت تطرح شعارات تقدمية، كان مشروعها السياسي يحمل من القمع والاستبداد مايجعله ملونا بتلاوين مشروع قوى القديم»

فما هو شكل المشروع السياسي الجديد؟

«يجب ان يكون هذا المشروع جديدا حقا في جميع قسماته، ومايميزه من كل الوجوه عن المشروع السياسي لقوى القديم، فالقمع هو القمع، والاستبداد هو الاستبداد سواء كانت الشعارات التي يتلفع بها محلية أو فوقيه أو أممية. » صحيح ان تحقيق الوحده في حد ذاته مكسب كبير، ولكننا بحاجة لان يكون الاجتماع حول الوحدة اجتماعا حول الديمقراطية وكثيرا مايدور النقاش حول الضوابط ونريده أن يدور أولا حول ضرورة الديمقراطية لا ضوابطها ..»

وارتباطا بموضوع الديمقراطية يدور نقاش واسع حول مماطلة الشمال في تصفية المعتقلات والافراج عن المعتقلين السياسيين وهو ماتقول حكومة اليمن الديمقراطي انها قامت به فعلا وصفت المعتقلات وافرجت عن السياسيين مع الانفراجه الديمقراطية التي يشهدها بينما عجزت حكومة الشمال وصف التهم التي وجهت للمناضلين السياسيين فتحولوا الى محبوسين ، وتقول الايكونمست «ان عدن بالجلاسنوست الخاص بها تتجاوز صنعاء بسرعة في حقوق الانسان، اذ يجرى تنظيم الأحزاب وتحرير السجناء السياسيين، ومن المقرر حل المخابرات في نهاية مارس دون ذكر اى شيئ مماثل في صنعاء»

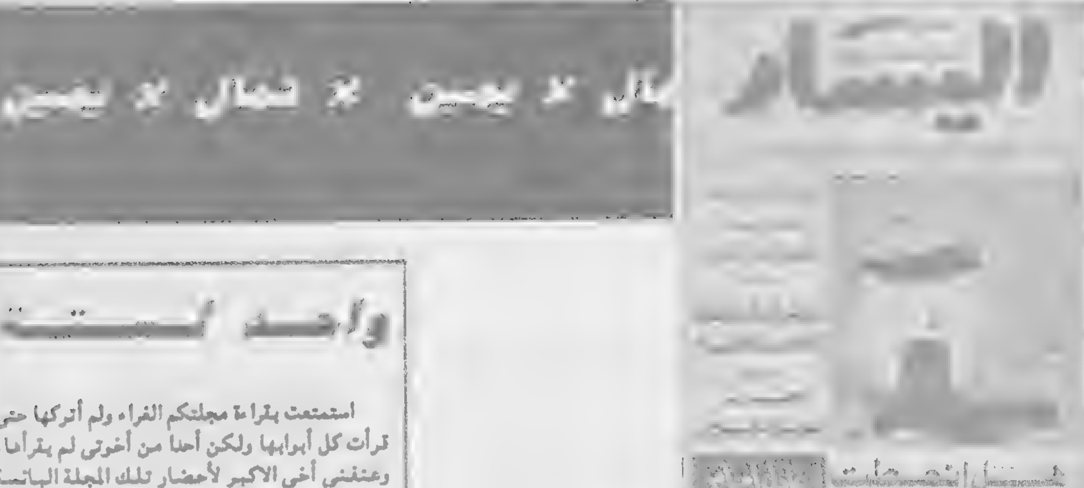
كذلك يؤكد «عمر الجاوي» الأمين العام للحزب «التجمع الوحدوي» والأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين وهي المنظمة التي وحدت نفسها مبكرا في الشطرين، وهو مفكر وحدوي وأحد «دراويش» الوحدة، ان للقضية الوطنية أولوية مطلقة على كل شيئ آخر هكذا تعلمنا تجارب الشعوب وهو الشيئ الذي يعرفه اليمنيون جيدا، ولابد أن تشارك كل المنظمات الجماهيرية والقواعد الشعبية في تحقيق أسس الوحدة ديمقراطيا.

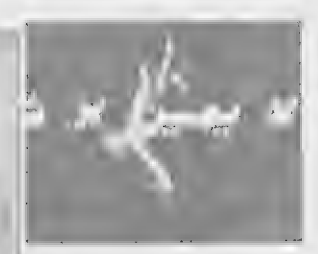
أما يحيى الشامي فيرى أن الديمقراطية هي الضمان الحقيقي ضد هيمنة حزب واحد او تيار واحد في المستقبل «واذا لم تقدر القوانين التي تسمح بالممارسة الديمقراطية وهو أمر يصعب التسليم به فان النتيجة هي هيمنه خط سياسي معين على دولة الوحدة، لكن من الاستحالة أن يذوب الحزب الاشتراكي اليمني وكذلك القوى الديمقراطية، وينتهي دورها، فالقوى الديمقراطية في اليمن قد صنعتها نضالات عديدة..» ويتفق الدكتور سالم بكير مع هذا الموقف ويضيف إن الوحدة ستكون عملا نضاليا يشارك فيه الشعب كله أي عملا ديمقراطيا بأوسع معنى..»

بينما يستعد شباب الحزب الاشتراكي اليمني لطرح كل أسئلتهم الجوهرية على مؤتمر الحزب الذي يجرى الاعداد له الأن لينعقد في ابريل القادم.

البقية ٥٤ . ٥٥

عدن - فريده النقاش





على هذه الصفحة ننشر أفكار القراء.. سواء كانت أفكاراً تأتى من الشمال.. أو تهب من اليمين.. المهم أن تكون أفكاراً..

جنيه المستضعفين!

أهلا بكم فى دنيا الصحافة. وأتمنى أن تصمدوا وتصلوا وتستمروا. أنتم الأعلمون بالصحافة ويفننونها. لكن لنا رأى: لماذا هذا الإسم (اليسار)؟! ولماذا رفع شعار «راية المستضعفين فى الأرض» رغم أن المستضعفين فى الأرض لا يملكون قوت يومهم. فكيف يقرأون؟ ومن أين يأتون بجنية لمجلة قيل عنها راية المستضعفين؟ الأسم «اليسار» - معناه أنكم تخاطبون فئة معينة هم اليساريون والشيوعيون والناصريون. رغم إننا دخلنا عصر التكتلات. المجلة موضوعة للمثقفين فقط ودسمه جدا ومواضيعها طويلة جداً لماذا لاتكون الموضوعات قصيرة، ومفيده أيضا، فنحن فى عصر السرعه والفصل و[illegible]! ومن أين يأتى بوقت فراغ لقراءة مجلة تحتاج إلى أسبوع وشهر فهم!! أرجو ألا تغضبون من رأيى فهذا ماخرجت به من بعد قراءتى للمجلة. وأتمنى أن أجد فى الإعداد القادمة مجلة بمعنى الكلمة تعتمد على الخبر والصوره الحية والتحقيق الجرئ والعمود الساخن والدعوه للرأى والحوار..

[سمير عبد المجيد سليمان . بشلا]

المحرر: مبررات اختيار الاسم شرحناها فى الكلمة التى كتبها المحرر تحت عنوان «لليسار در» فى «العدد الماضى». والسؤال الأصح هو: هل هناك مستضعفون فى الارض الآن.. أم لا؟.. فإذا كان فمن الضرورى أن تكون لهم رأية، أو لسان حال. أما كيف يأتون بالجنية ليشتروا المجله، فهو بالنضال من أجل تحسين ظروفهم الاقتصادية، لتتيح لهم إشباع حاجتهم للمعرفة.. وليس صحيحاً أن اتخاذ الاسم معناه أننا نتوجه للناصريين والشيوعيين فقط، ولكن الصحيح أننا نصدر المجلة للمثقف المتوسط المهتم بالسياسة.

ملاحظتك بشأن دسامة المادة وطولها ، ستكون محل اهتمامنا من هذا العدد، فنحن يهمنا أن يقرأنا الناس وأن يفهموا مانقول، قبل أن يقفوا معنا أو ضدنا.

واحد لستة

استمتعت بقراءة مجلتكم الغراء ولم أتركها حتى قرأت كل أبوابها ولكن أحدا من أخوتى لم يقرأها. وعنفنى أخى الاكبر لأحضار تلك المجلة الباهتة القاتمه، حتى والدتى لم تمسكها سوى دقائق تصفحت العناوين وقرأت الكاريكاتير وأنا بالنسبة لهم واحد من سته أما أغلب الاخوه فأكتفوا بقراءة «ديمقراط وأرستقراط»! أذن الواضح أن المجلة مخصصه لطبقة المثقفين فقط !! والغرض منها هو تحويل من هو [illegible] أن توجهوها الى كافة طبقات الشعب إذ يجب أن يقرأها الرياضى والفنان والمتنفس والبائع والفلاح والسياسى يجب أن يقرأها الطفل والشاب والكهل والفتاة والأم. لاتخجلوا من تقليد المجلات والجرائد التى نجحت فى الأنتشار وتوصيل الأفكار. وأحمد الله أن مجلتكم شهرية. لأنى أحد المستضعفين قليلى النقود .أعذرنى لنظاظتى فقد تعودت أن أنقد ما أراه خطأ .

عادل السيد عثمان دمنهور

المحرر: لست فظاً، ولكن الظروف هى التى تتميز بالفظاظة، وتفسد أذواق القراء، وتجهل الجدية واحترام عقل القارئ، ومحاولة افادته والدفاع عن مصالحه، لتنامه ويؤسا، وتسعى الى تحويل الصحافة إلى سيرك للتهريج، ونحن نتوجه أساساً إلى القارئ المهتم بالشئون السياسية، والاقتصادية، وقضايا المجتمع، ونسعى للتعارف معه من خلال تبادل الافكار.. واصبر على قراءتنا عددين، وشجع اخوتك السته على قراءتنا، وسوف تتأكد أننا على حق.

عقلانية.. أم علمانيه؟

أهنئكم بصدور العدد الأول من المجلة ويشرفنى أن أدخل معكم - كقارئ- فى حوار أتعشم أن يستمر باستمرار صدور هذه المجلة.

اخترتم الديمقراطية والعقلانية والاشتراكية محاور ثلاثه يدور حولها الطرح الفكرى لمجلتكم.

أسلم معكم بالديمقراطية والاشتراكية أما العقلانية فلى عندها وقفه.

العقلانية من العقل والعقل قوة بشرية توضع فى مقابل العاطفة وهو قوة مضادة للسلطة بشتى مظاهرها كما أنه قوة تسعى للتخلص من كل آثار التفكير الأسطورى.

أكاد أجزم بأنكم تقصدون بالعقلانية تقوية الاعتقاد بقدرة وقيمة العقل فى مقابل سلطة النقل ومن ثم فأنتم تريدون ثورة ثقافية عميقة الجذور كتلك التى أحدثها أصحاب الحركة الإنسانية إبان القرن السادس عشر ففى عصر النهضه الأوربية تمرد أصحاب هذه الحركة على نمط الحياة التى كانت سائدة فى العصور الوسطى والتى أدت إلى التضحية بالفرد الإنسانى فى هذه الحياه الدنيا وبشروا بقيم دنيوية تبشر بالاهتمام بالحياة الإنسانية دون ارتباط ضرورى بالعالم الأخروى فعلينا أن نكتفى بالطبيعة التى بين أيدينا لانجاوزها إلى مافوقها أو مابعدها حتى لا يزيغ البصر من

بدايه أقف احتراما وتعظيما لك ولوطنيتك الصادقة، واخلاصك لمصر الذى يشهد به الجميع. قرأت مجلة اليسار .مبروك فى خدمه الوطن. اردت ان استفسر منكم عن اشياء :

١ – معنى العقلانية التى اتخذتموها شعارا للمجلة

٢ – تفسير عباره وردت فى كلمة المحرر «اننا نؤمن بان اليساريه هى الاعتراض على الواقع والسعى لتغييره، والتصدى لمن يسعون لتثبيته والدفاع عن حق الاعتراض وتأكيده.

٣ – المعنى القانونى والمعنى السياسى «للقانون الطوارئ» كما يفهمه اليسار المصرى «بالذات».

ارجو سعة الصدر.

حسين إبراهيم محمد. مجلس الشعب

المحرر: نشكرك. سنكتب كثيرا عن العقلانية والاشتراكية والديمقراطية. والعبارة واضحة المعنى، وخلاصته، أن اليسارية هى السعى نحو تغيير الأوضاع نحو الأفضل باستمرار بالاعتراض على ماهو ليس ملائماً منها، وليس لليسار المصرى مفهوم مختلف عن مفاهيم بقية القوى السياسية لقانون الطوارئ، فهو قانون يتعلق بأوضاع استثنائية كالحروب والمجاعات، التى يجوز أثنائها للسلطة التنفيذية أن تتوسع فى نفوذها، على حساب الحريات العامة والشخصية. ولذلك فنحن ضد استمراره، لأنه ينتقص من حقوق المواطنين.

راية المستكبرين فى الأرض

من منطلق الحرص على حرية الصحافة وحق كل مواطن فى اصدار صحيفة ايا كان اتجاهه لذلك نحن نرحب بمجلة اليسار رغم أننا قد نختلف حول الفكر الذى تنادى بتطبيقه على المجتمع والذى قد نصطدم به للوهلة الأولى فى عدم جدواه فها أنتم قد كتبتم على غلاف المجلة أنها راية المستضعفين فى الارض ولكن هنا يبرز سؤال وهو هل راية المستضعفين فى الارض يكون ثمنها جنيها كاملاً و إذا كان هذا ثمنها فكم يكون ثمن راية المستكبرين فى الارض ؟

عفواً لاتقل لى إن ثمن الورق والطباعة فى ارتفاع مستمر لقد كان بمقدوركم ان تكون المجلة اقل فى الحجم وفى عدد الصفحات وبالتالى اقل فى الثمن فأنا كواحد من المستضعفين فى الارض لا أستطيع متابعة مجلة شهرية ثمنها جنيه استطيع ان اعيش به على الأقل نصف يوم . الان ماهو التطبيق بأيديكم ولكنكم أيضاً لاتستطيعون وتجعلون من راية المستضعفين راية للأغنياء والمترفين.ثم «عن اى جهة تصدر اليسار؟. هل تصدر عن حزب التجمع.. ام مستقلة عنه؟؟ واذا كانت تصدر عنه فلماذاً لم يتم التنويه عن ذلك فى المجلة واذا كانت مستقلة فاسمح لى بسؤالك ومن اين اذا يكون مصدر التمويل؟؟ ارجو توجيه الشكر الى الاستاذة فريدة النقاش عن مقالها الجيد عن الشيوعية فى المجلة ولكن لى رأى أرجو تبليغه اليها وهو بمثابة رد على المقال فأقول «ان الشيوعية فعلاً قد أفلست وقد يكون الشيوعيين لايتقبلون العزاء ولكن هذا ليس دليلاعلى عدم الوفاه ولكن الشيوعية توفت واقيم لها السرادق والشيوعيين فقط يقفون خلف السرادق لايريدون ان يتقبلوا العزاء خوفاً من نظرات وعبارات المنافسين وان كانت الشيوعيه بالفعل لم تسقط والخطأ كان فى التطبيق أما من نظرة تعيد لها توهجها وأنا أرى ذلك فى الاعتراف بالله وبالتوحيد فأنا كمسلم لا أستطيع الأعتناق والاقتناع بمذهب يجردنى من التوحيد واذا كان لدى الشيوعيين هذا المذهب فأنا أرفضه . لى استفسار أخير وهو عن مدى استطاعتنا نحن المستضعفين فى الارض فى الكتابة تحت راية المستضعفين فى الارض وهل ذلك ممكن أم طارق عبد المنعم هو مقتصر على فئة معينة.

طارق عبد المنعم أبو الكركيت

صحيفة صوت الشعب

المحرر: قد تكون على حق ولكننا ايضا على حق ونحن نبحث البدائل التى تؤدى الى تخفيض السعر دون تخفيض المستوى. «واليسار» تصدر عن حزب التجمع، ولكنها ليست لسان حاله، مثل «الأهالى». والاحزاب السياسية تصدر صحفاً متعدده، بعضها يكون لسان حالة والآخر يسير على مبادئه العامه ، مع درجة من حرية التعبير المستقل. وفريدة النقاش تشكرك وتؤكد لك إنه لايوجد ارتباط ملزم بين الشيوعية والإلحاد، فهناك شيوعيون مؤمنون، وآخرون ملحدون، وهناك ملحدون كثيرون ليسوا شيوعيين. والشيوعية نظرية تهتم أساساً بالتغير الاجتماعى والاقتصادى. وليس نشر الإلحاد هدفا من أهدافها.

لا للصمت

«إذا فرض علينا الانتحار فليكن انتحارا، [illegible]»

دارت هذه الحكمه فى راسى وأنا أتصفح جريدة تأخر صدورها نصف قرن.

تحية الى مجلس التحرير وتحيه الى كل العاملين.

نبيل سيف. أجا دقهلية

هنا إلى هناك فتضيع من أيدينا (هنا) دون أن ندرى ماذا (هناك) اى تضيع الحياة الإنسانية من أجل مجهول فهى حركة ترفض تبعية الحاضر للماضى والتضحية بما يثبته العلم من أجل خرافات وأوهام.

ولقد كانت هذه الحركة بداية التيار العلمانى الذى أدى ومازال يؤدى إلى التقدم الأوربى.

فلماذا إذن لا تستبدلون كلمة العقلانية بمصطلح العلمانية فتكون محاور اليسار: ديمقراطية – علمانية – اشتراكية.

خصوصا وأن كلمة العقلانية كلمة فضفاضة إذ يمكن لكل فرد أن يدعى أنه عقلانى فيما يطرحه من أفكار.

مديرية الشباب – دمنهور عبد الحق سرور

أخيرا وجدنا ماأقرأة فى عصر
صحافة [illegible]
نعمات محمد على. مصر الجديدة

المحرر: نوافق على التفسير الذى قدمته للعقلانية، وعلى أنها – فى بعض جوانبها – مناظرة للعلمانية. والمهم هو المعنى لا المصطلح. والعقلانية والعلمانية [illegible] العالم الدينوى فى مواجهة العالم الأخروى، ولكنهما يذهبان إلى أن الانسان أن يكون فاعلاً فى العالم، ومؤثراً فيه، وأن يعمل من أجل ترقى وتقدم حياته الانسانية.

>> ————

دمـــوع الـــفـــرح

دمعت عينى وأنا أقلب «اليسار» من الشوق والفرحه .. شوق طال وفرحه غامرة دمعت عينى أيضا من الحروف الصغيرة والأخطاء المطبعية ودمعت أكثر لأننى أعرف أنها بسبب الامكانيات . كيف هان عليكم أن تتركونا طول هذه الفترة؟ اخيراً جئتم .. تركتمونا لابراهيم نافع وابراهيم سعده وأنيس منصور ومصطفى محمود أو تعرفون أن هؤلاء يجلبون لنا مرض السرطان. استاذنا «صلاح عيسى» ما أشد حاجتنا «لاهياريه» حاميه (لاتكتب فى التاريخ). استاذنا «حسين عبد الرازق» اضرب فى الرأس كأعدادك الأخيرة من «الاهالى». كبروا الحروف قليلا «كفايه علينا» البطاطس بزيت الشمجه» وضعوا اسم الكاتب صدر المقال. قلوبنا كما تعرفون معكم وجيوبنا كما تعرفون خاوية وعقولنا تصبح فارغة اذ غبتم عنا.

محاسب ل.ح. المنوفية

المحرر: شكرا.. نفذنا بعض ماطلبت فى هذا العدد.. والباقى فى الطريق.

بعد انتظار

انتظرناكم طويلا حتى طال الانتظار ولكن لم يذهب جفاء بل ظهرت اليسار رايه المستضعفين فى الارض فى أروع صورة ربما أروع مما كنا نتصور !!

ظهرت قوية وستظل كذلك وساما على صدر اليسار المصرى على طريق الكفاح الثورى المقدس طلبا للعدالة الاجتماعية والتحرر القومى ومنبرا يسعى الية كل مواطن شريف يحارب من أجل قضية الوطن قضية الحرية والبقاء والاشتراكية الحميدة فشكرا لكم وشكرا لكوكبة المفكرين والمناضلين صلاح عيسى، محمود أمين العالم، فريدة النقاش. د. رفعت السعيد وبقية كتابكم ومحرريكم، إلى الامام لكى يعرف المجتمع المصرى أن اليسار هو الطريق والاشتراكية هى الغاية ولاغاية غيرها

ناصر عبد الواحد محمد
القاهرة



«لقد انتظرنا طويلاً أن تصدر مجلة تعبر بكل صدق وصراحة عن اليساريين واخيراً ظهرت «اليسار» رايه المستضعفين والفقراء في الارض .. ظهرت الرئه الثالثة التى تبعث إلى صدورنا الهواء النقى والى عقولنا الرأى النقى فمرحباً باليسار.. مرحبا بالنقاء الصحفى.

أبو بهاء - السويس

..

يسعدنى أن أبعث اليكم بخالص التمنيات بصدور مجلة «اليسار». ولقد طالعت العدد الأول منها وتبين لى أنه يحوى أبوابا تتسم بالبحث الموضوعى والوقائع التاريخية. والآراء السياسية بيد أنه اذا كان مبتغى كل صحيفة أو مجلة الاستمرارية والتقدم والانتشار فان ذلك لايقوم فى الحقيقة والواقع الا اذا تفاعلت المجلة أو الصحيفة مع الحد الأوسط لغالبية الشعب. من حيث إمكانية تداولها فى أيدى أكبر عدد من القراء الذين هم بالكاد يتعاملون مع مجلات أو صحف أخرى تستنفد جزءا من دخولهم ومن أجل ماتقدم وحتى تتحقق الغاية المرجوة لمجلة اليسار فاننى أرى مايلى:-،

١ - البعد عن استخدام الطباعة بالحروف التى ترهق الأعين

٢ - مراجعة البروفات قبل الطبع - فقد جاءت الصفحة ٦٥ وبها صورتان لكل من /عمر البشير وحسن الترابى.ولكن وضع إسم الترابى تحت صورة البشير والعكس

٣ - الاهتمام بالحالة الاجتماعية والاقتصادية وإجراء التحليلات العملية ووصف أو بيان العلاج للمتدهور منها.

٤ - الابتعاد عن الإكثار من صور الزعماء والقاده الغابرين والقائمين

٥ - لايعنى القارئ أن يرى غلاف المجلة من النوع الفاخر بينما ينطوى هذا الغلاف على النوع المتوسط من الورق.

٦ - من دواعى الانتشار للمجلة أن تتداولها آيدى كل الشعب وبالتالى فان مبلغ جنيه شئ كثير

٧ - لا أغالى اذا ماطالبت أن يكون أسلوب الكتابة يستطيع فهمه وادراكه واستيعابه السواد الأعظم من الفلاحين والعمال لاأصحاب المؤهلات العليا والدكاترة فهؤلاء هم المستضعفون فى الأرض وبهذا يكون شعار المجلة فى محله.

مع وافر تقديرى للجهد المبذول فى الأصدار أرجو لكم دوام التوفيق لخير الناس اجمعين

محمد ابراهيم عبد المعطى
المحامى بالاسكندرية



الخطر الحقيقي للهجرة اليهودية الكبرى

قبلة حاخام جديد على يد حاخام اكبر

حقيقة الدور الامريكي .. والدور السوفييتي .. والدور العربي



عبد الكريم قاسم



جمال عبد الناصر



الملك حسين

الخطر الحقيقي للهجرة

مشكلة الجماهير الفلسطينية في اسرائيل

عندما تنبثق هذه السطور الى النور،وعلى الرغم من الضجيج العربي والعالمي ، الاعلامي خصوصا ، إحتجاجا على الهجرة اليهودية الكبرى من الاتحاد السوفيتي الى اسرائيل ، تكون طائرات العال في اوج رحلاتها المكثفة التي بدأتها منذ عدة أشهر لتنقل المزيد والمزيد من المهاجرين من اوطانهم الى «ارض الميعاد»

فالضجيج العالمي لا يمنع المهاجرين من الوصول الى البلاد.

يحطون في مطار اللد، الذى اصبح اسمه «مطار بن غوريون» بفضل عملية التهويد المثابرة، يوما بعد يوم. هم في واد والعالم كله في واد آخر. فالمهاجرون لا يشعرون ولا يتأثرون بما يدور في الكون حول قضيتهم. ما ان يصلوا الى المطار حتى تسبق شفاههم اقدامهم في تقبيل الأرض. وما ان يرفعوا رؤوسهم حتى تتلقفهم الأحضان الدافئة لعشرات المستقبلين، ليس من موظفي الوكالة اليهودية او وزارة الاستيعاب فحسب وانما، بالاساس، من مبعوثي الاحزاب والحركات السياسية الصهيونية المختلفة وجمهور الاقارب والاصدقاء النشطاء.

من تلك اللحظة فصاعدا، تنتظرهم عيشه شهر عسل طويل قد يستغرق سنة ونيفا. وقد يصعب وربما يستحيل على اى منهم ان يلوك من عيشه البلاد ومآزقها وازماتها قبل انقضاء «سنةالعسل»،اللهم الا اذا وقعت معجزة. وفي هذه الأثناء ليس من سبيل امامهم الا ان يتمتعوا بالنعم ويتكاثروا بنهم. هذا هو مارسم لهم. وهذا هو ما لا يقوى احد على تغيير مساره بعد. وكل ما يحدث من ضجيج خارج هذه الحدود يبدو، حتى الآن، كأنه يجرى في عالم آخر.

الى متى سيستمر الوضع على هذا النحو؟ لا أحد يدرى. ولكن نظرة فاحصة الى عمق موضوع الهجرة، جذوره وآفاقه، قد تكشف عن بحر من الامكانيات ينتظر من يسبح فيه ويغرف منه.

الجذور

الحركة الصهيونية مذ تأسست في نهاية القرن الماضي اختارت لنفسها طريق الاستيطان الكولونيالي المستند الى الهجرة الجماعية لليهود. هناك من فكّر في غزو اوغندا. وهناك من ابتعد الى أقاصي غرب الكرة الأرضية. لكن الغلبة كانت للذين اختاروا فلسطين. ففيها اغراء ديني لليهود في كل بقاع الأرض.

وباتت الهجرة الى فلسطين هدفا بحد ذاته للصهيونية. وفي سبيل تحقيقه كسرت كل المحرمات، بما في ذلك ايجاد الصلة مع النازيين. وبما في ذلك انتهاج سياسة اقتلاع عنصرية لشعب آخر



جريانشرل

هو الشعب الفلسطيني. وبما في ذلك ايضا العيش على الحراب ابد الدهر.. فتوافقت هذه المهمة مع مصالح الاستعمار، البريطاني بداية ثم الأمريكي فيما بعد، فاستخدم القيمون على الصهيونيه واهدافهم لخدمة مآربه واطماعه الاستعمارية. فكانوا الذراع القوى والمخلص والمغامر والمطيع والمبادر لضمان هيمنته. فجعل منها ابنا مد للا. حتى قيل في اسرائيل «الولاية رقم ٥١ في الولايات المتحدة الامريكية» لشدة حظوتها عندها.وكان لهذه الحظوة ثمنها الباهظ.

لقد سجلت اسرائيل رقما قياسيا عالميا في كونها الدولة الأولى في التاريخ الحديث التى تعيش على حرابها بمعدل حرب واحدة كل ست سنوات منذ قيامها (حروب : ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٠، ١٩٧٣، ١٩٧٨، ١٩٨٢. ولم تتوقف الحروب ابدا حتى الآن. فحالة الحرب قائمة رسميا بين اسرائيل وكل جاراتها العربية، باستثناء مصر. وهى تمارس الحرب يوميا من خلال احتلالها في جنوبي لبنان ومحاولاتها اليائسة والهمجية لقمع الانتفاضة الفلسطينية). هذه الحروب تستنزف الاقتصاد وتنخر الاخلاق وتمرض المجتمع. وقد كان لها اثر كبير في الفشل والافلاس المدقعين اللذين ألمّا بالفكرة الصهيونية الاساسية : جلب اليهود الى ارض الميعاد.

ان عدد اليهود في العالم اليوم يضاهي ١٥ مليون نسمة وعدد اليهود المسجلين في اسرائيل لايتعدى ٣٫٨ مليون نسخة، اي ٢٥٪ فقط. وحتى من بين هؤلاء يوجد على الأقل نصف مليون يهودى مسجلون سكان دولة اسرائيل لكنهم يعيشون خارجها بشكل دائم او شبه دائم.

وعلامة أخرى للفشل هي الهجرة المعاكسة من البلاد الى الخارج. فهذه ظاهره رافقت كل تاريخ «الدولة العبرية» لكنها اخذت في الاتساع والازدياد. ففي مطلع الخمسينات (١٩٥٠ - ١٩٥٤) غادر البلاد في كل سنة حوالى ٣٠ الف مواطن لم يعد اليها منهم (١١ألفا) (٣٧٪). ومنذ اواسط السبعينات غادر البلاد في السنة مابين ٢٨٨ و٣٣٣ الفا لم يعد منهم ١٤ ألفا (٥٪). ولكن بعد هذه الفترة أخذت الظاهرة تتسع اكثر واكثر. وفي الثمانينات، خصوصا بعد حرب لبنان، بدأ ميزان الهجرة يصبح سلبيا. وصار عدد النازحين عن اسرائيل يساوى او يزيد عن عدد القادمين اليها.

لقد كان محور الفشل ان الاغراءات الدينية والقومية للصهيونيه لم تتغلب في نفس الانسان اليهودى على الحاجات والطموحات الذاتية والمخاوف الانسانية.. من الحروب او البطالة او الافلاس.. الخ.. وفي العام ١٩٨٧ كشف النقاب عن عدة موظفين في الوكالة اليهودية، تم اختيارهم بحسن درايه لارسالهم للولايات المتحدة الامريكية من اجل اقناع اليهود النازحين بأن يعودوا الى اسرائيل، فاقتنعوا هم انفسهم بالنزوح ولم يعودوا الى البلاد.

علما بأن هناك امتيازات كبيرة للنازح العائد تنافس في ضخامتها الامتيازات المعطاة للمهاجر اليهودى القادم لاول مرة. ومع ذلك فلم ينفع ذلك كله شيئا.

ولذلك، فليس صدفة اننا نرى جميع الاحزاب الصهيونية في اسرائيل، بما فيها من احزاب اليسار الصهيوني المتحمسة للسلام الاسرائيلي – الفلسطيني التام على اساس مبدأ «دولتين للشعبين» مثل «مبام» و «راتص»، كلها تتجند من اجل انجاح موجة الهجرة الكبرى. فهي ترى فيها بارقة امل لتجديد شباب الصهيونية ومحو عار الفشل عنها.

.. الهجرة الكبرى

وتلفيقها من مداهمة الهجرة الكبرى

اذا صدقت التقديرات الحكومية والصهيونية (الجاليات اليهودية) حول مدى اتساع الهجرة الجديدة من الاتحاد السوفييتي فان هذه الهجرة ستكون الاكبر في تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين باستثناء الفترة الصغيرة التي اعقبت قيام دولة اسرائيل. وربما تفوق حتى هذه الفترة.

لقد اصدرت الحكومة الاسرائيلية أمرا يقضى بالزام الصحافة بتمرير كل ما يتعلق بالارقام و الاحصائيات وسبل عمل الهجرة اليهودية، عبر الرقابة العسكرية. ولذلك فمن الصعب الحديث هنا عن ارقام دقيقة. وامر الرقابة العسكرى مازال سارى المفعول على الرغم من معارضة جميع الصحف الاسرائيلية والانتقاد العلنى لوزير الخارجية الامريكية، جيمس بيكر، للموضوع.

بيد اننا من خلال رصد ماينشر في الصحافة الاسرائيلية نفسها نجد ان الحديث يدور حول الارقام التالية :

* وزارة المالية تتحدث عن قدوم مئة الف يهودى من الاتحاد السوفييتى خلال هذه السنة (١٩٩٠).

ولكن وزارة المالية لها مصلحة فى تقليل العدد. اذ انها الوزارة التى تدفع التمويل. وكل زيادة فى العدد يجب ان تنعكس فيما تخصصه للوزارات المعنية (الاستيعاب والبناء والتعليم وغيره). لذلك تختار ارقاما متواضعة.

* وزارتا الاستيعاب والبناء الاسكان. وهما تقدران العدد ب ١٥٠ - ٢٠٠ الف نسمة خلال السنة. ولكن هاتين الوزارتين لهما مصلحة فى زيادة العدد لانه يعنى زيادة مباشرة، فى ميزانية كل منها.

* احد زعماء الجالية اليهودية فى الولايات المتحدة الامريكية، الحاخام دافيد فورمان، كتب فى مقال له نشرته صحيفة «هارتس» الاسرائيلية يوم ١٩٩٠/٣/٦ ان العدد سيصل الى ٦٠٠ ألف مهاجر خلال السنوات القليلة القادمة.

والمعروف ان الهجرة اليهودية لم تعرف فى تاريخها مثل هذه الارقام الا فى السنوات الثلاث الاولى لقيام الدولة (٤٨ - ١٩٥١) حين بلغ عدد المهاجرين سبعمئة الف (اضيفوا الى ٦٥٠ الف يهودى كانوا مستوطنين فى البلاد). اما قبل ذلك فكان معدل الهجرة، حتى فى زمن النازية (١٩٣٠ - ١٩٣٩) ٥ر١٤ الف مهاجر فى السنة وبعد ذلك (من ١٩٥١ فصاعدا) بمعدل ٢٠ الف مهاجر ثم ٤٠ الفا من العام ١٩٥٦.

ليس من الاتحاد السوفيتى فقط

لقد أثارت الهجرة الاخيرة المتواصلة من الاتحاد السوفييتى، وبحق، ضجيجا وقلقا فلسطينيا وعربيا . وحتى عالميا بعض الشئ.

فهى فضلا عن كونها «الهجرة الكبرى» فى تاريخ الاستيطان اليهودى وكونها جاءت بعد سنوات عجاف طوال، فانها فى ظل المنهج الحالى لحكام اسرائيل تشكل خطرا على قضية السلام العادل وتهدد كيان الشعب الفلسطينى وتأتى على حسابه، وطنيا ومعاشيا ايضا. وحين نقول الشعب الفلسطينى فاننا لا نقصر ذلك على اهل الانتفاضة



بوش

فى الضفة الغربية والقدس وغزة، انما نعنى ايضا ما يسمى ب «عرب ٤٨» اى الجماهير العربية الفلسطينية التى بقيت فى وطنها عام ١٩٤٨ وما برحته تحت قسوة الظروف وصمدت وحافظت على هويتها وانتمائها وصمودها وناضلت من اجل تطورها ضد سياسة تمييز لا تختلف بشئ عن «الابرتهايد» الابيض البشرة.

ولكن، قبل التطرق الى هذا الموضوع والى هجرة اليهود السوفييتى عموما، ينبغى ان نسجل حقيقة اخرى مرتبطة بالدول الأخرى التى سبقت الاتحاد السوفييتى فى «ارسال» اليهود المهاجرين الى اسرائيل. واذا كان الاتحاد السوفييتى يفتح ابوابه اليوم امام خروج اليهود المهاجرين فان هناك دولا اخرى، بينها دول عربية، طردت او سمحت بطرد اليهود طردا الى اسرائيل عبر السنوات الاربعين الماضية.

ونحن لا نقول هذا دفاعا عن الاتحاد السوفييتى او تبريرا لفعلته. فلهذا سنتعرض لاحقا. كما لا نقوله هجوما على تلك الدول. فلكل منها ظروف احاطت بافعالها آنذاك، هناك امور بيدها وامور اخرى اقوى منها. ففى مصر مثلا طرد اليهود على اثر اعمال الارهاب التى نظمتها المخابرات الاسرائيلية ضد منشآت ومواقع امريكية (عام ١٩٥٤) من اجل توتير العلاقات المصرية الامريكية. وفى العراق مثلا هرب اليهود بعد ان دبرت الصهيونية لهم اعمال ارهاب فى احيائهم وبيوتهم وحتى كنسهم ومقدساتهم. وفى اليمن جرت «عملية تطهير» من اليهود خلال بضعة اشهر قليلة «وانتقاما من اسرائيل التى شردت شعب فلسطين الشقيق» الخ..

اننا نسجل هذا فقط من اجل انصاف التاريخ والحقيقة :

ان عدد المواطنين اليهودية فى الاتحاد السوفييتى اليوم (اى قبل بدء الهجرة الكبرى) حوالي ٦ر١ مليون نسمة يشكلون بنسبة ٦١ر٪ من سكان الدولة. وقد كانت نسبة اليهود فى بعضها، ومازالت نسبتهم حتى اليوم فى بعضها الآخر، اكبر بكثير من هذه النسبة. واليكم بعض الامثلة : كان عدد اليهود عام ١٩٤٨ فى اوروبا ٧ر٣ مليون نسمة (٢ر٣٢٪ من اليهود) وهبط فى العام ١٩٨٤ الى ٦ر٢ مليون (يصبح ٦ر٢٠٪ من اليهود فى العالم). وبلغ فى افريقيا ٧٠٠ الف نسمة عام ١٩٤٨ واصبح اليوم فقط ١٧٢ الفا (منهم ١٢٠ الفا هاجروا من اسرائيل وغيرها الى دولة جنوب افريقيا العنصرية. وفيها يعيشون ويعملون اليوم).

وقد هاجر الى اسرائيل من الدول العربية خلال العقدين الـ[illegible]ين من قيام الدولة اكثر من ٧٠٠ الف يهودى على النحو التالى : من مصر ٧٩ الفا (من مجموع ٨٠ الفا). من العراق ١٤٩ الفا (من مجموع ١٥٠ الفا). اليمن ٣٨ الفا (من مجموع ٤٠ الفا). سورية ولبنان (من ٢١ الفا). ليبيا ٣٥ الفا (لم يبق فيها يهود). تونس ٥٦ الفا (بقى فيها اليوم ٣٧٠٠). الجزائر ١١٠ آلاف (بقى فيها اليوم ٣٠٠). المغرب ١٨٠ الفا (بقى فيها اليوم ١٧ الفا).

ويبلغ عدد السكان اليهود فى اسرائيل من اصل شرقى (قدموا من الدول العربية والاسلامية) ٧٦ر١ مليون نسمة يشكلون بنسبة ٤٤٪.

ومن جهة ثانية فان ثلاثة ارباع اليهود يعيشون خارج اسرائيل فى مختلف دول العالم. والاتحاد السوفييتى لا يقف على رأس تلك الدول من حيث نسبة اليهود من سكانه ولا حتى عدديا. ولنراجع بعض الامثلة :. عدد اليهود فى الولايات المتحدة الامريكية ٧ر٥ مليون نسمة (اى ٥ر٢٪ من السكان). فى كندا ٣٠٩ آلاف (٢ر١٪ من السكان). فى فرنسا ٥٣٠ الفا (٩٨ر٪).

البقية [ص ٥٦]

الحكومة الإسرائيلية القادمة ومسألة في الحساب!

لدينا مثلاً شعبي يقول «انتظر ياكديش-الحمار الصغير- حتى يأتيك الحشيش». ويُطلق المثل على أولئك الصابرين إلى الأبد، فمن لاينشط لنيل غرضه وينتظر أن يأتيه في مكانه، يكون انتظاره كذلك «الكديش» الذي ينتظر «الحشيش». ولكن الكديش كديش، أما الذين ينتظرون أن يستمعوا من شمعون بيريز أن يشكل حكومة جديدة تقود إسرائيل إلى مفاوضات السلام العادل مع الشعب الفلسطيني، فعليهم أن يجدوا نموذجا آخر في الحياة، لأن حكاية بيريز مهما تحمس لمشروع بيكر،

حكاية طويلة، وتحتاج إعصاراً وليس انتظاراً، في العمل والنضال السياسي العربي، وليس فقط لأن اعتبار مشروع بيكر سقف لما يمكن أن توافق عليه إسرائيل هو بحد ذاته مهزلة، إنما أيضا لأن تكليف بيريز بتشكيل حكومة جديدة، وبين أن تقوم هذه الحكومة فعلا ثم يبدأ بالتحرك ثم التفاوض حول مشروع بيكر، هناك مسافة طويلة جدا، وما الانتظار بأيد مكتوفة سوى ترك الحبل على غاربه، لإطلاق اليد لمواصلة قمع الانتفاضة بعيدا عن الأضواء، ولمواصلة الهجرة الكبرى لليهود مع كل مايحمله الأمر من مخاطر.

واليكم «عينة» من عمليات الحساب:

لقد صدر قرار رئيس دولة إسرائيل بتكليف رئيس حزب العمل شمعون بيريز بتشكيل حكومة جديدة في ٣٠ مارس ١٩٩٠ وحسب القانون، توجد لبيريز مدة ٢١ يوما لتشكيل الحكومة. فاذا انتهت قبل ان ينجح في تشكيلها وطلب فترة اخرى يعطى ٢١ يوما اضافية تنتهي في الرابع من ايار فاذا فشل تعطى الفرصة لعضو كنيست آخر (ربما شامير او غيره من حزب الليكود..) ومعه ايضا ٤٥ يوما اضافية (حتى ١٨ حزيران..) وحتى ان انجح بيريز خلال تلك الفترة فعلينا ان ننتظر مدة توزيع الحقائب على الوزراء (وعلى كل حقيبة يتصارع اكثر من ٢-٣ زعماء من مختلف احزاب الائتلاف..) وفي حالة وجود حكومة مصغره فان هناك مصاعب جديدة امام هذه العملية، اذ يكفي ان يصاب عضو كنيست بالزكام فيتغيب عن الجلسة حتى تسقط الحكومة. وهناك من يصاب بالزكام السياسي، اذا لم يعجبه الوضع. ثم يجب ان تستقر الحكومة. ويسافر رئيسها الى البيت الابيض ليأخذ بركته!

وهكذا.. فلا يمكن اعطاء تقدير واثق حول تطورات الامور في إسرائيل للمرحلة المقبلة وحل مايقال في هذا الشأن لن يتعدى حدود التكهنات.

ولكن ماحدث من تطورات في الاسابيع الأخيرة يمكنه ان يعطي فكرة حول التوقعات للمستقبل لقد سقطت الحكومة تحت اسباب قضية السلام. وهذه القضية هي للمستقبل القريب، الامتحان.

... كيف ولماذا سقطت الحكومة؟

لو أننا نتعامل مع نظام حكم طبيعي لكان السؤال الذي يجب أن يسأل في هذا المجال هو لماذا قامت أصلا هذه الحكومة التي تسمى «حكومة التكتل القومي»؟! فقد حكم على هذه الحكومة بالشلل منذ اليوم الأول لقيامها في ديسمبر ١٩٨٨ ليس لان الحزبين الكبيرين (العمل والليكود) متناقضان بالعكس لان أحدهما ينوب في الأخر العمل ينوب في الليكود. ففي حين جرت انتخابات الكنيست في عز الانتفاضة وقمة عنفوانها. فكانت الموضوع الأساسي في المعركة الانتخابية فتنافس المعراخ والليكود على من القادر منهما على قمع الانتفاضة فجاء قرار الناخبين: المعراخ والليكود

٢١+٢١+٣

وانتظر «ياكديش»

منافسة. فحصل الأول على ٣٩ مقعدا في الكنيست وحصل الثاني على ٤٠ (من مجموع ١٢٠ عضوا) ولأن أيامن الحزبين لايثق بالاخر سعى كلاهما لارضاء الاحزاب الدينية. فمنحوها امتيازات كبرى، مالية ومادية وروحية، مقابل انضمامها للإئتلاف الحكومي. فتشكل بها ائتلاف عريض يضم قاعدة برلمانية من ٩٧ عضوا، وهورقم قياسي في تاريخ البلاد.

لكن قوة القاعدة العريضة لم تنعكس في عمل الحكومة ونشاطها. بل على العكس أظهرت عجزا فظيعا في التقدم الى الامام في المواضيع الاساسية وتناقضات جمة في الممارسة العملية للسياسة.

بيد أن الموضوع الاساسي ظل موضوع الانتفاضة فهنا تعهد الحزبان للناخبين بعمل كل شيئ في سبيل انهائها. واعترف كلاهما بأن الحل الجذري لها هو بتحقيق السلام، وكان الضغط عليهما يزداد من الشارع ومن الجنود أنفسهم ومن صمود الانتفاضة الاسطوري وخطة السلام الفلسطينية ومن الرأي العام العالمي وحتى الولايات المتحدة الامريكية التي شعرت بالاحراج من حليفتها الصغيرة

في ظروف هذا الواقع «خطة شمير» المعروفة باسم مشروع الانتخابات في الضفة والقطاع وهي في الاصل خطة رابين. تبناها شمير وأصبحت تسمى باسمه. والهدف منها مواجهة الواقع المذكور اعلاه واجهاض خطة السلام الفلسطينية التي ما ان اطلقت حتى حظيت بتأييد عالمي.

لقد مرت عشرة شهور منذ ذلك الحين (١٤ أيار ١٩٨٩)، انتظر شامير خلالها أن يزيف للعرب وقيادة الشعب الفلسطيني الخطة فلم يفعلوا. وبات يرى خطر اللقاء الاسرائيلي - الفلسطيني في القاهرة داهما. فلم يتوقع شامير ان تسير الامور بهذا الشكل. وقامت هبة ضده في حزبه وحكومته (وزراء الأطواق). ففتش عن طريق للتراجع فلم يجد سوى الطريق التي اتبعها، طريق الفضيحة: التنكر لما كان قد وافق عليه وربما بادر اليه خطة بيكر. هنا لم يحتمل حزب العمل الوضع، فحاول حشر الليكود في الزواية وتهديده بالطلاق.

وفوق كل هذا فان قادة حزب العمل الحاليين يعرفون انهم يضعون مصيرهم كله على كف عفريت. فالقيادات الشابة داخل الحزب تنتمي بغالبيتها الى اصحاب الفكر الجديد المؤمن بأن الضمان الوحيد لمستقبل اسرائيل الزاهر هو بالسلام.

ان كل هذه الأسباب مجتمعه دفعت المعراخ الى الكف عن المماطلة واتخاذ موقف حاسم. وقد ساعدهم الامريكيون كثيرا في ذلك اذ قدموا مشروع بيكر، الذي لايختلف في الجوهر عن خطة شامير. فقبلوها بدون تحفظ بينما تردد الليكود ثم امتنع عن قبولها. وحين حاول بيريز تسجيل موقف الليكود هذا امام العالم طالبا التصويت عليه في جلسة المجلس الوزاري المصغر (يوم الاحد ٩٠/٣/١١) رفض شامير. فانسحب بيريز ووزراؤه من الجلسة

وهكذا تلاحقت الاحداث بسرعة:

* بيريز بدأ يسعى لتجنيد الدعم لمشروع اسقاط الحكومة

* شامير افتتح جلسة الحكومة بعد يومين (٩٠/٣/١٣) باعلانه اقالة نائبه شمعون بيريز من الحكومة «لانه يسعى لافشالها» وزراء حزب العمل الآخرون، الذين كان نبأ اقالة بيريز قد تسرب اليهم، جاءوا مستعدين فقدموا رسالة استقالة جماعية من الحكومة. حزب العمل يطرح مشروع

البقية ص ٥٨



ليتوانيا الصغيرة إلى أيـن ؟

ثلاثة مخاطر تهدد الاستقلال : الحدود والانهيار الاقتصادى والأمن القومى

تطرح المسألة الليتوانية- نيابة عن الحركات القومية الأخرى- عدة أسئلة منها : هل تنجح تلك الحركات فى الانفصال؟ هل يظل اتحاد الجمهوريات هذا اتحادا فيدراليا أم يمضى نحو اتحاد كونفيدرالى؟. ماهى سياسة البيرسترويكا تجاه المسألة القومية؟.

وتثير ليتوانيا من الدهشة قدر ما أثارته من أسئلة. ومصدر الدهشة أن الحركات القومية الأخرى فى «أذربيجان» و«جيورجيا» و«أرمينيا» و«مالدافيا» قد أسالت دماء أبنائها فى الطرق والميادين دون أن تظفر بما تمنته، بينما تمكنت ليتوانيا دون جهد يذكر من اعلان بيان الاستقلال فجر الاثنين ١٢ مارس.. على الرغم من أنها بلد صغير لايتجاوز سكانه الأربعة ملايين، ولاتمتاز أرضها بالثروات الطبيعية، وكان انتاجها من اللحوم والألبان!.

وتاريخ ليتوانيا تاريخ بلد صغير تداولته أيادى الغزوات الالمانية والسويدية والروسية بدءا من القرن الخامس عشر . ودفع احتلال السويديين لها بطرس الأول للتفكير فى منفذ بحرى لروسيا لاتتهدده المطامع. فأنشأ مدينة «بطرسبورج» (لينينجراد حاليا)، وأسس الأسطول الروسى البحرى. ولم تكن ليتوانيا قبل بطرس الأول سوى مقاطعة من مقاطعات الامبراطورية الروسية فى عهد ايفان الرهيب. وظلت تابعة لروسيا القيصرية حتى عام ١٩١٦. ثم احتلها الالمان فى الحرب العالمية الأولى، واضطر لينين للتنازل عنها فى

<<

قتل النازيون ٢٠٠ ألف ليتوانى خلال الغزو وقدم الجيش السوفيتى ٤٠٠ ألف شهيد لتحريرهم



صلح «بريست» الشهير. واضطر الالمان لمواجهة الثورة داخل بلادهم لسحب جيوشهم من البلطيق، فاندلعت فى ليتوانيا ثورة شعبية لتعلن قيام السلطة السوفيتية عام ١٩١٨، فعاد الالمان فى نهاية نفس العام وفرضوا حكم وصاية (استقلال مع مناطق نفوذ وامتيازات) على ليتوانيا، واستمر ذلك الحكم حتى عام ١٩٣٩، وفى هذا العام وقع السوفييت اتفاقية «عدم اعتداء» مع الالمان. واتضح فيما بعد أن لتلك الاتفاقية ملاحق سرية وقعها كل من «مولوتوف» و«ريبنتروب» تسمح للاتحاد السوفيتى «بمصالح حيوية» فى منطقة البلطيق مقابل «مصالح حيوية» مماثلة لالمانيا فى بولندا!. وقد اعترف مؤتمر نواب الشعب السوفيتى فى دورته الثانية بهذه الاتفاقية وأدان ملاحقها السرية، وتنص هذه الملاحق صراحة على المصالح والحدود والتعويضات وغير ذلك بالنسبة لليتوانيا وبولندا. لكن اتفاقية (عدم الاعتداء) لم تصمد طويلا أمام شهية المانيا التوسعية، التى أخذت بعد احتلالها لبولندا تتطلع عام ١٩٤٠ الى منطقة البلطيق مرة أخرى! وهنا نشأت ثورة عارمة فى ليتوانيا فأطاحت بالحكومة الليتوانية التى كانت تتعامل فى الخفاء مع الالمان، واعلنت قيادة الثورة انضمامها الى اتحاد الجمهوريات السوفيتية. وعند اندلاع الحرب العالمية دخل الالمان ليتوانيا ليصفوا حساباتهم مع كوادرر الثورة وزعمائها، فقتلوا أكثر من مائتى ألف مواطن ليتوانى! وحرر الجيش السوفيتى هذا البلد بأكثر من أربعمائة ألف شهيد مخلصا اياها من قبضة الالمان.. وبذلك استقرت ليتوانيا ومنطقة البلطيق داخل الحدود السوفيتية حوالى نصف القرن، وانطوت صفحة من الصراع عليها، الى أن فتحت البيرسترويكا محابس الكلمات والرغبات والرأى فقفزت ليتوانيا تصيح: الحرية بأى ثمن، والانفصال مهما جرى!.

وقد عانت الشعوب السوفيتية، وفى مقدمتها الشعب الروسى، من قبضة ستالين. لكن الشعوب غير الروسية عانت علاوة على ذلك من اضطهاد قومى تمثل فى إنكار ثقافاتها ولغاتها وتاريخها القومى. وكان ستالين يشحن القوميات فى عربات نقل مبدلا مواطنها!. وهو ماقام به مع «تتار القرم» حين نقلهم الى ماوراء جبال الأورال، ومع «تشيتشينو» و«اينجوشى» عندما نقلهما من القوقاز الى آسيا الوسطى!. وهو ماجرى مع «ألمان الفولجا» (مليونين) فصاروا يعيشون فى سيبيريا! ويشبه هذا أن ينتقل الشعب المصرى ليحيا فجأة فى منغوليا!. حتى أنه عندما نشب الصراع القومى بين الأذربيجان والأرمن شاعت نكتة بين الروس تقول أنه لو كان ستالين حيا لأنهى هذا النزاع بتوحيد هاتين الجمهوريتين، وجعل من «كييف» (عاصمة أوكرانيا) عاصمة للجمهورية الجديدة المتحدة!. وبذلك يضرب- بقرار واحد- ثلاث جمهوريات!.

البيرسترويكا والأبواب المفتوحة..

ترافق نشاط الحركات القومية مع الاعلان عن التوجهات السياسية والاقتصادية الجديدة للاتحاد السوفيتى. ولب هذه التوجهات الجديدة هو الحركة نحو ليبرالية اقتصادية لايدرى أحد حتى الان الشكل النهائى الذى ستتخذه . فكل ماصدر حتى الان من قوانين الملكية الخاصة لاتتعارض مع الملكية العامة للدولة. وهى عكس كل قوانين الملكية الخاصة فى العالم لاتحدد «الممنوع» ولكنها تحدد «المسموح» بملكيته وفى اطار عدم الاستغلال حتى الان. ومع هذا فأن هذا القدر من «البحبحة» الاقتصادية للمشروعات الخاصة، استلزم قدرا من «البحبحة» السياسية، كانت الدولة نفسها بحاجة اليه لتنعطف نحو «البيت الأوروبى المشترك» بدلامن«بيت الاشتراكية العالمى» الذى توزعت غرفة فى أميركا اللاتينية وآسيا وأفريقيا وأوروبا.

وفى ظل هذه «البحبحة» السياسية والديمقراطية والعلنية نشطت الحركات القومية فى الجمهوريات السوفيتية ومن بينها ليتوانيا. وازدحمت «فيلنوس» عاصمة ليتوانيا بمختلف التنظيمات مثل: الحزب الاشتراكى الديمقراطى الذى كان يحكم ليتوانيا قبل الثورة، ورابطة «حرية ليتوانيا»، و«حزب الخضر»، وأحزاب دينية كاثوليكية وأخرى قومية، وجماعات متعددة. وتصدرت منظمة «سايوديس» (الوفاق) قائمة الأحزاب الرائجة. وتمكنت «سايوديس» وباقى المنظمات الأخرى من انتزاع حقوقها فى الطباعة والنشر والاجتماعات والاضرابات. وارتفعت أسهم «سايوديس» حتى أن ستين بالمئة من عضوية الحزب الشيوعى الليتوانى انتقلت الى عضوية «سايوديس»!. وتركزت المطالب على الانفصال، واقامة الدولة الليتوانية المستقلة، واحياء اللغة والثقافة والتاريخ القومى بكل رموزه.

وعلى مدى السنوات الخمس الأخيرة راحت منظمة «سايوديس» تثب الى مواقع السلطة قطعة بعد الأخرى. ونشأ فعليا وضع ازدواج سلطة، تقاسمت فيه هذه المنظمة مقادير ليتوانيا مع الحزب الشيوعى، الذى ضعفت مواقعه بعضويته البالغة مائتى ألف. وفى صيف ١٩٨٨ استطاعت الحركة الشعبية بضغطها الملموس أن تُقيل سكرتير الحزب«سونجايل»، وقد برز ذلك المطلب أساسا من بين القواعد الحزبية نفسها!. وكانت تلك أولى البوادر الخطيرة على أن الموقف يفلت من بين يدى القائمين على الحكم. وقد أقر المكتب السياسى للحزب حينذاك بأن الحزب «قد فقد المبادرة وامكانية الحركة»!. وقدم المكتب السياسى استقالته. وبرز حينئذ «برازوسكاس» سكرتير الحزب الجديد، الذى حاول أن يجمع بين «ليتوانيه»و«سوفيتيته» لتفادى الأزمة الزاحفة فى الشوارع. فأعلن فى ديسمبر ١٩٨٩ فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى الليتوانى عن انشقاق الحزب وخروجه من الحزب السوفيتى الموحد، كما ألغى المادة السادسة من الدستور الليتوانى التى تنص على الدور القيادى للحزب السوفيتى، وسمح بالتعددية الحزبية، وقرر اعادة النظر فى ميثاق الحزب ونظامه الداخلى. لكن خطوة «برازوسكاس» المحصورة هذه كانت تلهث فى مؤخرة الأحداث، فقد سبقه الكومسومول الليتوانى بستة أشهر الى الخروج من الكومسومول السوفيتى! كما كان الليتوانيون مشحونين بالشعور بأنهم قاب

البقية [ص ٧٧]

سبعون علماً فى الأدب والفكر الروسى

يقولون لا للصهاينة فى الإتحاد السوفيتى

سنوات « البيرسترويكا » هى سنوات الاعتراف التى تحدثنا فيها التجربة الاشتراكية عما جرى لها ، فى ذلك البيت البعيد المعزول ، الذى خطفت اليه وحبست فيه ، فنبتت بداخله وقد انطوى صدرها على أسرارها . وهو بيت أحاطت به الأساطير والالغاز والأقاويل ، مثل بيت «الجبلاوى» فى رواية « أبناء حارتنا » لنجيب محفوظ وقد أخرجت « البيرسترويكا » التجربة الاشتراكية الى الشارع ، لكنها لم تهدم البيت القديم ، وهى لم تهد الداخل لكنها أشارت اليها ، ولم تشبع حاجات المجتمع لكنها عرتها.

فإن كان لجورباتشوف فضل ، فإن كل فضله أنه قد أزاح الستار عن نص قد مزقته الرقابة ، ومسرح تجمد تحت أنظار رجال الأمن . فالبيرسترويكا هى تعرية الجرح ، لا علاجه . وهو جرح يدهشنا كل يوم ، بل كل لحظة ، بمساحته وحجمه وعمقه ! . وأصداء الاضطرابات القومية والاقتصادية تتردد ما بين « جيورجيا » ، و« أرمينيا » و « أذربيجان » ، و«مالدافيا » ، و«طاجكستان»، وغيرها .

وعلى الرغم من مرور خمس سنوات على السياسة الجديدة والعلنية ، الا أننا لم نسمع شيئا بعد عن مأساة الشعب الروسى ، وهو أكبر الشعوب السوفيتية ، وقد تكون مأساته أكبر تلك المآسى . ولكن جريدة « ليتيراتورنايا روسيا » قامت مؤخرا - الجمعة ٢ مارس - بنشر رسالة مطولة وجهها الكتاب الروس الى مجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفيتى ، ومجلس السوفييت الاعلى لجمهورية روسيا ، واللجنة المركزية للحزب الشيوعى الحاكم . وقد وقع على تلك الرسالة أكثر من سبعين أديبا ومفكرا من ألمع الاسماء ، من بينهم « ليونيد ليونوف » الذى زاره جورباتشوف فى بيته تكريما له ، ومنهم « فالنتين راسبوتين » الروائى المرموق ، والشاعر « ستانسيلاف كونيايف » رئيس تحرير مجلة «الانسان المعاصر » وغيرهم من صفوة الحركة الثقافية الروسية . ويؤسفنى بصدق ألا أستطيع أن أنقل للقارئ النص الكامل لتلك الرسالة ، فهى خطاب مشحون بطاقة من الكبرياء والغضب يكاد يأبى أن يسكن حروف الكلمات الثابته . وتفضح تلك الرسالة - وهى الاولى من نوعها - الثقل الصهيونى فى الصحافة والاعلام السوفيتى ، وتعدد تسع صحف ومجلات بالاسم من بينها أنباء موسكو ، علاوة على الاذاعة والتليفزيون . وتقول أن كل تلك

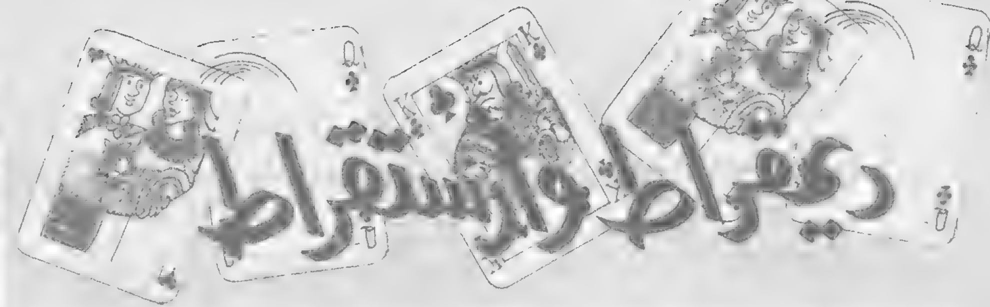


المظاهرات العربية فى موسكو ضد المؤتمر اليهودى الاول

الأجهزة الاعلامية تشن حملة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ روسيا ، لمطاردة وملاحقة أبناء الشعب الروسى . وتلجأ تلك الصحف الى اطلاق مختلف النعوت على الشعب الروسى يوميا ، بدءا من « الفاشيين » و« العنصريين » انتهاء بالتحقير البيولوجى البحت المتمثل فى التعبير المفضل لدى تلك الصحف وهو « أبناء الكلاب » ! . ويذكر كل هذا بلغة الدعاية الهتلرية التى اعتبرت الروس « جنسا سلافيا منحطا » . وان ماضى روسيا التاريخى كله - قبل وبعد الثورة - يتعرض للتشويه والتحقير . فروسيا عندهم هى « عبدة الالف عام » ، و« الشخصية الروسية هى شخصية العبد » . وتسكت وسائل الاعلام تلك عن آلام الشعب الروسى وضحاياه التى أنقذ بها العالم من خطر الفاشية . . وبينما تلجأ تلك الصحف الى تخويف الناس بمنظمة « الذاكرة » باعتبارها منظمة قومية روسية ، فإن تلك الصحف نفسها لم تحرك ساكنا عندما انعقد فى موسكو ، فى ديسمبر عام ٨٩ المؤتمر اليهودى الذى حضره مندوبو أكثر من ستين منظمة صهيونية من الغرب واسرائيل بما فيهم « سام حادينتس » رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية . وأن الصحافة السوفيتية التقدمية المزعومة تزرع فى الأذهان مصطلح « الشوفينية الروسية » ، لتشغل الأنظار عن الفاشية الحقيقية والعنصرية الحقيقية التى اتحدت قواها وتجمعت فى تحالف صهاينة الاتحاد السوفيتى فى الجماعات القتالية المسماة « بيطار » والصحافة المركزية لا تقتصر فقط على كل ذلك ، بل وتحاول اما طمس أو تذويق الجوهر الفكرى للصهيونية ، وتصمت تماما عن أن منظمة بيطار المصرح بها

البقية [ص ٨٢]

أحمد الخميسى





الوحده الوطنية ليست تاكسى بالنفر

الاسطى سميحه

أجرة القاهرة ٤٨٠٠

مغامرة النساء بقيادة سيارات التاكسى لم تتوقف ولم تدخل متحف التاريخ، رغم المانشتات التى تتحدث عن الاغتصاب والسرقة، وعودة المرأة إلى البيت لتكون رهينة المحبسين الرجل والبيت..

اكتشفت ذلك عندما اشرت الى التاكسى ٤٨٠٠ أجره القاهرة. وكان آخر ما رأيته قبل أن أفتح الباب، هو ختم الأمل فى الحصانة، الذى ختمت به حقيبة السيارة، وقد قرأت عباراته الواضحة ونصها «الستار موجود»!

على مقعد السائق، فوجئت بأن أسمه هو الأسطى سميحة، وأنه صاحب التاكسى وسائقه..

قلت للأسطى سميحة:

– طريقنا طوالى ياأسطى

ردت بأريحيه:

– وأخضر بالتكال على الله!

حسن ومرقص

لم يدر حديثنا حول حكاية المفارقة فى كون الجنس الناعم يعمل بمهنة خشنة، وان كان قد دار حول الخشونة والنعومة فى الحياة والعمل والناس وقداس الأحد ودبابير المرور.

قالت أنها أحبت «أحمد رشدى» لأنها تحب الانضباط. وتعتبر «عبد الوهاب مطاوع» فى«الأهرام» عبادة. وتتمنى أن تكتب له قصص فى الصميم من حياتها. ومع ذلك رفضت أن تقص علىّ قصة قدومها من أبوتيج/ أسيوط، وقصة زواجها الفاشلة، والتى لاتفكر فى تكرارها.

قلت: أحداث أبوقرقاص؟

قالت: دخلت أنا وثلاثة مسيحين و١٦ مسلما فى جمعية، نسميها جمعية العمرة – عمرة التجديد للسيارة– ولم نختلف منذ ٧ سنوات على هذا المنوال. وقالت أن أحد الجيران فتح الراديو على القرآن بصوت عال للغاية فى السادسة صباحا، فتصدت له سيدة مسلمة عجوز وقالت ان ربنا يعرفه الجميع، أما هذا الإزعاج فلا نريد أن يعرفه أحد. واضافت انها لم تصدق أن مسيحية أسلمت طبقا للشريط الذى كتب عنه مهاجما «فرج فوده»، لأنها شمت فيه رائحة شياط وفتنة وكذب .وقالت كذلك أن أكثر مايضايقها فى أسئلة الزبائن سؤالهم: انت مسلمة ولا مسيحية، وأن ردها الثابت هوأنا باعبد ربنا وحضرتك؟! . وأضافت تصور واحد ركب التاكسى، ليسألنى قائلا: أنت مسيحية ولامسلمة قبل ماشتم؟

وآخر أخذ يسب مسلما يعرفة لأنه يقوم بتشغيل مسيحين .

بعد لحظة صمت قالت الأسطى «سميحة»:

بصراحة بصراحة، حته الوحدة الوطنية دى مش تاكس بالنفر يركبه أى متطرف أو منافق أو مفلس.. ومفروض الصحافة تكتب الجد فى المسألة دى.

رزالة المتنطعين

قلت: قال كاتب كبيران السائقين يتعلمون السباب مما يسمعونه من أحاديث السادة فى المقاعد الخلفية؟.

–قالت: الشتائم.. تأتى من التاكس والملاكى ومن على الرصيف . فاذا أصابتنى أرد. لا أستطيع لازم آخذ حقى ناشف. وأكبر مايضايقنى فى المهنة عموما الرزاله

قلت: رزالة المثقفين؟

قالت: لأ .. رزالة المتنطعين.. واللذين يهددون بلا مناسبة. ياالا بينا على القسم ياأسطى. وطالبى القرب المدعى كحيلة سخيفة لتجاوز حدودهم.. أما رجل المرور فلعلمك عمرى ما أنزل أقول «أسفة ياباشا» إذا أخذ احدهم نمرة السيارة لأى سبب فقط أبتسم وأمضى.

قلت اشياء كثيرة آخرها المعجزات فى الكنائس..؟

فقالت: أنا رفعت الأكره الشمال علشان الزبون ينزل من اليمين. وأحيانا أرفع أكرة القزاز احتجاجا على تردد الزبائن بين: ارفع القزاز نزل القزاز

وقالت ان الميكانيكية أصبحوا سباحى وانها تقوم بكل الاصلاحات الأولية فى العربية بنفسها. وهنا ترددت كلمات كثيرة عن تيل الفرامل والأسطوانة والبوجيهات والكربراتير.. وأنها لاتخجل ان تقف فى الشارع لتطويق السيارة بالفرطة. أو معاونة زميل يحتاج الى من ينجده بالنداء: أى خدمات ياهندزة! وقالت ضحى– وكانت الست سميحة قد غدت كذلك فى ناظرى انها تكره الميرى، وتكره حتى الطريقة السائدة فى تشغيل التاكسيات بايدى الغير، وهى طريقة أسلمك مفولة واستلم مفولة ولك

العرب يستضيفون كارتر بدون شروط!

دفع الرئيس الأمريكى الأسبق «جيمى كارتر» نفقات الفندق الذى يقيم فيه أثناء زيارته لأسرائيل. وكانت الحكومة الاسرائيلية قد ابلغته أنها ستستضيفه على نفقتها، إذا قبل أن يلتقى بمن ترشحهم للقائه من الفلسطينين، فى الضفة والقطاع، أما إذا أصر على أن يقابل من لاتوافق الحكومة على لقائهم به، فعليه فى هذه الحالة، أن يعتبر نفسه سائحاً، ويدفع نفقات إقامته..



ثلث (للسائق). وانها لاتحمل بطاقة انتخابية لأن ٩٠٪ لعلمي- هكذا أخبرتني - لايحملون بطاقات لأن الناس ملت من السياسة والجرانين وأن التليفزيون لايبث اعلانات تدعو الناس الى أن ينتخبوا بحرية بنفس الطريقة التي يدعوهم الى تحديد النسل والخوف من الترعة.

وعن المعجزات قالت انها لاتصدق الا اذا رأت.. فمرة قالوا لها «روحية» من «الظاهر»، زارتها العذراء وشفتها من مرضها.. زرتها ولم أصدق، وأخرى قالوا أن عين العذراء تبكي دما في دير بشوى. قلت أشوف! يمكن المعجزة الوحيدة اللي شفتها هي تحرك عيني صورة البابا كيرلس بالاسكندرية. المسايسة أفضل.

المسايسة أفضل

والسيدة سميحة حريصة على الزيارة في مولد ميت دمسيس رغم ضجيج الحلل والبراهيم الجاز والسرقة، وهي ترى ان الست عقلانية في السواقة وفي الحياة بينما الرجل عاطفي، وتقول انها تأخذ كل واحد بلونه، من «الشغلي» إلى دكتور الجامعة، وأن الكلمة والمسايسة أفضل من السلاح. ولاتخشى شيئا في عملها، رغم تحذيرات إخواتها، لأنها ست كبيرة وليس فيها الطمعة، وانها أختارت العمل وعدم الجواز ثانية بكامل إراتها الحرة. برنامجها المفضل «فكر ثواني». ولذا فهي تقول أن «الأهرام» ميعلاش عليه، غير انها متقدرش تستوعبه وأن «الاخبار» خفيف و«الوفد» أخف لكن فيه الحوادث على أصولها و«صبح صباح» و«الابنودي»، رغم انها متعلمة بسيط ثم ندت عنها نغمة «حمامية»: آمايا.. ياأمه. أما «عدوية» فلاتسمعه الا في بعض اغانية، وفي البيت، لأن التاكسي مرفق عام لايليق به ذلك!

قلت لها: رحم الله الكابتن لطيف.. ألاحظ انك حين تأتي سيرة دبابير المرور تقولين: كله بفضل تشجيع المرور لي ولزميلاتي؟

ابتسمت وقالت: مش خوف. بس بندي كل واحد حقه واحنا بنعرف ناخد حقنا كويس... الست خلاص عمرها ماتدخل........

قاطعتها قائلا:

- المحبسين؟!

قالت: هنا!

مصباح قطب

زوجته الخائنة!

عثر ساعي البريد في احدى ضواحي العاصمة الألمانية بون في صندوق الظروف على طرد مشبع بالدم. ولايحمل لا عنوان الراسل أو المرسل إليه.. ولكن عبارة واحدة هي «ارسل إليكم قلب زوجتي الخائنة»! هو قلب خنزير!

ديمقراطية أو أرستقراطية

صحافة جامعية حرة بدون ورق على جدران المباني وفي بيوت الراحة!

كتبت حنان حماد

استأنفت صحافة الحائط الجامعية إصداراتها بعد توقف طويل، بدأ بعد الحملة الشهيرة التي شنها ضدها الرئيس الراحل أنور السادات، باعتبارها صحافة الشتائم والفضائح والرزالات والسفالات الاصدارات الجامعية الجديدة، لا تصدر على ورق، ولاتكتب بالاقلام الفلوماستر، لكنها تطبع على الجوائط مباشرة، وتكتب بالطباشير، أو بالحفر، وأحيانا بالزيت الأسود الذي يستخدم في سفلتة الشوارع، والمعروف بالزفت!

وتصدر بعض هذه الصحف على جدران مباني ادارات الجامعة ومدرجاتها.. كما يصدر البعض الآخر في دورات مياه الكليات..

وهي صحف تصدر بدون ترخيص، ولايتطلب اصدارها تقديم طلب للمجلس الأعلى للصحافة، أو تشكيل شركة مساهمة طبقا لقانون سلطة الصحافة، ربما لأن أصحابها يعلمون أن هذا القانون قد صدر خصيصاً لكي يحول دون اصدار الصحف.

ثم انها صحف مختلفة الإهتمامات، والتخصصات، متنوعة الاتجاهات السياسية.

ولكل صحيفة رئيس تحرير واحد، هو محررها الوحيد، الذي قد لايصدر منها إلا عدداً واحداً ليس له ثان، وهو صاحب حق في أن يكتب مايشاء، دون مراجعه أو تصحيح، ودون رقابة، وله حق التوقيع اذا أراد، وبذلك النمط الذي يشبه لافتات محلات الكشري التي ينشره رؤساء تحرير الصحف الحكومية على مقالاتهم.

ومعظم هذه الصحف، تقتصر على سطر واحد هو عنوان المقال الوحيد الذي تنشره.. وهي لاتتضمن أخباراً أو تحقيقات صحفية، أو صوراً

والصحف الرياضية منها تنشر مقالات من نوع «الأهلي حديد»، والصحف الفكاهية تنشر مقالات منها «عالج نفسك في الطب البيطري» وتنشر «الصحف العاطفية» عادة مقالاً بعنوان «للذكرى الخالدة» أما الصحف الدينية، فمن مقالاتها «ممنوع وقوف الشباب. حجرة طالبات» أو «ممنوع وقوف الطالبات. مدخل البنين» و «ممنوع وقوف البنين مع البنات» و الأعداد التي تصدر من هذه الصحف في دورات المياة، تنشر عادة مقالاً بعنوان «ادخل بيمينك.. واستعذ بالله من الخبث والخبائث، واخرج بيسارك»..

ومن المقالات التي تنشرها الصحف «المبتذلة» مقالات بعنوان «هنا صاحب أعلى رصيد في بنك البنات» ...و «......» و«......» ولامؤاخذة!

وعلى جدران مبنى إدارة الجامعة، حيث يقيم رئيسها، أصدر مجهول مجله، من عدة نسخ توزعت على اكثر من مكان من الجدار، تنشر مانشتا واحداً يقول «هنا يقيم

الملك»

وزغم زماننا الذى يغتال حق الشباب فى الزواج وبالتالى الحب، فما زال الطلاب يصدرون صحفهم العاطفية التى تحمل المثال المعروف وهو السهم الذى يشق القلب وعلى كل طرفية اسمان أو حرفان و «كل دقة من دقات قلبى بتقول أسامة»

الطريف أن هذا النوع من الصحف العاطفية منتشر بالذات فى مدرجات كلية دار العلوم التى تطبق الأحكام العرفية بصرامة للفصل بين البنين والبنات.

وللصحف الفكاهية والهزلية مكانتها الواسعة فى سوق الصحف الجدارية فى الجامعة وهى تنشر مقالات منها «عالج نفسك فى الطب البيطرى» و«المنظمة الدولية لمناهضة التعليم ونشر الجهل . رئيس لجنتها التنفيذية إيهاب حسنى ورمزه خطر الموت». و« إذا وجدت علبة كبريت فتذكر أخيك العفريت . إمضاء شطاطة» و «أسرة دولسى الاحرار تدعوكم لقضاء أمتع الأيام فى [illegible]

أما الاتوجراف أو مجلات الذكريات فقد كانت تحمل للذكرى الخالدة والذكرة العطره أما على صفحات الاصدارات الجديدة فتحولت الى «للذكرى الهباب وأيام العذاب وأكل الكباب والتسكع على الابواب. عمرو آداب تاريخ» و«للذكرى الخطرة :- أشقى الشقاوة أحمد ابراهيم الفقر مخاليق الله» و« فى كلية الزراعة لايمكن أن تكون ذكرى على الاطلاق فكان فيها أسود أيام

الجديد فى اصدارات الصحف الحائطية بدون ورق هو الصحف السياسية والاقتصادية.. فعلى جدران كلية العلوم كتب أحد الطلاب .. وبدون توقيع «لا ... لعملاء اسرائيل» وبنفس الخط فى مكان آخر لن يموت سليمان خاطر وهو ماتكرر على جدران كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، التى نشر على جدرانها مقال بدون توقيع بعنوان «لن يموت سليمان خاطر» وهو ماتكرر داخل دورات مياه نفس الكلية كتب أحدهم بالاسبراى الاسود فى ثلاثة حمامات «لا لكامب ديفيد ولا للتبعية» وعلى مبانى كلية العلوم وبالفحم الاسود «ياعملاء * غوروا».

و«لاانتخاب بعد اليوم» وعلى مبنى ادارة الجامعة بالحبر «كل الديمقراطية للشعب» وعلى جدران كلية الزراعة» سنقاتل حتى النصر وسنحرر فلسطين وعلى جدران المبنى الجديد بكلية الاداب وبالاسبراى الأسود وبخط كبير «فلتسقط الصهيونية» و«لاصلح . لاتفاوض . لااستسلام»

وعلى جدران كلية التجارة فالكتابه بالطباشير «الاضراب . الاضراب» وتكررت حوالى سبع مرات واضيف اليها فى مكان آخر مقال يقول «اضراب تضامنا مع هيئة التدريس» ومن المقالات الطريفة «الطوارئ . الطوارئ هربيه»

ومن المقالات الواضحة والمرقمة على جدران كليتى العلوم والآداب وعلى الاشجار «لاللتبعية» «لاالرفع الاسعار» لاللبطالة» وكلها بخط واحد ويتوقيع نادى الفكر الاشتراكي.

سألنا الدكتورة لطيفة الزيات : إحدى القيادات البارزة للحركة الطلابية فى الاربعينات عن دلالة هذه الظاهرة، فقالت أنه لايمكن الحكم على الحركة الطلابية فى انفصال عن ظروف المجتمع فعندما يعيش المجتمع حالة ثورية كالتى عشناها فى الأربعينات نجد الحركة الطلابية ثورية وتستخدم أدوات تعبير تتلائم معها كالاضراب والتظاهر. أما الآن فالمجتمع ملبد والحركة الطلابية محصورة فى عدد من القيادات الطلابية وهذا الحصار هو الذى يفرض أساليب عمل تتسم بالفردية كالكتابة على الجدران، بغض النظر عن تفاوت المكتوب.

ويقول «كمال خليل» عضو اللجنة الوطنية المنتخبة عن كلية الهندسة جامعة القاهرة سنتى ١٩٧٢و ١٩٧٣ والتى وقفت فى وجه «السادات» وطالبته بشن حرب لتحرير سيناء يقول : أن الكتابة على الجدران ظاهرة ايجابية لان الحركة الطلابية ضعيفة تطرح قضايا طبقية ليست لها جماهيرية واسعة . كالقضايا الوطنية. بالاضافة إلى غياب الديمقراطية داخل الجامعة وخنق أساليب التعبير التقليدية.

ويضيف هشام [illegible] عاصر الحركة الطلابية سنة ١٩٨٤ وأحد ممثلى التجربة الحالية، الى ماقالته د. لطيفة الزيات، أن هناك كتابات سياسية من طلاب غير سياسيين تعبر عن حالة سخط الطلاب فى وقت يفتقدون فيه إلى أدوات التعبير العادية، فلا يجدو أمامهم وسيلة مأمونة سوى جدران الكليات ودورات المياه.

ومازالت الصحف تصدر حتى صدور هذا العدد من «اليسار».

مزاج كسر الاشارات!

فى امستردام - اشهر المدن الهولندية- خطف مواطن سيارة أتوبيس، بعد تهديد السائق بمسدس، وأمره أن يتجول فى كل شوارع المدينه، وأن يكسر كل إشارات المرور..

وبعد أن استمتع الرجل بذلك خلع حذاءه، وتركه للسائق.. وفر من الأتوبيس!

بيان إلى أولاد الانفتاح!

تعرض فى بداية الشهر المقبل، فى صالة مزادات «سوذبى» - بالعاصمة البريطانية لندن - سيارة من ماركة جى .بى . أو . صنعت عام ١٩٦١، للبيع..

السيارة ربحت جوائز عالمية فى السباقات التى تمت من عام ١٩٦٢ - ١٩٦٥ ، ويتوقع خبراء الصالة، أن يصل سعرها فى المزاد الى «مالايقل عن تسعة ملايين جنيه استرلينى»..

فهل من مزايد ياولاد

هل انحطت أخلاق المصريين [بقية ص ١٥]

يعودا مرتبطين بزيادة الانتاج والانتاجيه بل بايجاد فرصة للعمل بالخارج مما يشكل خطرا مدمرا على قيم التنمية

ويضيف د. سعد الدين إبراهيم إلى ماسبق ظواهر أخرى تتمثل في أن مستويات المعيشة العاليه التي يحققها العمال المهاجرون وأنماط الأستهلاك الترفي التي يستمتعون بها تبرز ظاهرة التقليد بما ينعكسه على الآخرين. فالذين يبقون داخل الوطن يتولد لديهم شعور التوق الشديد الى أن يحظوا بأنماط إستهلاك مماثلة، وهي أنماط مغرقة في الاسراف وهنا تظهر مشكلة أن التطلعات المادية تفوق بكثير الأمكانات التي يتيحها مستوى الدخل المحدود لمعظم سكان مصر ولهذا فقد أصبح حلم الكسب السريع وبريق السلع الأستهلاكية التي يمكن لأموال الهجرة أن تشتريها جزءا من الحلم الشعبي المصري.

ويؤكد د. إبراهيم أن الأعتقاد الذي كا سائدا بأن من جد وجد وأن الأجتهاد في العمل والأحساس بالأنجاز هي الوسائل اللازمة للنجاح بمعنى هي قيم ومعايير لم تعد تجد مايدعمها من حقائق لأن الصورة التي تراكمت ملامحها عن النجاح المالي للأخرين دون جهد ملحوظ قد أخذت تضرب بجذورها عميقا في نفسيه المصريين وأصبحت الكلمات الدالة على النجاح هي الحظ والفرصة والأعارة والعقد . . والخليج، ويصبح اداء العمل في مصر هامشيا تماما كما هو هامشي في حياة العمالة المهاجرة بفرق واحد أن الأول يصاحبه حالات من الأكتئاب والتعاسة والبؤس والحرمان والثاني يصاحبه جمع المال والأستهلاك الترفي!

ومن النتائج الخطيرة للهجرة أيضا كما يقول د. سعد الدين إبراهيم التدهور المستمر في الاعتزاز بالأهداف والقيم الوطنية. فلم يعد استهلاك المنتجات الصناعية المصرية مصدرا للكبرياء والأعتزاز الوطني حيث حل محلها كل ماهو أجنبي. والأعجب أن تكون الجامعة الأمريكية وهي مؤسسة تعليمية خاصة، لم يكن يقبلها في السبعينات إلا العاجزون عن الألتحاق بالجامعات المصرية بسبب ضعف مجاميعهم قد أصبحت هي الحلم الذي يتوق إلى تحقيقه كثير من الشباب المصري لأنها طريقه الأقرب لتحقيق الثراء، فأي خريج حديث من الجامعة الأمريكية يعمل لدى مؤسسة أجنبية في القاهرة عادة مايكون أول راتب يتقاضاه مساويا على الأقل لعشرة أضعاف مايتقاضاه نظيره خريج الجامعات المصرية الذي يعمل في احدى المؤسسات الحكومية

ويشير د. رمزي زكي إلى أن ظاهرة الهجرة والعمل بالخارج قد رافقتها مشكلة التفكك الأسرى وإنحلال الروابط العائليه وإذ كثيرا مايضطر رب الأسرة لأن يهاجر بمفرده تاركا زوجته وأولاده بمصر، وفي حالات أخرى قد تهاجر الزوجه بمفردها.. ولايخفى مايؤدي إليه ذلك من خلل في العلاقات الأسرية ومن تأثير سيء على تربية الأبناء وعلى القيم العائلية.

تدمير العلاقات الزوجيه

سألت د. ليلى عبد الوهاب استاذ علم الاجتماع بجامعة بنها، ماهي الآثار التي لحقت بالقيم الخلقية من جراء تأنيث الأسرة المصرية في عصر الهجرة لبلاد النفط؟ قالت

– المرأة بسبب ظروف تاريخية معقدة هي أضعف فئات المجتمع وهي مركز الأضطهاد فيه فقد كان من الطبيعي أن تكون الضحيه الأولى لعصر الأنفتاح وما لحقه من ظواهر. والهجرة للبلاد العربية دمرت العلاقات الزوجيه ليس بالطلاق فحسب بل بازدياد تعدد الزوجات. كما تحملت المرأة أعباء مضاعفه داخل الأسرة بعد افتقاد الأبناء للدور التوجيهي والتعليمي للأب الذي أصبح ممولا للنزعات الأستهلاك السفيه مما يهيء المناخ لأنحرافات الأبناء الذين يفتقدون الأحساس بالمسئوليه تجاه الأموال السائله التي تمنح لهم دون معاناة أو جهد.

وساهمت الهجرة في قيام المرأة بادوار مزدوجه داخل الأسرة مما يرهقها ويحطم معنوياتها. أما الأسر الريفيه فقد تدهورت مكانتها فبعد أن كانت شريكا لزوجها الوصي عليها انتقلت الوصاية عليها إلى أقارب الزوج.

والآن ماهي الحلقة الرئيسيه التي لو أمسكنا بها لأنصلحت الأحوال

د. عبد الباسط عبد المعطي يقول أن الصورة ليست سيئه تماما كما تبدو فمعظم الأهتزاز الذي أصاب القيم يتم رغم إرادة الناس وضد طبائعهم ويوضح أن أخلاق الناس وقيمهم تتغاير بتباين فرصهم في الحياة وأنماط وجودهم الأجتماعي كما تتأثر بنسق القيم المهيمن الذي لاتعني هيمنته الآن أنه الوحيد الأكثر انتشارا. وهناك بعض من المفاهيم الشائعة تحتاج إلى إعادة نظر. فالفهلوة في تقديري تعني إبداعا لمواجهه القيود المفروضه التي تحول دون إشباع الحاجات الأساسية. كما أن لجوء المصري إلى استخدام النكته مثلا هو اسلوب يتجاوز جملة المحرمات السياسية والدينية والجنسية التي تعوق



تحقيق قدر من العلاقة مع محيطه الأجتماعي، وعن علاقته بالحاكم الذي يقهره ويسطو لي على فائض عمله ويبعده عن المشاركة في السلطة فكثير من عناصر الثقافة الشعبية قد حفلت بصيغ التورية تحسبا لعسف المسيطرين و تعكس عناصر إيجابيه لابد من فهمها وإعادة النظر بها.

الدكتور على فهمي يرى أن العدول نهائيا عن سياسات الأنفتاح الأقتصادي والعودة لنظام اقتصادي مركزي مخطط- بصرف النظر عن الأيديولوجيات- يوفر الأحتياجات الأساسيه للأنسان المصري من شأنه أن يعدل سلم القيم تدريجيا. ويتحقق ذلك في رأى د. ليلي عبد الوهاب بسلوك طريق التنمية المستقله وإحياء المشاريع القومية الكبرى وإسقاط سياسات التعميه في مختلف المجالات.

ويؤكد د. إبراهيم العيسوي أن المجتمع المصري لاينكر عن النماذج السوية، التي تحاول أن تشق طريقها بأمانه ونزاهة حفاظا على كرامتها وإعلاء لقيم الصدق والحق والأخلاص متحملة في ذلك شتى صنوف العذاب. وهذه النماذج ستظل مصدر الأمل وسط بحر الأحباط، ويظل معقودا عليها في إبقاء هذه المثل حيه في الذاكرة المصرية وفي إثبات أن هناك بديلا لقيم الأنفتاح وعلى الأخذ بيد المجتمع عندما ينفجر بالون الأنفتاح وتصحو الأمه إلى وعيها

أمينة النقاش

رسالة عدن - بقية



على سالم البيض..يصافح

مظاهرات النساء

أما بعض القطاعات الجماهيرية فلم تنتظر صدور القوانين لكى تمارس الديمقراطية. وفى أسبوع واحد شهدت عدن مظاهرتين نسائيتين كبيرتين، الأولى نظمها اتحاد نساء اليمن وتوجهت الى مقر اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى ثم الى قاعة فلسطين حيث كانت تنعقد ندوة الديمقراطية فى المجتمع العربى التى نظمتها الدائرة الايديولوجية للحزب الاشتراكى وجرت فيها مناقشات حارة وصريحة.

وكانت هذه المظاهرة تطالب بأن يتضمن دستور الوحدة حماية الحقوق التى حصلت عليها المرأة اليمنية فى الجنوب وخاصة قانون الأسرة الذى حدد الزواج بواحدة وحقها فى الترشيح والانتخابات ومساواتها الكاملة فى الأجور، وقامت مظاهرة مشابهة فى الشمال تطالب بالمساواة مع نساء الجنوب وتدعمهن.

وقبل ذلك بأيام قليلة كان الأطباء والصيادلة مايزالون مضربين من أجل مطالب نقابية تتمثل فى رفع الأجور والسماح لهم بفتح عيادات خاصة، ومطلب سياسى صريح هو اقالة وزير الصحة.

أما الطلبة فاقتحموا مقر جامعة عدن يوم ٨ مارس ليفصلوا الصبيان عن البنات من مقاعد الدراسة ويطلبوا الى البنات لبس الشادور»!!

وفى صنعاء، بدأ الاعداد فعلا لاصدار صحيفتين هما الأمل «ويرأس تحريرها» سعيد الجناص وهى تقدمية مستقبلية، وكانت تصدر حتى عام ١٩٨٥ حين أصدر الاخوان المسلمون عن طريق «الاحتساب» قرارا بتكفيرها وأهدروا دم صاحبها الذى غادر الى الجنوب كماسبق ان فعلوا مع الدكتور صمود العودى أستاذ علم الاجتماع الذى لجأ أيضا الى الجنوب

كذلك ستصدر جريدة «المستقبل» الناطقة باسم حزب الوحدة الشعبية فى صنعاء أيضا، بينما تقدمت عده طلبات لاصدار صحف فى عدن طبقا للقانون الجديد..

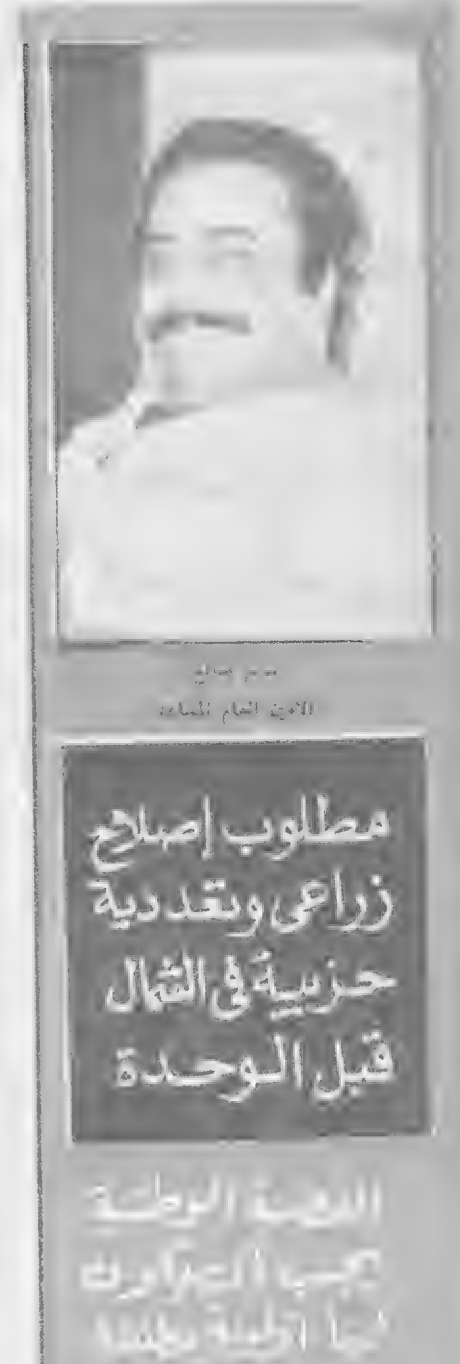
وقد ناقشت آخر قمة بين الرئيسين «على عبد الله صالح» «وعلى سالم البيض» فى تعز القضايا المتعلقة بقانون الأحزاب، ومستقبل العمل السياسى داخل الجيش الموحد، وميثاق العمل الوطنى المقترح صدوره عن الحزبين الحاكمين على ان توقع عليه الأحزاب التى تقبل الدخول فى المجلس الوطنى المقترح، وهو شبيه بجبهة وطنية، طوعية طبقا لتصورات الحزب الاشتراكى اليمنى، واجبارية طبقا لتصورات مؤتمر الشعب العام فى الشمال الذى ينص فى كل مواثيقه على ادانه الحزبية ويعطى لنفسه - وحده الحق فى العمل السياسى المنظم والشرعى حتى الآن.

ويقول «صالح سالم» محمد الأمين العام المساعد للحزب الاشتراكى اليمنى ورئيس لجنة التنظيم السياسى عن الجنوب والتى يرأسها عن الشمال عبد الكريم الابريانى « إن الوصول الى صيغة للعمل السياسى على أساس تحالفى هو شأن كل الأطراف التى ستلتقى فى مؤتمر وطنى عام لتناقش وتقر الصيغة المناسبة»

ولكن موعد انعقاد هذا المؤتمر لم يتحدد بعد، وليس الموعد هو المشكلة وانما المشكلة هى فى أن الدعوه سوف تمثل إعترافا واقعيا من قبل الشمال بشرعية الأحزاب التى أخذت تتكون وتعلن عن نفسها قبل صدور قانون ينظم عملها.

معارضو الوحده

تقول الايكوفمست انه توجد تقارير عن معارضة نافية للوحدة بين قادة القبائل فى اليمن الشمالى الذين كانوا دائما يتطلعون الى المساعدات المالية من الخارج، ويعتبرون حكومتهم عقبة فى طريق تجارة التهريب المربحة التى يقومون بها. وحقيقة الأمر أن معارضى الوحدة هم أكثر من ذلك



بكشير، ان مصالح أخرى سوف تتضرر ويحكى عبد الله الراسفي» أحد قادة تنظيم السبتمبريين الديمقراطيين» أن سلطات صنعاء أرسلت أحد المثقفين البارزين ويدعى «صادق نعمان» ليلقى محاضرة فى سلاح الطيران والدفاع الجوى مبشرا بالوحدة باسم الرئيس على عبد الله صالح، وتحدث عن الاسلام كدين للتقدم والحرية واذ به يلقى معارضة واسعة جدا، ووقف ٩٠٪ من الضباط مع الزندانى الذى ينشر ضد الوحدة وباسم الاسلام، والزندانى هو أحد الرموز المعروفة لقادة الاخوان المسلمين المرتبطين صراحة بالسعودية. ولماذا يرفضون؟

لان مصالحهم ترتبط مباشرة بالسعودية. التى تخشى تماما من وحده الشطرين فاذا كان الشطران قد رفضا اتفاقية ١٩٣٤ التى تنص على ترسيم الحدود فكيف سيكون الحال فى مواجهة دوله موحده..»

وشائع جدا عن الاخوان المسلمين الدين يعارضون الوحده قولهم « ان معركتنا القادمة فى عدن»

وقد لخص الزميل فهمى هويدى فى جريدة الاهرام النقاط التسعة التى وردت فى الكتيب الصغير الذى أصدره الشيخ «عبد المجيد الزندانى» ضد الوحدة ودستورها لانه فى نظرهم «بفتح الباب أمام شركاء لله فى الحكم، انه لاضمانه فى الحكم الجديد للالتزام بكتاب الله. فى ظل مشروع الدستوريستوى من كان مؤمنا مع من كان كافرا فى حكم البلاد، إباحه الردة وضمان الحرية للمرتدين لان الدستور يضمن قيام احزاب مرتده، الغاء الزكاة اذ نص الدستور على الضرائب- التمهيد للاباحية لان الدستور ينص على كفالة الحريات الشخصية، إقرار المساواة بين النساء والرجال»

ويعلق الزميل فهمى هويدى ناقدا للاخوان المسلمين «أنهم باسم الغيرة على الدين قدموا الاسلام وكأنه ضد المساواة وضد الحرية وضد المرأة»

ويطمئنهم الى المكاسب التى سيحصلون عليها بانحسار النفوذ الماركسى فى الجنوب.

ولكن الشئ المؤكد ان الحدود بين البلدين قد انفتحت وان تدفق البضائع والتجار من الشمال قد حدث حتى أنه رفع الاسعار وأدى الى اختفاء السلع المدعومة، وان المصادمات بين البلدين قد توقفت، وألغيت نقاط الحدود القائمة وجرى إستبدا لها بنقاط مشتركة، وتم توقيع اتفاقية بشأن الاستثمار المشترك للثروة المعدنية والنفطية فى مأرب وشبوه.

كذلك فان المطامع السعودية يمكن ان تراجع حساباتها وان تقدر حجم ماستخسره من نفوذ مقارنا بحجم ما سيحصل عليه أتباعها من مواقع فى الجنوب وهم متدفقون اليه مع التجار وينشرون موادهم الاعلامية على نطاق واسع جدا.

ومن ضمن الاحتمالات المطروحة بقوة أن يخرج الحزب الاشتراكى اليمنى من السلطة - ليس نهائيا -عبر الانتخابات، اذ يعطى الدستور الجديد ٨٠٪ من المقاعد فى البرلمان لدوائر شمالية ورغم نفوذ الحزب الاشتراكى فى الشمال فلا يتوقع أحد له ان يحظى بأغلبية المقاعد خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار النفوذ المالى الكبير للجماعات الدينية المرتبطة وثيقا بالسعودية والتى لن توقف نشاطها بعد الوحده رغم معارضتها لها الآن، وإنما ستحاول الحاق دوله الوحدة بخطتها.. وهو مشروع يعد له جيدا فى الدوائر العالمية الاحتكارية التى أزعجتها جدا تجربة اليمن الديمقراطى رغم كل ما لحقها من أضرار ومآسى

واذا كان المتفائلون بالوحدة يراهنون على أن التوجه العام للدولة المقبلة سوف يكون دون شك- لديهم- وطنيا ديمقراطيا : وفى قلب هذا الرهان ثقتهم فى وعى الشعب على إمتداد الساحة اليمنية وضجره المتزايد من تسلط التجار والفساد فى الشمال واحساسه بالعار بسبب إستيلاء السعودية على مناطق شاسعة من أراضية اضافة لنجدان وعسير، وتطلع الجنوبين الى حل مشكلات الاسكان المزمنة ورفع مستوى المعيشة والخروج من دورات العنف والتقاتل فى صفوف الحزب الاشتراكى، فان هؤلاء المتفائلين يقللون من شأن سلطة القبيلة التى وإن كانت قد اختفت جزئيا فى الجنوب الذى قامت دولته الحديثة على انقاض ٢٧ مشيخه وسلطنة إلا أن انبعاثها وارد فى ظل الأوضاع الجديدة وحيث هى الأساس فى الشمال جنبا الى جنب سلطة رأس المال الجاهل الغاشم والطفيلى والذى يرتبط لافحسب بالسعودية وانما ايضا بالاحتكارات الدولية الكبرى التى لن تفرط فى اليمن بسهولة وان كانت بصدد الاختيارين المر والأمر منه قد اختارت السكوت عن المر وهو احتمال نشوء دولة قوية فى شبة الجزيرة العربية هى اليمن الواحد، وذلك بدلا من الأمر منه وهو تطور نطاق ذى توجه إشتراكى فى الجنوب أخذ يصحح مسيرته فعلا بحيث يمكن أن يصبح إذا ماتغلب على صعوباته نموذجا من الوطن العربى والعالم الثالث كله خاصة بعد أن تسترد الاشتراكية عافيتها وتتغلب على مشكلاتها.

وسوف تجيب الأيام القادمة على كل مايزال معلقا من أسئلة الوحدة المفاجئة التى اندفع اليها نظامان سياسيان متباينان وصل كلاهما لذروة أزمة ليطفوا على موج الطموح الشعبى العميق لتحقيق الواحدة الوطنية، ومايزال الشعب مبعدا عن المشاركة الفعلية فى صياغة الوحدة بينما أن هذه المشاركة- لا الفرجه- هى العاصم الوحيد ضد أن تكون الوحدة مأزقا جديدا يتخلص به النظام العربى المترهل من نتوء صغير إسمه اليمن الديمقراطى بتوجهة التحررى الاشتراكى المعادى للأمبرايالية دون أن تنشأ قوة جديدة تضاف الى رصيد حركة التحرر بل الأرجح أنها ستدفع بقوى التحرر الى صفوف المعارضة

عدن - فريدة النقاش

مغناطيس الاستيطان يعمل بين المهاجرين



شامير

هذه الجماهير تعاني من نسبة عالية من البطالة ٢٠٪ (بينما في الوسط اليهودي ٩ر٨٪) وفي الفقر (٥٠ ٪ منها يعيشون تحت خط الفقر). وهناك نواقص رهيبة في مجالات التعليم والاسكان والخدمات الاجتماعية.

الهجرة الكبرى وقضية السلام

ذكرنا عن الاحتمالات البدهية لانتقال الوف المهاجرين الى المستوطنات الكولونيالية في المناطق الفلسطينية المحتلة. دون ان يعترض طريقهم احد. ولمثل هذه الخطوة آثار خطيرة على قضية السلام.

فأولا – ان مجرد زيادة عدد المستوطنين في المناطق المحتلة يعني زيادة العراقيل في وجه السلام.

ففي حينه، حتى المستوطنون اليهود في ارض سيناء المصرية «يميت» دخلوا في صدامات عنيفة مع الجيش الاسرائيلي عند اخلائهم بموجب اتفاقيات كامب ديفيد. فكم بالاحرى بالنسبة للمستوطنين العقائديين الذين يرون في الضفة الغربية جزءا من ارض اسرائيل التي منحها الله لشعبه المختار، فلا يتنازلون عنها في اي حال من الاحوال ؟! لقد راحوا يتحدثون قبل عدة اشهر عن قيام هؤلاء المستوطنين بتشكيل قوة عسكرية يستخدمونها في المستقبل ضد كل من يحاول اخلاءهم عن المستوطنات.

وثانيا – ان الانتماء السياسي للمستوطنين واضح المعالم. فهم يؤيدون [illegible] الليكود وحتى اليمين الفاشي. وهناك مستوطنون من قوى المعراخ ايضا. ولكن التطور السياسي حتى في مستوطنات المعراخ وكيبوتسات مبام يتجه سنة بعد أخرى نحو اليمين.

ان هذين العنصرين يؤكدا ان كل قوة اضافية للمستوطنين زيادة صافية في قوى اليمين.

لكن ليس هذا وحسب، انما قدوم المهاجرين عموما الى اسرائيل يقوي اليمين ويضعف اليسار والوسط.

لنأخذ مثلا سياسيا حيا من الموقف السياسي للمعراخ (اي حزب العمل). ان الانطلاقة الاساسية لهذا الحزب في رؤيته السياسية تعتمد على قاعدة الخطر الديمغرافي (السكاني). فهو يرى ان من الضروري الوصول الى السلام والتنازل عن الارض الفلسطينية ذات الكثافة السكانية لانهم لا يريدون للاقلية اليهودية ان تحكم الاكثرية العربية والأن بقدوم الهجرة الكبرى، باتت هذه الحجة ضعيفة. فمع أن عدد المهاجرين لم يصل الى عدد الفلسطينيين فان مجرد قدوم المهاجرين بهذه النسبة الكبرى يعزز موقف المعارضين لنظرية المعراخ.

واكثر من ذلك ان الطبيعة السياسية والايديولوجية للمهاجرين الجدد من الاتحاد السوفييتي تشير الى رواج فكرة اليمين في صفوفهم، وكما كتب جدعون ساعر (هعولام هزه» ١٩٩٠/٣/٧) : «فأن موجة الهجرة الاولى من يهود الاتحاد السوفييتي في مطلع السبعينات عززت بشكل ملموس قوة احزاب اليمين، وكان لهذا اثره في الانقلاب الذي حصل في الخارطة السياسية في اسرائيل عام ١٩٧٧» ويفسر هذه الظاهرة بالقول ان المهاجرين اليهود يأتون من الاتحاد السوفييتي في ظروف يسودها العداء لليسار وللشيوعية وللاشتراكية. ولذلك فليس من السهل عليهم ان يتقبلوا افكار حزب العمل الاسرائيلي، حتى لو كانت اشتراكية هذا الحزب بعيدة عن الاشتراكية العلمية.

وليس هذا فحسب، بل ان احزاب اليمين في اسرائيل تدرك هذه الحقيقة و تستغلها حتى الحد الاقصى.

ان احزاب اليمين كلها، خصوصا المتطرفة منها بدأت منذ عدة اشهر في اعداد خطة للتأثير على المهاجرين الجدد واستقطابهم الى صفوفها. وانشط هذه الاحزاب على الاطلاق هو حزب «موليدت» الفاشي، الذي يرفع شعارا مركزيا «الترانسفير» فهو يدعو طرحه الى طرد العرب من البلاد، او ترحيلهم بالاتفاق. وجاء في برقية التهنئة التي نشروها في صحيفة «كروج» الاسبوعية (صحيفة اسرائيلية ناطقة باللغة الروسية) : «اننا نحيي ترانسفير اليهود من الاتحاد السوفيتي الى اسرائيل. ونتمنى ان يحل الترانسفير ايضا للعرب من يهوداوالسامرة (الضفة الغربية) الى الدول العربية»(المصدر نفسه).

والحزب الوحيد الذي يقوم من وسط اليسار الاسرائيلي بنشاط ملموس بين المهاجرين هو حزب «مبام» الصغير والذي مازال ضعيف التأثير بينما تقوم الاحزاب الاخرى بنشاط محدود. واما حزب العمل فنشاطه شبه معدوم.

وتجدر الاشارة هنا الى ان عضو الكنيست يحتاج الى ١٤ الف صوت في الوقت الحاضر. والحديث عن مئتي الف مهاجر يعني ٨ أعضاء كنيست على الاقل. ومثل هذا الرقم يؤدي في ظروف اسرائيل الى تغيير متطرف في توازن القوى في الخارطة السياسية. وواضح ان هذا التوازن هو، في الوقت الحاضر ليس في خدمة اليسار.

والعمل

من هنا، فان قضية الهجرة الكبرى تتجاوز بابعادها قضية الاستيطان اليهودي في المناطق المحتلة. وتتجاوز المسألة الانسانية البحتة. وتستدعي مواجهتها بعمق ودراية بحيث لا تفيد اثارتها، مخططات حكام اسرائيل. تستدعي التوجه الشامل والمتكامل :* الى الاتحاد السوفييتي ولكن ليس له وحده. * فالولايات المتحدة الامريكية كانت تستوعب ٩٠٪ من المهاجرين اليهود السوفييت. فلما اغلقت ابوابها في وجوههم اجبرتهم عمليا على الهجرة الى اسرائيل.* قد يكون المطالبة بوقف الهجرة مطالبة وهمية ومضرة اكثر من فائدتها المرجوة. ولذلك فمن الافضل المطالبة بالسماح للاجئين الفلسطينيين ان يعودوا الى وطنهم، وفقا لقرارات الامم المتحدة الرسمية والاجماعية بهذا الشان. فهكذا لا تكون الهجرة اليهودية على حساب بل انقاض الشعب الفلسطيني * وعند اثارة موضوع الهجرة لا ينبغي نسيان موضوع الانتفاضة. فهنا بالضبط يجب ان يطبق شعار الانتفاضة، الذي يتوج كل بيانات قيادتها الموحدة :« لا صوت يعلو على صوت الانتفاضة» وعند الحديث عن الهجرة ينبغي ذكر مواطني دولة اسرائيل العرب، القلقين ويحق لهؤلاء تنتهج ضدهم سياسة ابرتهايد، او كما اسماها توفيق زياد «اسرائيلتهايد».

حيفا.. نظير مجلي

الحكومة الإسرائيلية القادمة بقبضة من ؟

... الكنيست نزع الثقة عن الحكومة . في ... وبعد ابحاث مريرة وضغوط ... الاخيرة بنجح العمل في تجنيد الاكثرية ... اسقاط الحكومة (٦٠ ضد ٥٥). الاحد ... رئيس الدولة في الالتقاء باعضاء الكنيست من الكتل المختلفة حتى يسمع ترشيحاتها حول المرشح الذى تقترحه لرئاسة الحكومة. وبعد يومين يقرر ان صاحب اكبر الاحتمالات هو شمعون بيريز .. فيلقى عليه المهمة. وهنا تبدأ المعركة من جديد..

.. احتمالات تشكيل الحكومة

عملية تشكيل الحكومة تحولت عند بيريز الى معركة بكل ما فى الكلمة من معنى ففيها المناورات وفيها تصفيات وابتزازات وفيها متاريس وعنف وضغوطات.. من جميع الاطراف وعلى جميع الاطراف .

والقرار هو بيد الاحزاب الدينية فهى اربعة أحزاب تؤلف ١٨ عضو كنيست (* شاس) وهو حزب المتدينين اليهود الشرقيين الذى يتزعمه وزيرا الاستيعاب اسحاق بيريز والداخلية اريين درعى، ويخضع لسيطرة الحاخام عوفاديا يوسيف، المعروف بتاييده لقضية السلام، ويضم ٦ أعضاء كنيست * وعلم التوراة»، وهو حزب المتدينين اليهود الغربيين الذى يعتبر من المنبع الدينى نفسه الذى يقود «شاس» ويخضع لسيطرة الحاخام المسن - ٩٤ عاما - ليعزر شاخ، المعروف أيضا بتأييده للسلام، وله عضوا كنيست .هذان الحزبان ينسقان فيما بينهما. والحاخام شاخ يقف وراء إقامتهما الاول فى عام ١٩٨٣ والثانى فى عام ١٩٨٨.* «اغودات يسرائيل»، وهو حزب قديم على خلاف شديد مع الليكود ويعطى تأييده لحزب العمل وله ٥ أعضاء كنيست* «المنذال» - وهو ايضا حزب قديم ويؤيد الليكود وله ٥ أعضاء كنيست»

لقد كشفت معركة تشكيل الحكومة عن خلافات وتناقضات حادة فى كل واحد من هذه الاحزاب على حدة وخلافات ايضا فيما بينها فحزب «شاس» مثلا، وهو الذى ادى الى سقوط الحكومة اذ ان خمسة من اعضائه لم يشاركوا فى التصويت وتغيبوا عن الجلسة. والعضو السادس، الوزير بيريز ، صوت الى جانب الحكومة ثم مالبث ان استقال من الحزب ويفكر فى اقامة حزب جديد او الانضمام الى علم التوراة. انه يرفض التحالف مع حزب العمل وبسبب الشرخ الذى احدثه فى حزبه قررت القيادة الروحية للحزب، سعيا لاعادة الوحدة ، عدم تأييد حكومة حزب العمل. واعلنت تأييدها لحكومة برياسة شامير

وهذا الموقف اتخذ على الرغم من تأييد قادة الحزبين ، الروحية والسياسية، لمشروع بيكر وهم يشترطون على الليكود ان يؤيد مشروع بيكر لكى يؤيدوا حكومة برئاسته.

واغودات يسرائيل التى تبدو كأنها حزمة واحدة، مع حزب العمل تضم عضوى كنيست (من الخمسة) مؤيدين لارض اسرائيل الكاملة. والليكود يضغط لسحبها من معسكر مؤيدى المراخ.

والمنذال، الذى يبدو مع الليكود، يعلن انه لن يفاوض احدا من الحزبين (العمل والليكود) على تشكيل الحكومة لانه يؤيد اجراء انتخابات جديدة



شمعون بيريز

(وهذه ترفضها معظم الاحزاب). ولكن العالمين ببواطن الامور يقولون أنه فى حالة نجاح بيريز فى اقامة الحكومة بتأييد من اى حزب دينى فانه سينضم اليه. فهذا الحزب لايعرف الحياة بدون المقاعد الوثيرة فى الحكومة. وهومنذ قام، كان شريكا فى الحكم.. حتى قبل قيام الدولة فى الوكالة اليهودية

وشمعون بيريز من جهته يراهن على كل هذه الاحزاب ويقدم لها الاغراءات المادية والمالية بسخاء .فقد تعهد لاغودات اسرائيل مثلا بزيادة المخصصات لمؤسساتها الدينية و الحزبية بمبلغ مئتى مليون شيكل وباعطائها حقيبتين وزاريتين.

ومن جهة ثانية يراهن بيريز على احتمال انتقال افراد من الاحزاب الدينية ومن الليكود نفسه الى صفوف معسكره. ويتحدث عن ٢٠ عضو كنيست قابلين للتفكير فى الموضوع.

اما اسحاق شامير، ومن الجهة الثانية، فيعمل جاهدا لاقامة جم حاسم يمنع بيريز من احراز الاكثرية ،بدعمه فى ذلك حتى خصومه داخل حزبه، مثل شارون وليفى وغيرهما ممن هاجموه حتى الأمس القريب وطالبوا برأسه. انهم يعتبرون مسألة نجاح بيريز فى تشكيل حكومة ضربة تحت لحزبهم. وشامير يعتبرها نهايته السياسية ... فانهم يخوضون حربا شعواء للتخريب على بيريز

فى هذا الاطار تبدو احتمالات تشكيل الحكومة على أساس توازن القوى القائم، على النحو التالى:

* حكومة مصغره برياسة بيريز: حزب العمل نفسه يضم ٣٩ نائبا ومعه من الحلفاء المضمونين كل من راتص(٥نواب) ومبام (٣) وشينوى (٢) ويؤيده من بعيد أى بدون الائتلاف كل من الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة (٣) والحزب الديمقراطى العربى برئاسة عبد الوهاب دراوشة (١) والحركة التقدمية للسلام برياسة محمد ميعارى(١) وعضو الكنيست شارى يهلون الذى ينتمى الى الجبهة لكنه يتخذ مواقف منفصلة عنها(١) فاذا دخلت اغودات يسرائيل كاملة الى هذا الحساب يكون معه ٦٠ نائبا، اى نصف اعضاء الكنيست . فى هذه الحالة ، اذا لم ينجح بيريز فى جلب المزيد من المؤيدين، سيسعى الى اقناع اعضاء كنيست معينين من الاحزاب الاخرى بالامتناع عن التصويت او التغيب عن الجلسة. وفى هذه الحالة يكفيه ٦٠ نائبا مقابل اى رقم آخر يقل عن ٦٠ معارضا. فتشكل حكومته. وهذا هو من اكبر الاحتمالات.

* الليكود يرفض حتى الآن الدخول فى حكومة وحدة مع المعراخ. وقد رد على اقتراح بيريز بهذا الشأن ردا حازما وهو يحاول اقامة سد من ٦٠ نائبا فى وجه بيريز حتى اذا فشل هذا الاخير، يقوم هو بمحاولة تشكيل حكومة. ولكن احتمالات ذلك اقل واقعية من احتمالات نجاح حزب العمل اذ ان بامكان بيريز ان يجد من يشتريه فى معسكر الستين اليمينى (هناك خمسة اعضاء كنيست فى الليكود برياسة الوزير يتسحاق مرداعى لمحوا الى انهم مستعدون لسماع اقتراحات من بيريز..) اما الليكود فمن الصعب عليه جلب مؤيدين فى الطرف الاخر. على الاقل فى هذه المرحلة.

ومع كل ما سبق فان كل ما يقال عن هذه الاحتمالات الآن لايتعدى كونه تكهنات.

غير ان الامر المؤكد هو انه حتى بانتهاء الازمة الوزارية وتشكيل حكومة تلتزم بتأييد مشروع بيكر فان هذا لا يعنى ان الحل العادل للقضية الفلسطينية اصبح فى الجيب. فشمعون بيريز، الذى اسقط الحكومة تحت حجة السلام وضرورة قبول مشروع بيكر.. «وهذه فرصة ذهبية علينا الا نضيعها » قال فى خطابة امام الكنيست يوم تقديم مشروع نزع الثقة عن الحكومة ، ان من شهر الوارد فى الحساب بتاتا التفاوض مع م. ت. ف أو التفاوض حول القدس.

نظير مجلي



الديمقراطية الغربية .. ليست نتاج النظام الرأسمالي

تفتقد معظم الكتابات حول مايجرى فى العالم الاشتراكي للدقة العلمية والتاريخيه ، خاصة عن العلاقة بين النظم الرأسمالية وبين لديمقراطية . فالحديث عن الاستفادة من القيم والافكار الرأسمالية المتصله بالديمقراطية ، ينطوى على مغالطه علمية وتاريخية ،تتمثل فى اعتبار الديمقراطيه السياسيه ، بكل ما يحمله هذا الاصطلاح ، من حريات وحقوق قانونيه وسياسية متساوية لجميع الفئات والطبقات ، مرتبطه عضوياً بالرأسماليه .

كما أن الخلط بين الليبراليه الاقتصادية ، والديمقراطية السياسيه ، يبرز فى كثير من الكتابات ، ويعبر عن قصور فى إدراك الاختلاف تاريخياً ، بين الليبراليه في المراحل الأولى لنشأتها ، كنظرية تركز بالدرجة الأولى على الحرية المطلقة للملكية الفردية ، وبين ماطرأ على هذا المفهوم بعد ذلك ، من تطورات ، اسفرت عن ارتباطه - إلى حد كبير - بالديمقراطية .



ولكى تتضح معالم هذه القضية . فسوف أركز على عدد من الحقائق المهمة ، المعبرة عن الانفصال الكامل بين قضيه الديمقراطيه ، وبين النظام الرأسمالي .

الحقيقة الأولى : أن انبثاق النظام الرأسمالى من أحضان النظام الاقطاعى فى أوروبا ، صاحبه ظهور فلسفات معبرة عنه . دخلت التاريخ الأن باسم الليبراليه .

ولم تكن هذه الفلسفات ، حتى عند أعظم المعبرين عنها يتصورون الليبرالية - فى عصرهم - بأنها تعنى الحريات السياسية لكافة طبقات الشعب . بل انحصر مفهومها - الذى بدأ متعارضا مع الديمقراطية - فى تأكيد الحقوق المقدسة للملكية الفردية . وكان شعار « دعه يعمل» «دعه يمر » يعبر عن مصالح الطبقة الجديدة الساعية إلى السيطرة على السلطه . و« دعه يمر » تعنى إلغاء الحواجز الجمركيه الداخليه ، التى كانت تشكل عقبة أمام التبادل التجارى والمنافسه .

أى أن الليبرالية الأولى ، تركزت فلسفتها على الجانب الاقتصادى ، الذى يتيح للرأسمالية أوسع امكانات النمو - بلا عوائق .

لكنها فى جانبها السياسى ، إصطدمت بتناقض معقد . فالليبراليه الاقتصادية تفترض ما يتفق معها من ليبراليه سياسية .

فهل كان الوجه الثانى من الليبراليه ، أثناء المراحل الأولى لنشأة الرأسمالية ، متفقاً مع الليبراليه الاقتصادية ؟

تجيب الحقائق التاريخية على هذا السؤال .

لقد ظلت الليبراليه ترتكز على أسس متعارضه مع الديمقراطيه كما نفهمها اليوم عدة قرون .

ولن نجد ليبراليا واحداً ، فى المراحل الأولى لتطور الرأسماليه ، دافع عن حق أغلبية الشعب فى التصويت أو الترشيح ، أو المشاركه فى الانتخابات الليبراليه .

فمعظم مفكرى الليبرالية ، كانوا يعتقدون ، أن اعطاء حق التصويت للأغلبية الشعبية من الفقراء ، سيؤدى إلى الإطاحة بنظام الملكية الفردية ، وإلى الدعوة إلى المساواة الإقتصادية ، وهى دعوة اعتبروها خطرة وهدامة .

لذلك ، فإن أعظم فلاسفة الليبرالية - جون سيتوارت مل - لم يدر بخلده أن يكون للأميين

<<

حق التصويت ، أو الذين لايدفعون ضرائب .. كما لم يدر بخلده ، أن يكون لمن لهم حق التصويت ، أصوات متساوية ، فالأفضل تعليما ، ينبغى أن يكون لكل منهم أكثر من صوت ، لأنهم أقدر على إصدار الحكم السياسى .

الحقيقة الثانية : أن النظام الرأسمالى ، إحتاج لثلاثه قرون ، لكى «تُفرض» عليه مبادئ الديمقراطيه .

وأقول « تُفرض» عليه ، لأنها - أى الديمقراطيه السياسية - جاءت من القاعدة الشعبية ، بفضل نضال بطولى لهذه القاعدة ، وخاصة الطبقة العامله .

فحقوق تكوين النقابات ، وحق الاحزاب ، وحقوق المشاركة فى الانتخابات ، لم تكتسب إلا بعد عشرات السنين من النضال والتضحيات .

لقد ظلت الرأسمالية ، بعد هيمنتها على السلطة السياسية فى أوروبا تنكر هذه الحقوق السياسية . وتصر على الاسترشاد بما قاله أحد فلاسفتها الليبراليين من أن « نصيب العمال من الدخل القومى ، قلما يتجاوز حد الكفاف ، لايتيح لهذه الفئه من الناس ، الوقت أو الفرصة اللازمين ، للإرتفاع بأفكارهم عن هذا الحد ، أو منازعه الأغنياء حقوقهم »

ويستطرد الفليسوف الليبرالى « وعندما ينسى العمال الاحترام الواجب فإنهم ينقضون على الأغنياء. »!!

لكن الطبقات الشعبيه من جانبها لم تقف مكتوفة الأيدى . فالحريات والامتيازات التى أعلنها ثوريو الطبقة الوسطى أثناء اشتعال نضالها ضد الاقطاع - أى البورجوازية أو الرأسماليه الأن - بوصفها حقا لكل الناس ، كان لابد أن تتحول إلى حقيقة للجميع .. وليس للطبقة الوسطى فقط .

من هنا كانت الملحمة الكبرى من جانب جماهير الشعب لفرض الديمقراطية على النظام الرأسمالي.

بل أن الثورة البورجوازية الفرنسية العظمى - ١٧٨٩ - التى قادتها البورجوازية ، وحملت خلالها أعظم شعارات الحرية ، والاخاء ، والمساواة ، لم تكن فى البداية متسقة مع مضمون هذه الشعارات . وحاولت الطبقة القائدة للثورة - البورجوازية - حرمان جماهير الشعب من العمال والفلاحين والحرفيين ، من التمتع بثمار هذه الشعارات . ولم تستطع الطبقات الشعبية التى كانت بمثابة الطاقة والوقود المحرك لهذه الثورة اكتساب « الحقوق الديمقراطية » إلا بعد معركه طويلة شاقه .

وهناك حقيقة لا يلتفت إليها من يرى أن الديمقراطية والحرية هى مجموعة قيم مصاحبة للرأسمالية ، وهى أن حق المرأه - نصف المجتمع - فى الانتخابات لم يكتسب فى آعرق الدول الأوربية - فرنسا وإيطاليا - إلا خلال عامى ١٩٤٥ - ١٩٤٦ .. وبعد معارك طويله بطولية إستهدفت اكتساب هذا الحق .

الحقيقة الثالثه : أن أقوى الدول الرأسماليه ، وأعضمها ثراء ، وأكثر حماساً للدفاع عن الحرية ، وحقوق الانسان ، هى الولايات المتحدة ، قائدة النظام الرأسمالى العالمى .

فهل تعتبر القضايا التى تتحمس لها الآن ، الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان ، نتاجاً لنظامها الاقتصادى والسياسى ، أم أن هذه القيم حديثه العهد بها ، لم تفرض وجودها إلا عبر مقاومه سياسية وعنصريه تحتل أكثر صفحات التاريخ بشاعة ،ودموية !

الفصل العنصري ظل قائماً في أمريكا حتى نهاية الستينات

ولست أريد هنا الحديث عن نضال الطبقة العاملة من أجل حقوقها الديمقراطيه . إنما سأكتفى بصفحات حديثه من تاريخ « الديمقراطية » الأمريكية ، وهو الموقف من قطاع كبير من الشعب الأمريكى ، هم السود ، الذين أسهموا بدور كبير فى تطوير الاقتصاد الأمريكى ، وخاصه فى الميادين الزراعية .

وقضية العنصرية ضد من ينتمون إلى العرق الافريقى - ويشكلون حوالى ٢٠٪ من الشعب الأمريكي - يعرفها الجميع . لكن اعادة فتح بعض صفحاتها الآن تعتبر ضرورة ، وخاصة فى ظروف يبدو أن الكثيرين قد فقدوا ذاكرتهم البعيدة والقريبة .

ومن الصعب نسيان بداية وتطور هذه المأساة . عندما استنزفت القوى البشرية لقارة افريقيا طوال أكثر من قرنين ، للعمل العبودى فى الامريكتين الشماليه والجنوبيه ، وماصاحب هذه المأساة من كوارث لامجال الأن لذكرها .

وإلى جانب عبيد افريقيا شاركهم المصير نفسه ، هنود أمريكا الوسطى والجنوبية .

ومن خلال هذه العملية الهمجية ، نمت وتطورت الرأسمالية ، . وخاصة بعد أكتشاف واستغلال الثروات الطائلة فى العالم الجديد .

وإذا كانت قوانين الغاء الرق ، قد صدرت فى أوروبا فى منتصف القرن التاسع عشر - واندلعت الحرب الأهلية فى الولايات المتحدة فى الفترة نفسها - بدعوى تحرير العبيد فى الولايات الجنوبية ، فإن الوجه العنصرى « للديمقراطية » الأمريكية ، عبر عن نفسه فى صورة قوانين مشهورة .. ظلت تطارد السود فى أمريكا ، حتى العصيان المدنى الشهير فى نهاية الستينات ومصرع قائد النضال السلمى القس الأسود مارتن لوثر كنج .

من أشهر هذه القوانين ، الفصل العنصرى فى المدرس ، والمستشفيات ، والفنادق ، والحدائق ودورات المياه .

ولعلنا لازلنا تذكر ماكتب أثناء هذه الفترة ، عن اللافتات التى كانت توضع فى واجهات الفنادق وبعض الأماكن العامه ، وتقول كلماتها : ممنوع دخول الزنوج والكلاب !

وعندما نناقش الآن - أو نحاكم - أخطاء أو خطايا النظام الاشتراكى ، فمن الضرورى أن نتذكر حقيقة بسيطه ، وهى أن عمر هذا النظام ٧٠ عاماً وليس أربعه أو ثلاثه قرون هى عمر النظام الرأسمالى . وإذا كان هذا الأخير يبدو الأن ديمقراطيا ، فإن هذه الديمقراطية لاترتبط بأسسه الاقتصادية ، بل هى ثمرة لنضال شعوبه - فرض عليه فرضاً ، وينتابه الحنين فى لحظات الأزمات للخلاص منها ، وظهور وجهه سافراً ، مثلما حدث فى إيطاليا الفاشية فى العشرينيات ، والمانيا النازية في الثلاثينيات

والحقيقة التى نستطيع استخلاصها من الوقائع التاريخية ، أن قضية الحرية لها تاريخ طويل .. وقد تكون جذورها ممتدة عبر التاريخ المدون للبشرية ، فثورات العبيد فى الامبراطوريات القديمة ، وخاصة الامبراطورية الرومانيه ، كانت تعبيراً عن قضية الحرية . وثورات الشعوب ضد النظام الاقطاعى ، بقيادة البورجوازية ، كانت تستهدف الحرية ، رغم أن قيادة هذه الثورة حرصت دائما على أن تجنى وحدها ثمار هذه الحرية .

من الخطأ إذن ، الحديث عن ديمقراطيه أوربية أو أمريكية .. وكأنها من خصائص النظام الرأسمالى .. وتجاهل الظروف التاريخية لنشأة وتطور هذه القضية ، أو تجاهل أنها شكل سياسى فرض على النظام الرأسمالى عبر سلسلة من المعارك التاريخية . والثورة الجارية فى النظم الاشتراكية الآن ، تستهدف اعادة الوجه الحقيقى للاشتراكيه ، كنظام يستطيع تحقيق المثل الأعلى للحرية ، والمتمثل فى تحرير الانسان اقتصادياً واجتماعيا وسياسياً ، وهو ما تعجز أعظم النظم الرأسمالية عن تحقيقه.

مصطفى طيبه

الآثار الاقتصادية للفساد والاستغلال السياسى فى دول الكتلة الشرقية

الحزبيون والبيروقراطيون ومافيا السوق السوداء

يستولون على جزء من الفائض الاقتصادى فى غياب الديمقراطية

كشفت المصارحة التى صاحبت عملية اعادة البناء فى الاتحاد السوفيتى ، والاحداث السياسية فى دول شرق أوروبا عن انتشار حجم هائل من الفساد فى تلك المجتمعات خاصة بين بعض القيادات السياسية والادارية المسئولة . ويكشف الصراع السياسى ايضا عن تفاقم الميزات المادية التى تحظى بها القيادات السياسية

وتثير هذه الحقائق عددا من القضايا النظرية والعملية . يأتى فى مقدمتها دراسة مدى وجود او انتفاء استغلال الانسان للانسان فى المجتمعات التى انفصلت عن الرأسمالية واتجهت لبناء نظام اقتصادى جديد يستند الى الملكية المجتمعية لادوات الانتاج . واشكال هذا الاستغلال واستخدامات فائض القيمة التى تحصل عليه بعض الفئات الاجتماعية ، وتأثير ذلك كله على امكانيات النظام الاقتصادى فى تلك الدول . وعلى تفاقم وانفجار مختلف المشاكل المجتمعية بها .

فائض القيمة والاستغلال الرأسمالى

وقد يكون من المفيد هنا البدء بالتذكير بطبيعة وكنه الاستغلال الرأسمالى واستخدامات فائض القيمة فى الدول الرأسمالية ونشير هنا الى ما بينه ماركس عن طبيعة الاستغلال الرأسمالى الناتج عن ان العمل كسلعة يحصل فقط على جزء من القيم الجديدة التى يخلقها فى شكل اجور ، بينما يستولى الرأسماليون على فائض القيمة بحكم ملكيتهم لرأس المال وسيطرتهم على الانتاج . ويسعى الرأسماليون بصفة دائمة الى زيادة مايحصلون عليه من فائض قيمة اما عن طريق زيادة الاستغلال المطلق للعاملين (اى خلال اطالة ساعات العمل او تكثيف العمل المبذول ، او الخفض الفعلى للاجور) او عن طريق زيادة الاستغلال النسبى الذى يصاحب زيادة انتاجية العمل

... الانفاق [illegible] ، الاستهلاك الترفى ، [illegible] ، تهريب العملات الاجنبية

الاجتماعى . وقد بين ماركس ان الاستغلال المطلق يزداد صعوبة كنتيجة لتنظيم الطبقة العاملة لنفسها فى شكل نقابات ودفاعها عن مصالح العاملين وسعيها لتحديد ساعات العمل ولزيادة الاجور والخدمات العينية التى تقدم للعاملين .

ان زيادة الاستغلال النسبى يصبح لذلك هو الطريق الاسلم لزيادة مايحصل عليه الرأسماليون من فائض قيمة . ويتطلب ذلك السعى المستمر لتطوير قوى الانتاج فى المجتمعات الرأسمالية سواء عن طريق استحداث ادوات انتاج جديدة اكثر كفاءة او عن طريق اكساب العاملين مهارات جديدة تزيد من انتاجيتهم .

ويتطلب كلا الامرين ان يعاد استخدام جزء من فائض القيمة الذى يحوز عليه الرأسماليون فى شكل استثمارات رأسمالية جديدة لتحقيق اعادة الانتاج الموسع ، او فى شكل انفاق ضرورى للمحافظة على قوة العمل اللازمة وتحسين مهاراتها سواء تم هذا الانفاق عن طريق الرأسماليين انفسهم او بواسطة الدولة التى تقتطع جزءا من فائض القيمة للانفاق على بعض الخدمات الضرورية لاعادة الانتاج الموسع فى المجتمع .

ان ذلك لايمنع بالطبع ان يوجه جزء من فائض القيمة المتحقق للانفاق على الاشكال المختلفة من الاستهلاك الترفى الذى يمارسه الرأسماليين . وتختلف معدلات ما يخصص من فائض القيمة لاعادة الانتاج الموسع ، ومايخصص للاستهلاك الترفى من مجتمع لآخر ، وان بقى الجزء الاكبر من فائض القيمة يخصص لاعادة الانتاج الموسع فى اغلب المجتمعات الرأسمالية .

وتتأثر معدلات النمو الاقتصادى فى المجتمعات الرأسمالية المختلفة وتزداد طرديا مع زيادة مايخصص من فائض القيمة لتحقيق اعادة الانتاج .

الفائض الاقتصادى وفائض القيمة

وتسعى المجتمعات الاشتراكية الى نفى كل شكل من اشكال استغلال الانسان للانسان . ان احد الشروط الضرورية لذلك هو مصادرة الملكية الرأسمالية وتحويلها الى ملكية مجتمعية . ولكن نفى الاستغلال يتطلب ايضا ان يتم توزيع العائد على اساس من قاعدة «لكل حسب عمله» ومنع أى فئة اجتماعية من الاستحواز على نصيب من الدخل عن غير طريق العمل .

ولابد هنا من الاشارة الى ان وحدات الانتاج المملوكة مجتمعيا هى ايضا تحقق قدرا من الفائض الاقتصادى . ان وجود مثل هذا الفائض الاقتصادى يعتبر امرا ضروريا لمواجهة الاستثمارات الجديدة



شاوشيسكو

اللازمة لاعادة الانتاج الموسع ، وللانفاق على الخدمات المختلفة التى تقدمها الدولة المركزية او المحليه لسكانها والتى توزع على اساس من الاحتياجات (التعليم والصحه والاسكان وغير ذلك) او لمواجهة احتياجات تأمين المجتمع الاشتراكى ضد العدوان الخارجى والداخلى .

ان الاجور فى الوحدات الانتاجية يجب ان تبقى لذلك اقل من القيم الجديدة التى يخلقها العمل فى اثناء عملية الانتاج . وبمعنى آخر فان العاملين يحصلون على جزء فقط مما يخلقونه من قيم جديدة .. ويكون الجزء الباقى مما يخلقونه من قيم فائضا اقتصاديا .

ان ذلك الفائض الاقتصادى لايعد فائضا للقيمة طالما تم التصرف فيه لصالح المجتمع فى مجموعة . وطالما بقيت الجهات المتصرفة فى ذلك الفائض تخضع للمساءلة الشعبية وطالما استمرت ملتزمة بتوجيهات الشعب كما يعبر عنها ممثلوه الحقيقيون .

ومن جهة اخرى فان قدرا من الفائض الاقتصادى يتحول الى فائض للقيمة اذا استحوزت عليه فئات إجتماعية معينة بحكم تحكمها فى الملكية المجتمعية الموضوعة تحت اشرافها او بحكم مركزها السياسى او بمراقعها فى بيروقراطية الدولة او بحكم تلاعبها فى الاسواق واستغلال الاختلالات بين العرض والطلب للحصول على جزء من الفائض الاقتصادى المكون.

ان مراجعة ماحدث فى المجتمع السوفييتى ودول اوروبا الشرقية الاخرى يبين ان قدرا هاما من الفائض الاقتصادى كان يتم الاستيلاء عليه بواسطة فئات اجتماعية متعددة باشكال مختلفة ومتباينة .

ان قدرا من الاستحواز على جزء من الفائض الاقتصادى بواسطة فئات معينة كان مقننا بواسطة التشريعات القائمة . ان اهم اشكال الاستحواز المقنن على جزء من الفائض بواسطة فئات اجتماعية معينة هو ما يحصل عليه الحزبيون والحاكمون من مزايا كبيرة كنتيجة لمراكزهم فى الحياة السياسية فى الحزب الحاكم او لمراقعهم داخل الجهاز البيروقراطى للدولة سواء اتخذت هذه المزايا شكل مزايا عينية او نقدية . على ان قدرا اكبر من الفائض الاقتصادى كان يتم الاستحواز عليه بواسطة وسائل غير شرعية . ويتضمن ذلك مايستحوز عليه البيروقراطيون والقيادات الحزبية عن طريق الفساد والنهب مستندين ايضا الى مراكزهم والطبيعة الاستبدادية للسلطة . كما يتضمن ايضا ما تحصل عليه مافيا السوق السوداء من ثروات كنتيجة لاستغلالها للاضطرابات فى الاسواق ونقص او اختفاء المعروض من العديد من السلع الاساسية وغير الاساسية . ويلاحظ بالنسبة للفائض الاقتصادى الذى يقتطع عن هذه الطرق انه لايرتبط بدور هذه العناصر فى الانتاج ، ولايزيد بزيادة الانتاج او توسعه .

ان مايحصل عليه الحزبيون والبيروقراطيون من مزايا يرتبط اساسا بمكانتهم السياسية وموضعهم فى الجهاز البيروقراطى . ان التمايز بينهم وبين باقى العاملين بأجر لايرتبط بمدى مساهمتهم فى الانتاج ، ولايعود الى مدى كفاءتهم . انه يرتبط اساسا بالمكانة فى الحزب او الدولة . ان ما تستحوز عليه هذه الجماعات هو نوع من فائض القيمة السياسى . وهو يمثل شكلا من اشكال استغلال الانسان للانسان . وهو يتخذ من الناحية الاقتصادية طابع الريع . ولكن الريع فى هذه الحالة لايرتبط بالملكية او الندرة او بافضلية بعض الموارد بل هو يرتبط



جيفكوف

بالمكانة السياسية فى الحزب او الدولة مما يجعلنا نطلق علية اسم «ريع المكانة السياسية» . ان جزءا من الفائض الاقتصادى ينتقل ايضا الى يد العناصر البيروقراطية المتحكمة فى القرارات الاقتصادية وفى توزيع الناتج فى المجتمعات التى يستشرى فيها نظام اقتصادى يعتمد على الاوامر او قرارات البيروقراطيين . انهم من مراكزهم يحصلون على بعض المزايا من بعض وحدات الانتاج المملوكه مجتمعيا . ولكنهم يقتسمون ايضا مع مافيا السوق السوداء بعض مايحصلون عليه من ثروات .

وكما فى حالة « ريع المكانة السياسية » فان ما تستحوز عليه فئات اجتماعية واسعة من ثروات نتيجة للفساد لايرتبط بشكل او آخر بزيادة الانتاج او الانتاجية بل بالعكس ان القدرة على استنزاف قدر من الفائض الاقتصادى تزداد فى هذه الحالة كلما قلت القدرة على الوفاء بالاحتياجات الاساسية للجماهير ونقصت السلع فى الاسواق وازداد الاختلال بين العرض والطلب وكلما اعتمد تخصيص الموارد على قرارات البيروقراطين والسياسيين او تدخلاتهم .

لقد بين ما تكشف عن قضايا الفساد فى المانيا الشرقية ، وبلغاريا ورومانيا ، وفى الاتحاد السوفيتى ايضا ضخامة ما يتم الاستيلاء عليه من الفائض الاقتصادى بواسطة عناصر بيروقراطية وسياسية معينة . ورغم ان نزح هذا الفائض لايتم فى اثناء العملية الانتاجية ذاتها الا ان ذلك لايمنع حقيقة أنه يشكل نوعا من الاستحواز على جزء من القيم المضافة بواسطة العاملين مما يكون استغلالا ان هذا الاستحواز على جزء من الفائض الاقتصادى يعطل إعمال بعض الركائز الاساسية للاشتراكية . انه يمنع ان يتم توزيع العائد على اساس قاعدة «لكل حسب عمله» كما انه يعطل القضاء على استغلال الانسان للانسان الذى هو لب الاشتراكية .

الاثار الاقتصادية

على ان ماهو اهم هو تبين تأثير استمرار وتوسع هذا الشكل من اشكال الاستغلال على القدرة على التقدم الاقتصادى فى الاتحاد السوفييتى ودول أوروبا الشرقية ونركز هنا على الاثار الاقتصادية المباشرة دون التهوين من الآثار غير المباشرة التى ترتبط بالتأثير على الحاله المعنوية للعاملين ومدى شعورهم بالانتماء وارتباطهم باهداف الاشتراكية وسعيهم لتحقيق تقدم وتطور المجتمع الاشتراكى .

ونشير هنا بوجه خاص الى ان فائض القيمة التى تحصل عليه فئات اجتماعية معينة فى المجتمع السوفييتى وفى دول شرق اوروبا لم يكن من الممكن ان يوظف فى اعادة الانتاج الموسع ولا فى تطوير وسائل وادوات الانتاج اذ ان الاستثمار الخاص كان محظورا قانونيا فى هذه المجتمعات . ومن ناحية أخرى فان الفئات التى تحصل على هذا النوع من الفائض لايوجد مايحفزها للعمل على تطوير الانتاج

البقية [ص ٧٠]

د. إبراهيم [illegible]



الدولة .. والديمقراطية

وهكذا نأتى الى القسم الثانى من هذه الدراسة وهو قسم سنتوقف فيه مع بعض الاطالة عند قضية الدولة والديمقراطية والدور القيادى للحزب الشيوعى، تلك القضية التى تعانى فى أيامنا هذه أكبر قدر من الارتباك والانتقاد والخلط. ولكى نستطيع أن نتفهم هذه المسألة المتشابكة الأطراف فهما صحيحا يتعين علينا أن نميز بين الأساس النظرى.. وبين الافتراضات، وبين التطبيق، وبرغم أنه من غير المناسب أن نستبق الأحداث فى دراسة تكتسى بطابع أكاديمى، الا أننى أقرر مسبقا أننى قد دهشت وأنا أستجمع مواد هذه الدراسة من الفارق المذهل بين هذه المساحات الثلاث من القضية موضع الدراسة..

ولسوف نتطرق وربما ببعض التفصيل الى المواقف النظرية والى الاقتباس منها، وليس فى ذلك أدنى مبالغة. فالأمر يحتاج بالفعل الى تأن فى التعرف على الأساس النظرى، بل على تطوره. وربما على محدوديته.

وفى فترة مرتبكة، وحافلة بالهجوم على الماركسية وخاصة على موقفها من مسألة «الدولة»، مثل الفترة التى نعيشها الآن كتب لينين يقول:

«ازاء هذا الوضع، وازاء انتشار محاولات تشويه الماركسية انتشارا لم يسبق له مثيل، يتلخص واجبنا قبل كلى شىء فى بعث تعاليم ماركس الحقيقية، وخاصة تعاليمه بشأن الدولة. ينبغى علينا أن نقتبس من مؤلفات ماركس وانجلز وبشكل مفصل جميع الفقرات المتعلقة بمسألة الدولة، أو على الأقل الفقرات الأكثر أهمية، لكى يستطيع القارىء أن يكون لنفسه وبصورة مستقلة فكرة عن مجمل نظرة ماركس، وعن تطور هذه النظرة»

أولا: عن الدولة..

الماركسية لم تملك رؤية نظرية

.. في البداية كان ماركس وانجلز يتوقفان- الى حد ما- عند حدود ' أفكار هيجل عن الدولة، وإن كانا أيضا- ومنذ البداية يمتلكان عليها انتقادات جوهرية وأساسية..

..«وهكذا يمكننا أن نجد في مؤلفات ماركس وانجلز المبكرة عددا لايستهان به من التقييمات الايجابية لتعاليم هيجل عن الدولة» لكنهما كانا في نفس الوقت يرفضان- ومنذ البداية أيضا العديد من المسلمات والافتراضات النظرية لهيجل فلم يقبلا مثلا فكرة هيجل عن أن الدولة انبثاق «من الجوهر الأعلى «ولم يقبلا بفكرة «الاعتماد على الدولة كمصدر لتحقيق الاصلاحات

وفي عام ١٨٤٣ عارض ماركس نظرة هيجل للدولة معارضة صريحة وشاملة في كتابه «مساهمة في نظرية. الحق عند هيجل» وفي هذه الدراسة وضع ماركس اللبنات الأولى لبنائه النظرى عن الدولة ودافع عن مفهوم الديمقراطية الحقيقية التي هي نقيض لفكرة الدولة «وقال» إن الدولة السياسية سوف تزول في اطار الديمقراطية الحقيقية»

وفي مقاله المعنون «التمركز والحرية» «قال انجلز» إن الحرية الذاتية الحقيقية، التي توازي الحرية الكاملة، تتطلب كي توجد أشكالا أخرى غير الدولة»

.. لكن انجلز لم يتطرق الى بحث أو دراسة هذه الأشكال الأخرى أو حتى محاولة التنبؤ بها فقد خطى خطوة واحدة فحسب الى الأمام نحو فهم علمى لماهية الدولة..

وفي كتابهما «الأيديولوجية الألمانية» توصل ماركس وانجلز الى جوهر فكرتهم عن الدولة فقالا «إن الدولة هي ذلك الذي يحقق فيه الأفراد المنتمون للطبقة السائدة مصالحهم المشتركة

ويواصل انجلز التقدم بهذه الفكرة في كتابة «أصل العائلة» فيقول «هكذا فان الدولة ليست بأية حال من الأحوال قوة مفروضة على المجتمع من خارجه الدولة هي نتاج المجتمع عندما يصل الى درجة معينة من تطوره، الدولة هي افصاح عن واقع ان هذا المجتمع قد وقع في تناقض مع ذاته لايمكنه أن يجد له حلا، عن واقع أن هذا المجتمع قد انقسم الى قوى متناحرة تستعصى خلافاتها على الحل، ولكى لاتقوم هذه القوى ذات المصالح المتناحرة بالتهام بعضها البعض، فقد اقتضى الأمر ايجاد قوة تقف في الظاهر فوق الجميع، فوق المجتمع ان هذه القوى التي انبثقت عن هذا الشكل من أشكال المجتمع والتي تضع نفسها فوقه، وتنفصل عنه أكثر هي الدولة »

وكان كوميون باريس نقطة تحول حاسمة في فكرة ماركس عن الدولة.. ويرغم أن ماركس قد عارض منذ البداية فكرة الانتفاضة المسلحة في باريس دون استعداد كاف مؤكدا في رسالته الى كوجلمان «أن الانتفاضة ستكون ضربا من الجنون» فانه قد بادر بتأييدها عندما قامت، فلم يكن ثمة وقت ملائم لنقاش يبث اليأس في نفوس ثوار باريس، بل على العكس كتب ماركس «اية مبادرة تاريخية شجاعة، اية مقدرة على التضحية يمتلكها هؤلاء الباريسيين.. ان التاريخ لم يعرف بعد مثالا لبطولة كهذه »

ومن التطبيق الثورى لكوميونة باريس انبثق أول شكل للدولة تتبناه الماركسية.. وذلك برغم أن الكوميون كانت تضم في قيادتها عددا محدودا من الشيوعيين، بل أن أغلبية قادتها كانوا من البرجوازيين الصغار لكن الجماهير العمالية في اندفاعها الثورى استطاعت أن تضفي طابعا ثوريا طاغيا على الكوميون..

ويكتب ماركس في كتابه «الحرب الأهلية في فرنسا » «تشكل الكوميون من أعضاء المجالس البلدية الذين جرى انتخابهم عن طريق الاقتراع العام، والذين يمكن للناخبين أن يسحبوا منهم الثقة في أى وقت، وكان الكوميون هيئة عاملة وليس مجرد هيئة برلمانية على النمط البرجوازى، فقد كان يجمع بين السلطة التنفيذية والتشريعية في ان واحد.. وكان الكوميون في جوهره حكومة عمالية»

نحن اذن أمام شكل جديد من الحكم، شكل حاول انجلز أكثر من مرة الا يسميه دولة «وقال» إن الكوميون لم يكن دولة بالمعنى المفهوم للكلمة، ولهذا اقترح على بيبل «أن يحذف كلمة «الدولة» من البرنامج». هذا الشكل يمكن ايجازه فيما يلى:

- حكومة عمالية.
- يجرى انتخاب المندوبين فيها بالاقتراع العام.
- يمكن سحب الثقة منهم في أى وقت.
- ينالون أجرا يساوى العامل العادى. كذلك يتعين أن يتقاضى الموظفون كبارا وصغارا أجرا يساوى أجر العامل العادى. ولكن أية ضمانات وضعت كي يمكن تحقيق ذلك؟

هذا السؤال كان يتعين على لينين أن يجيب عليه وهو بصدد تأسيس الدولة السوفيتية فقال: «نحن بحاجة الى سلطة ثورية، كما أننا بحاجة وخلال مرحلة انتقالية معينة الى الدولة.. نعم نحن بحاجة الى الدولة، لكننا لسنا بحاجة الى دولة كالتى تحتاج اليها البرجوازية، والتى تكون فيها هيئات السلطة المتمثلة في البوليس والجيش والبيروقراطية المكتبية منفصلة عن الشعب ومضاده له.. ولهذا لابد للبروليتاريا أن تنظم



كارل ماركس.. ترحيب بالكوميونه

وتسلح جميع الفئات الفقيرة والمضطهدة من السكان لكي تضع هذه الفئات أيديها وبنفسها وبشكل مباشر على هيئات سلطة الدولة وتشكل بنفسها مؤسسات هذه السلطة

ولنسترجع هذه الكلمات

- تسلح الجماهير.
- أن تضع الجماهير أيديها وبنفسها وبشكل مباشر على هيئات السلطة وتشكل بنفسها هذه الهيئات.

نحن اذن ومرة أخرى (لينين كتب ذلك عام ١٩٢٤) أمام ذات النموذج الذى ابتدعته كوميونه باريس.

وحتى فكرة السوفيتيات وسلطتها وممارستها لعملها كانت مجرد تطور روسى لممارسات الكوميونه..

وبخلاف الجمهورية البرلمانية البرجوازية حيث يسود مبدأ تقسيم السلطتين التشريعية والتنفيذية، تقوم سلطة الدولة البروليتارية على أساس الجمع بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، اى أن تسن السوفيتيات القوانين وأن تنفذها معا

.. هذه هى الأسس النظرية لفكرة الدولة عند الماركسية. وهي أسس بسيطة ومحدودة للغاية، ومقتبسه من تطبيق محدود، وقع في فترة محدوده، هو تطبيق «كوميون باريس».

لماذا عن الافتراضات؟

ولكى نتوخى الدقة فان الافتراضات هنا قد تكتسى بطابع تاريخى بمعنى أنها مفترضة التحقيق في الزمن غير المرئى، أى أنها مجرد افتراض منطقى مترتب على رؤية منطقية لوقائع محدده..

مثل فكرة ذبول الدولة..

يقول لينين «لقد استخلص ماركس من دراسته

كافية حول مسألة الدولة الاشتراكية



لنين .. السوفيتات تطوير للكومونه

شاملة للنضال الاشتراكي والسياسي أنه لابد للدولة أن تزول وأن الشكل الانتقالي لزوالها (أي الانتقال من مرحلة الدولة الى مرحلة اللادولة) هو البروليتاريا المنظمة في اطار طبقة حاكمة، لكن ماركس لم يحاول اكتشاف الأشكال السياسية لهذا المستقبل

والأساس الفكري لهذا الافتراض جاء في كتابات انجلز «عندما تسقط الطبقات، وستسقط بنفس الحتمية التي نشأت بها في مرحلة سابقة، معها ستسقط الدولة لامحالة، وسوف يضع المجتمع الذي سيعيد تنظيم الانتاج على أساس اتحاد حر، ومتساو للمنتجين كل ماكينة الدولة حيث مآلها الوحيد الممكن: في متحف الآثار.. جنبا الى جنب مع العجلة الدوارة والبلطة البرونزية

ويعود انجلز ليؤكد ذات الفكرة «تستولي البروليتاريا على السلطة السياسية وتحول وسائل الانتاج الى ملكية الدولة، لكنها وهي تفعل ذلك تلغي نفسها كبروليتاريا، تلغي كل الفروق الطبقية والعداوات الطبقية، وتلغي معها الدولة كدولة، ان ازالة الحكم الطبقي تعني أنه لم تعد هناك حاجة الى قمع، ومن ثمة لاحاجة الى قوة خاصة للقمع أي لاتكون حاجة للدولة، أن الدولة لاتلغى انها تندثر

ويشير لينين في كتابه «الدولة والثورة» الى أن انجلز كان يرى «أنه مع التطور نحو الشيوعية ستختفي الحاجة الى العنف ضد الشعب بشكل عام، إلى اخضاع شخص لشخص آخر، سيختفي ذلك لأن الناس سوف يعتادون على مراعاة الشروط الأولية للحياة الاجتماعية الجديدة دون عنف ودون خضوع، اذ سينشأ جيل جديد تربى في ظروف اجتماعية جديدة مفعمة بالحرية، جيل سوف يكون قادرا على أن ينبذ كل سقط متاع الدولة، أية دولة بما ذلك الدولة الجمهورية الديمقراطية»

ويؤكد لينين ذات الفكرة في ذات الكتاب.. «وبما أن غالبية الشعب تمارس بنفسها قمع ظالميها، فإنه لاتبقى هناك ثمة حاجة خاصة للقمع، وبهذا المعنى تأخذ الدولة بالاضمحلال، وبدلا من المؤسسات الخاصة التي تسيطر عليها الأقلية (الجيش- البوليس- الجهاز البيروقراطي) تستطيع الأغلبية نفسها القيام بذلك بصورة مباشرة، وبمقدار مايتخذ القيام بوظائف سلطة الدولة طابعا شعبيا أكثر شمولا بقدر ماتقل الحاجة الى هذه السلطة»

والآن لنتوقف لنراجع موجزا لهذا الحصاد الفكري.

– أن الفكرة الدولة عند الماركسية مستمدة أساسا من تجربة كوميونة باريس العملية .. الملهمة.

– أن جوهر هذه فكرة الدولة عند الماركسية قد ظل دون أي تغيير يذكر منذ أن طبق عام ١٨٧١.

– أن ماركس لم يهتم ولم يحاول اكتشاف الأشكال السياسية لمستقبل الدولة في ظل المجتمع الاشتراكي لسبب بسيط هو أنه قد انطلق من افتراض أساسي هو ذبول سلطة الدولة..

– أن انتفاء الحاجة الى العنف الطبقي، يعني انتفاء الحاجة الى الدولة. فالدولة هي في الأساس أداة قهر طبقي.

واختفاء الطبقات يعني اختفاءها. لأنه لم تعد ثمة حاجة الى قهر طبقي

– أن الاشتراكية سوف تثمر جيلا يتربى في ظروف اجتماعية جديدة مفعمة بالحرية، جيلا سوف يكون قادرا على أن ينبذ كل سقط متاع الدولة..

وهكذا وبرغم الأساس النظري الصحيح نجد أن الماركسية لم تمد قامتها لتدرس «مابعد الاشتراكية» بل أن فكرة ذبول الدولة في ظل الاشتراكية «قد افتقدت الجميع شهية البحث النظري أو حتى التطلع النظري لشكل المجتمع الاشتراكي وأسلوب ادارته للحياة..

ولأن الأمر قد ابتعد عن البحث النظري (مع افتراض ذبول السلطة) فان استمرار الدولة قد ظل في اطار الاجتهاد والممارسة وليس في اطار نظرية محكمة..

ولأنه ابتعد عن البحث النظري فقد تطرق في اعتقادي.. الى بعض الطوباوية والمثالية حيث تتحول الأمنيات الى افتراضات، والافتراضات الى مسلمات مثل «ستثمر الاشتراكية جيلا يكون قادرا على نبذ سقط متاع الدولة» وهو مالم يتحقق في أي بلد اشتراكي، بل على العكس فان جهاز الدولة الاشتراكي قد أثمر حالات من الفساد التي أصبحت- بعد اكتشافها- مثارا لدهشة أشد خصوم الاشتراكية، وأكثر المتشائمين تشاؤما..

وبعد ماركس وانجلز.. تأتي الثورة البلشفية لتجابه بواقع صعب وشاق..

– حروب التدخل- والانقسامات- في مفرق الثورة- محاولات المناشفة والاشتراكيين الثوريين الانقلاب على الثورة والاستيلاء عليها- الحكومة الاشتراكية بحاجة الى مواجهة ذلك كله، والى ادارة وطن قاري المساحة والسكان والقوميات فالدولة ليست فقط أداة قمع وانما هي جهاز لإدارة المجتمع.. هذا هو الاكتشاف الجديد، أو بالدقة هذا هو الفارق بين دولة تحكم جزءا من باريس وبين دولة تحكم قارة متعددة القوميات وعددا هائلا من السكان مثل الاتحاد السوفيتي.

ويكتب لينين مختلفا مع فكرة اندثار الدولة قائلا في «الدولة والثورة» الآن توضع المسألة بشكل مختلف (يقصد مختلف عما قال به ماركس وانجلز من ذبول الدولة بعد الثورة الاشتراكية) أن الانتقال من المجتمع الرأسمالي الى المجتمع الشيوعي مستحيل دون فترة انتقال سياسية، والدولة في هذه الفترة هي الدكتاتورية الثورية للبروليتاريا، ان التطور الى الأمام، أي التطور نحو الشيوعية انما يجري من خلال ديكتاتورية البروليتاريا. ولايمكن أن يتم بغير ذلك.

.. ولقد قال ماركس بدكتاتورية البروليتاريا، لكنه عاد فأكد سرعة ذبول دولتها. أما لينين فقد اضطر الى أن يمنحها مدى طويلا هو كل مدى مرحلة التحول الاشتراكي أي حتى بناء الشيوعية.

.. وتستطيل فترة الانتقال في الاتحاد السوفيتي، وبعد حروب التدخل، تبدأ مرحلة بناء صعبة، ومرحلة صراع عنيف بين ستالين والتروتسكيين ومختلف معارضيه، يبدأ العالم في مواجهة النازية والفاشية ثم الحرب العالمية الثانية ثم الحرب الباردة..

ويبدو افتراض ذبول الدولة افتراضا بعيد المنال..

لكن هذا الاكتشاف يأتي بعد فوات الأوان، عندما تكون الدولة قد تمترست في مواقعها، وتحولت الى بيروقراطية متسلطة في غيبة التطبيق الفعلي لشروط ماركس الثلاثة التي أشرنا اليها سابقا والتي استمدها من تجربة الكوميون..

وهكذا نقف أمام الحقيقة..

الماركسية لم تمتلك قدرا كافيا من المعرفة أو البحث النظري حول مسألة الدولة الاشتراكية

– فقد امتلكت استحسانا أو تأكيدا لتطبيقات

»»

افتقاد الديمقراطية أدى إلى الاغتراب والتنكر لدور الحزب

جرت فى كوميون باريس، وتجربة الكوميون برغم ثوريتها الا أنها تتميز بقصور شديد وبمحدودية شديدة مرجعها مكانى بمعنى أنها طبقت فى مدينة واحدة أو حتى فى جزء من مدينة، وزمنى بمعنى أنها لفترة قصيرة جدا بحيث لم يكن بالامكان التأكد من فعالية معطياتها ووقتى بمعنى أنها طبقت فقط فى ظل حالة من الالتهاب الثورى فى نفوس جماهير عمالية وبرجوازية صغيرة بالأساس، ومن الطبيعى أن تخلق حالة الالتهاب الثورى نتائج نموذجية.. مثل حق سحب المندوبين، أن ينال القادة المنتخبون أجرا مساويا لأجر العامل العادى، أن يقوم العمال المنتخبون كمندوبين بمهام القيادة والادارة والحكم والتشريع بشكل مباشر، ودون حاجة الى فصل السلطة التشريعية عن التنفيذية أو الى أجهزة ادارية (بيروقراطية) للحكم، وأن يقوم الشعب المسلح وبشكل مباشر وجماعى بالدور الذى يقوم به الجيش والبوليس وأجهزة الأمن المختلفة..

ونتائج كهذه لايمكن توقعها فى حالة استقرار الدولة وهدوء حالة المد الثورى، وسير الأمور فى مجراها المعتاد. كذلك لايمكن توقعها فى حالة دولة كبيرة بمسئوليات كبيرة وفى مواجهة تحديات عسكرية وأمنية كبيرة.

- أن ماركس وانجلز ومن بعدهما لينين قد أكدوا بشكل نظرى أن دور الدولة هو ممارسة عملية قمع لصالح الطبقة السائدة.

وهذا تبسيط شديد لدور الدولة، صحيح أن الدولة هى جهاز لطبقة، لكنها لاتحصر مهمتها فقط فى عملية القمع ولكنها تدير شئون ومصالح الطبقة اجتماعيا وسياسيا وثقافيا وصحيا.. وتعكس رؤية الطبقة فى مختلف مناحى الحياة، ومع استقرار «الدولة الاشتراكية» (وعدم ذبولها) اتضح عدم إمكانية تطبيق الافتراضات التى نقلت من التجربة المحدودة للكوميون.. فلم يكن بالامكان أن يحل الشعب المسلح محل الجيش فى الاتحاد السوفيتى لاقبل الحرب العالمية الثانية ولاأثنائها ولابعدها. خاصة وأن التكنولوجيا العسكرية قد تجاوزت شعار «تسليح الجماهير» (أى بندقية لكل مواطن) فالسلاح المتطور والحديث يحتاج الى تخصص راق، وتدريب عال وامكانيات لاتتوفر لدى الشخص العادى.. كذلك فان تصاعد حدة التوتر الدولى والالتزامات التى علقت فى عنق الدولة الاشتراكية الأولى ازاء مناطق عديدة من العالم لم يكن بالامكان مواجهتها ولامواجهة آلة الحرب الرأسمالية بمسلحين من الشعب العامل وفقط. كذلك فان الأمن والنظام الداخلى للوطن الاشتراكى وحماية أمن الدولة الاشتراكية من المؤامرات الخارجية لم يكن ممكنا بواسطة متطوعين من بين الجماهير.. وهكذا ومع تصاعد حدة الصراع الدولى وتزايد امكانيات ومكانة الاتحاد السوفيتى رأينا عكس الافتراض الذى قال به ماركس وانجلز فالدولة لم تذبل بل تعزز دورها سواء على الصعيد المحلى أو الخارجى.. وأيضا لم يكن من الممكن الاعتماد فى ادارة الدولة على مندوبين يحكمون لبعض الوقت كى لايتحولوا الى بيروقراطيين كل الوقت، كما أن مستوى التعليم والمعرفة السائد قد حرم الغالبية حق ممارسة الحكم وقصر هذا الحق على الصفوة..

فماذا يتبقى من هذه المقولة ؟ يتبقى أن الدولة هى أداة قمع لصالح طبقة ضد خصومها، ولقد طبق هذا الشق بكفاءة أو بالدقة ببشاعة.

فحيث ساد أسلوب التسلسل الشكلى للمنطق.. كانت المعادلة هى مايلى..

(دولة (...) هى دولة اشتراكية- مجتمع العمال والفلاحين- تحقق مصالح الشعب الكادح- يقودها حزبها الطليعى (الحزب الشيوعى) فماذا عن معارضى الحاكم أو الحكم واجراءاته ؟ نجد ذات التسلسل (هم- أعداء للحكم- أعداء لحكم الشعب الكادح- أعداء للثورة) ومن ثم فمن الطبيعى أن تستخدم ضدهم آلة القمع الطبقية (الدولة الاشتراكية).

.. وتستقر هذه العلاقة، قمع المعارضة باعتبارها «ثورة مضادة» فى عهد ستالين لتصبح نموذجا مستقرا. ثم تأتى الحرب العالمية الثانية، ليصمد فيها الاتحاد السوفيتى صمودا أثار اعجاب العالم أجمع فعلى عتباته تحطمت آلة الحرب الألمانية، وخرج الاتحاد السوفيتى مظفرا ومنتصرا، وأهم من ذلك أصبحت الدولة الاشتراكية الوحيدة معسكرا أو منظومة اشتراكية من العديد من الدول.

وتبدى الأمر وكأن هناك انتصارا للتطبيق الاشتراكى فى عهد ستالين، وسادت روح برجماتية، هيمن عليها الاغترار بالانتصارات، والاعجاب بالنموذج الذى حققها..

وفى غمار ذلك كله نسيت الافتراضات الماركسية الأولى..

- شروط اختيار المندوبين- حق سحبهم- مرتبهم المساوى لمرتب العامل العادى.

- ونسى الماركسيون أيضا أن فكرة «ذبول الدولة» هى فكرة مؤجلة الى أمد بعيد، وأنه يتعين عليهم سد الثغرة النظرية، بوضع نظرية للدولة الاشتراكية على ضوء ماتحقق فى عالم اليوم من تطورات وحقائق.. وليس على ضوء تجربة ثورية استمرت لفترة قصيرة جدا وطبقت فى مدينة واحدة، أو جزء من مدينة

نسى الماركسيون وجود هذه «الثغرة» النظرية وظلوا يمارسون دون عمق نظرى أو مؤشر نظرى، وكما بدأ الأمر بالاعجاب بتجربة تطبيقية (الكوميون) استمرت عملية الاعجاب بالتطبيقات، والنقل عن التطبيقات، أو ممارسة عملية التطبيق دون أن نتوقف لنسأل انه اذا ماكان ماركس علميا الى الدرجة التى دفعته الى عدم محاولة التنبؤ بما هو غير مرئى، أى بفعاليات وأساليب عمل وأدوات الدولة الاشتراكية، واذا كان قد حدد «افتراضا» اتفقنا جميعا على أنه مؤجل لأمد طويل وهو افتراض ذبول الدولة واستكان الى هذا الافتراض فلم يقدم تصورا لفعاليات وأدوات الدولة الاشتراكية. فلماذا لانحاول نحن، وقد أصبحت هناك دول اشتراكية عديدة ومنتشرة فى أرجاء العالم ؟ هل هو كسل فكرى ؟ لست اعتقد، وانما هو إعجاب بالقديم الذى يكفل تبرير «القمع» ضد الخصوم.. وارتكان اليه، واستخدام له غير ماخصص من أجله..

وتأتى الاجتهادات النظرية وحتى الحديثة منها لتعزف نفس معزوفة الحكام ولتبرر عنفهم ضد خصومهم بالتستر خلف مقولة «أعداء الثورة» ونقرأ فى دهشة دراسة سوفيتية كتبت مؤخرا تقول «أن الدولة، كل دولة، تضبط العلاقات الاجتماعية



مظاهرة في موسكو تطالب بالغاء الدور القيادي للحزب

باقرارها قواعد معينة لسلوك الناس والنشاط المنظمات، أو بالاعتراف بها رسميا. والذين لاينفذون هذه القواعد أو يخالفونها تجبرهم الدولة بالقوة على الخضوع. وهذه القواعد تسمى معايير الحق»

أرأيت.. الدولة تضبط العلاقات الاجتماعية، وبعد التسعر بالعلاقات الاجتماعية، تقرر قواعد معينة، ومن لاينفذ هذه القواعد تجبره الدولة بالقوة على الخضوع.

وكان هذا هو الامتداد الفكري الخاطيء، لتطبيق خاطيء، لافتراضات قديمة كانت بالضرورة ناقصة ومحدودة لانها مستنتجة عبر تجربة محدودة.. هي تجربة الكوميون..

وكانت النتيجة لكل ذلك، هو مانراه اليوم.

ولعل الدرس الهام والأساسي هو أن «الدولة الاشتراكية» بحاجة الى تأصيل نظري جديد على ضوء معطيات جديدة وتوازنات قوى محلية وعالمية جديدة.

ولعل لانخطيء القول اذا قلنا إن البريسترويكا هي في الأساس محاولة لوضع مفهوم نظري جديد لدولة الاشتراكية في زمن يقترب من مشارف القرن الحادي والعشرين، ولعل الصراع العنيف والضجة الأكثر عنفا التي تصاحبها ناجمة من أن محاولة بناء المفهوم النظري هذه لاتجابه فقط بمقاومة القوى مافوق البيروقراطية (أي ذات الجرعة المضاعفة من البيروقراطية) وانما أيضا تجابه بقوة العاده التي اعتادت على ممارسة عملية التطبيق العملي دون مقومات نظرية واضحة. أي أن الماركسية وهي على مشارف القرن الحادي والعشرين تحاول أن تضع اللبنات الأولى لنظرية دولتها الاشتراكية

.. أنها مهمة صعبة لكنها تاريخية.

واذا كانت الدولة الاشتراكية سواء في الاتحاد السوفيتي أو في بلدان أوربا الشرقية قد حققت منجزات هائلة سواء في بناء اقتصاد قوي أو في عملية التطوير العلمي والحضاري والثقافي والخدمي للمجتمع، واذا كانت هذه المنجزات قد تحققت في ظل افتقاد قانون نظري عام، يوجه الفعل الثوري في الدولة الاشتراكية ويحميها من المنزلقات الديكتاتورية والبيروقراطية ومن الفساد ومن افتقاد التواصل الحق مع الجماهير.. فماذا يمكن أن يتحقق من منجزات اذا ماصحح المسار، واذا ما وضعت الأسس لقانون حركة وتطور الدولة الاشتراكية وتوطدت أركان المساهمة الجماهيرية والرقابة الجماهيرية والفعل الجماهيري..؟

ثانيا: عن الديمقراطية والماركسية

.. «لايمكن لمملكة الحرية أن تبدأ الا عندما ينتهي العمل الذي تفرضه الضرورة

انها واحدة من العبارات الموحية التي قالها ماركس، وطالما استند اليها البعض في اعتبار أن الحرية هي ترف لايمكن اللجوء اليه الا عندما ننجز ماتفرضه الضرورة من مهام..

وقد ظل ماركس وانجلز يواجهان «الديمقراطية البرجوازية» وكل النزعات الليبرالية بتمايز أساسي وهو البعد الاجتماعي للديمقراطية في مفهومها. وفي مقال لانجلز كتبه عام ١٨٤٥ نقرأ ما يؤكد هذا الفهم «الديمقراطية في أيامنا تعني الشيوعية، وأية ديمقراطية أخرى لايمكن أن تتواجد الا في رؤوس الحالمين.. لقد أصبحت الديمقراطية مبدأ بروليتاريا، مبدأ جماهيريا، رغم أن الجماهير لاتتصور دائما وبشكل واضح المعنى الوحيد والصحيح للديمقراطية، ولكن مفهوم الديمقراطية ينطوي بالنسبة للجميع على الطموح الى التكافؤ الاجتماعي وإن يكن هذا الطموح لم يزل غامضا

وفي البيان الشيوعي يسيطر ذات الفهم «أن الخطوة الأولى في ثورة الطبقة العاملة هي رفع البروليتاريا الى مركز الطبقة الحاكمة وكسب معركة الديمقراطية، وسوف تستخدم البروليتاريا سيادتها السياسية لكي تنتزع بالتدريج كل رأس المال من يد البرجوازية.. ولايمكن تحقيق ذلك في البداية الا بواسطة عمل استبدادي ضد حقوق الملكية. وعندما تختفي الفروق الطبقية خلال مجرى التطور، ويتركز كل الانتاج في أيدي اتحاد عريض من الأمة بأسرها ستفقد السلطة العامة طابعها السياسي»

... ولايمكن تحقيق ذلك في البداية الا بواسطة عمل استبدادي ضد حقوق الملكية. وعندما تختفي الفروق الطبقية خلال مجرى التطور، ويتركز كل الانتاج في أيدي اتحاد عريض من الأمة بأسرها، ستفقد السلطة العامة طابعها السياسي»

وكالعادة تصل الفكرة الى ذات النتيجة المعروفة «ذبول الدولة..» فالسلطة السياسية هي مجرد تنظيم لسلطة احدى الطبقات بهدف اضطهاد طبقة اخرى، واذا ما أجبرت البروليتاريا خلال صراعها ضد البرجوازية على تنظيم نفسها كطبقة، واذا ماجعلت نفسها طبقة حاكمة بواسطة ثورة، فانها بذلك تكون قد مهدت السبيل لالغاء سيادتها الخاصة كطبقة، ومكان المجتمع البرجوازي القديم بطبقاته وعداواته الطبقية سيكون لدينا اتحاد يكون فيه التطور الحر لكل فرد شرطا للتطور الحر للجميع

.. ويكتب انجلز الى بيبل «ان البروليتاريا تحتاج الى الدولة ليس من أجل الحرية وانما من أجل القمع من أجل أن تقمع معارضيها، وحالما يصبح في الامكان الحديث عن الحرية، فان الدولة في حد ذاتها ستكف عن الوجود»

وكالعادة تكون تجربة كوميون باريس هي النموذج والمثل.. ويكتب ماركس «أن كوميون باريس هي أول شكل سياسي يتم في ظله التحرير الاقتصادي «ويؤكد ماركس» أن الشكل الحكومي لدكتاتورية البروليتاريا يجب ألا يكون جمهورية برجوازية برلمانية ديمقراطية، بل دولة من طراز كوميون باريس

ونتوقف قليلا لنتأمل في المضمون:

– الديمقراطية في الجوهر هي ديمقراطية تعبر عن التكافؤ الاجتماعي.

– معركة الديمقراطية هي معركة ذات وجهين لاينفصلان عن بعضهما ديمقراطية للشعب وقهر للمعارضين.

البقية ص ٧٥

د. رفعت السعيد

* النصوص الدينية بين الدلالات التاريخية والتأويل المجازى

الخطاب الديني المعاصر يناقض نفسه حين يرفض

إن النصوص الدينية ليست فى التحليل الأخير سوى نصوص لغوية ، بمعنى أنها نصوص تنتمى الى بنية ثقافية محددة ، تم انتاجها طبقا لقوانين تلك الثقافة التى تعد اللغة نظامها الدلالى المركزى وليس معنى ذلك أن النصوص تمثل قابلا سلبيا فى تعبيره عن البنية الثقافية من خلال النظام اللغوى . فللنصوص فعاليتها الخاصة الناشئة عن خصوصية بنائها اللغوى ذاته . ان تفرقة عالم اللغة « دى سوسير » بين « اللغة »

و« الكلام » يمكن أن تفيدنا هنا فى توضيح الفارق بين البناء اللغوى للنصوص - خاصة النصوص الممتازة - وبين النظام اللغوى الثقافى الذي ينتجها . « اللغة » هى النظام الدلالى للجماعة فى كليته وشموله وتعدد مستوياته الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، هى المخزون الذى يلجأ اليه الأفراد فى صياغة « الكلام » . واذن فالكلام يمثل من حيث علاقته باللغة الجزئى والعينى ، يمثل نظاما جزئيا - أو شفرة خاصة - داخل النظام الكلى المخزون فى ذاكرة الجماعة . واذا كان الكلام رغم جزئيته وخصوصيته هو الكاشف عن بنية النظام اللغوى الكلي فمعنى ذلك أن العلاقة بين الكلام واللغة علاقة جدلية ، وأن الفصل بينهما من قبيل التبسيط الذى لاغنى عنه للتحليل العلمى . ويمكن لنا الان أن نستخدم تلك التفرقة لتحديد طبيعة العلاقة بين النصوص وبين النظام اللغوى الذى تنتج من خلاله . ان النصوص لاتنفك عن النظام اللغوى العام للثقافة التى تنتمى اليها ، لكنها من ناحية أخرى تبدع شفرتها الخاصة التى تعيد بناء عناصر النظام الدلالى الأصلى من جديد . وتقاس أصالة النصوص وتتحدد درجة ابداعيتها بما تحدثه من تطور فى النظام اللغوى وما تحققه نتيجة لذلك من تطور فى الثقافة والواقع معا . وعلى ذلك يمكن القول ان النصوص ترتبط بواقعها اللغوى الثقافى فتتشكل به من جهة ، وتبدع شفرتها الخاصة التى تعيد بها شكل اللغة والثقافة والواقع من جهة أخرى . وهناك منطقة تماس بين الجهتين هى التى تمكن النصوص من أداء وظيفتها داخل البنية الثقافية فى مرحلة انتاج النصوص ، أى تجعل النصوص دالة ومفهومة للمعاصرين لانتاجها ، وهى المنطقة المترعة بالدلالات المشيرة الى الواقع والتاريخ . وخارج منطقة التماس تلك تكون الدلالات مفتوحة وقابلة للتجدد مع تغير آفاق القراءة المرتهن بتطور الواقع اللغوى والثقافي .

وهنا يطرأ سؤال لابد من التعرض له اذا كان الحديث عن النصوص الدينية بصفة خاصة . وهو سؤال يطرح اشكالية الفارق بين النصوص الدينية وغيرها من النصوص اللغوية التى تخضع بسهولة لمنهج التحليل طبقا لنموذج تفرقة «دى سوسير» بين اللغة والكلام . والعائق أمام اخضاع النصوص الدينية للمنهج المشار اليه هو توهم اخضاع الكلام الالهى - الذى لابد أن يكون مخالفا للكلام الانسانى - لمناهج التحليل العقلية الانسانية . و«التوهم» هنا مبنى على افتراض أن العلاقة بين الالهى والانسانى تقوم على الانفصال ، بل على التعارض والتضاد ، وهو توهم أسسه التصور الأشعرى للعالم والذى ناقشنا امتداده فى حياتنا المعاصرة قبل ذلك . ولعل اشكالية العلاقة بين الالهى والانسانى يمكن أن تنجلى ويتبدد عنها التوهم المشار اليه اذا ناقشناها فى مجال آخر غير مجال النصوص الدينية . والمجال الذى نختاره للكشف عن التوهم وبيان أسبابه ونتائجه هو مجال «العقائد المسيحية» المرتبطة بحقيقة السيد المسيح عليه السلام . وغنى عن القول أننا هنا لانناقش المسألة من منظور لاهوتى يدخلنا طرفا فى قضية عقيدية خلافية بقدر ما نتعامل معها بوصفها نموذجا كاشفا لتناقض الفكر الدينى الاسلامى ، وذلك حين يتبنى المنظور المسيحى العام لطبيعة السيد المسيح فى فهمه لطبيعة القرآن رغم أنه يرفضه فى مجاله الأصلى.

يقف الفكر الدينى الاسلامى من مسألة طبيعة السيد المسيح موقفا نافيا لأى طبيعة أخرى سوى الطبيعة الانسانية النقية الخالصة . وليس هذا الموقف موقفا خارجيا مفروضا على النصوص الدينية الاسلامية ، بل هو موقف يستند الى الدلالات المباشرة للنصوص ، الدلالات التى تؤكد عبودية المسيح لله وتؤكد أن الطبيعة الخاصة لمولده من أم دون أب لاتمنحه شيئا خاصا يغير من طبيعته البشرية . فشأن عيسى فى ذلك كشأن آدم : «خلقه من تراب » (سورة آل عمران / آية : ٥٩) . والمقارنة بين القرآن وبين السيد المسيح من حيث طبيعة «نزول» الأول وطبيعة «ميلاد » الثانى تكشف عن أوجه التشابه بين البنية الدينية لكل منهما داخل البناء العقائدى للاسلام نفسه . ولعلنا لانكون مغالين اذا قلنا انهما ليستا بنيتين ، بل بنية واحدة رغم اختلاف العناصر المكونة لكل منهما . فالقرآن كلام الله وكذلك عيسى عليه السلام : «رسول الله وكلمته» (النساء / ١٧١) ، وقد كانت البشارة لمريم : «ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم » (آل عمران /٣) . واذا كان القرآن قولا ألقى الى محمد عليه السلام ، فان عيسى بالمثل كلمة الله : «ألقاها الى مريم وروح منه » (النساء / ١٧١) ، أى أن محمدا = مريم . والوسيط فى الحالتين واحد وهو الملك جبريل الذى تمثل لمريم «بشرا سويا» (مريم /١٧) وكان يتمثل لمحمد فى صورة أعرابى . وفى الحالتين يمكن أن يقال ان كلام الله قد تجسد فى شكل ملموس فى كلتا الديانتين : تجسد فى المسيحية فى مخلوق بشرى هو المسيح ، وتجسد فى الاسلام نصا لغويا فى لغة بشرية هى اللغة العربية . وفى كلتا الحالتين صار الالهى بشريا ، أو تأنسن الالهى . واللغة العربية فى الوحى الاسلامى تمثل الوسيط الذى تحقق فيه وبه التحول ، ويمثل اللحم والدم - مريم - الوسيط الذى تحقق التحول فيه وبه فى المسيحية .

واذا كان الفكر الدينى الاسلامى ينكر على الفكر الدينى المسيحى «توهم» طبيعة مزدوجة للسيد المسيح ، ويصر على طبيعته البشرية ، فان الاصرار على الطبيعة المزدوجة للنص القرآنى وللنصوص الدينية بشكل عام يعد وقوعا فى نفس «التوهم» . وينتج التوهم فى الحالتين عن اهدار الحقائق التاريخية الموضوعية الملابسة للظاهرة والتمسك بأصلها الميتافيزيقى والاصرار على أنه وحده المفسر لها والمحدد لطبيعتها . ويعد «التوهم» من ثم حالة فكرية ثقافية تعكس موقفا أيديولوجيا فى واقع تاريخى محدد . واذا كان هذا التوهم قد أدى الى عبادة ابن الانسان فى العقائد

الفهم العلمي للنصوص

النصوص الدينية نصوص لغوية شأن أي نصوص أخرى في الثقافة

المسيحية ، فانه قد أدى فى العقائد الاسلامية الى القول بقدم القران وأزليته بوصفه صفه قديمة من صفات الذات الالهية كما سبقت الاشارة . وفى الحالتين يتم نفى الانسان وتغريبه عن واقعه لحساب الالهى والمطلق كما يبدو على السطح ، بل لحساب الطبقة التى يتم احلالها محل المطلق والالهى . ولأن الواقع ليس كلا متجانسا موحداً ، فان القوى النقيضة تطرح البديل الفكرى الدينى متمثلا فى حالة الاسلام فى قول المعتزلة بحدوث القران وبأنه مخلوق لاأزلى ، ومتمثلا فى حالة المسيحية فى القائلين بالطبيعة البشرية للمسيح .

واذا كانت التيارات الفكرية الدينية التبريرية هى التى سادت وهيمنت فى تاريخ كلا من المسيحية والاسلام فليس معنى ذلك أن أطروحاتها صحيحة لاتقبل النقاش والرد ، لسيطرة تيار فكرى وسيادته ليس الا محصلة لصراع قوى اجتماعية سياسية فى واقع تاريخى محدد .

ولعلنا الان أصبحنا فى موقف يسمح لنا بالقول بأن النصوص الدينية نصوص لغوية شأنها شأن أى نصوص أخرى فى الثقافة ، وأن أصلها الالهى لايعنى أنها فى درسها وتحليلها تحتاج لمنهجيات ذات طبيعة خاصة تتناسب مع طبيعتها الالهية الخاصة . ان القول بالهية النصوص والاصرار على طبيعتها الالهية تلك يستلزم أن البشر عاجزين بمناهجهم عن فهمها مالم تتدخل العناية الالهية بوهب بعض البشر طاقات خاصة تمكنهم من الفهم ، وهذا بالضبط ما يقوله المتصوفة . وهكذا تتحول النصوص الدينية الى نصوص مستغلقة على فهم الانسان العادى - مقصد الوحى وغايته - وتصبح شفرة الهية لاتحلها الا قوة الهية خاصة . وهكذا يبدو وكأن الله يكلم نفسه ويناجى ذاته ، وتنتفى عن النصوص الدينية صفات «الرسالة» و«البلاغ» و«الهداية» و «النور» الخ . واذا كنا هنا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية فان هذا التبنى لايقوم على أساس نفعى أيديولوجى يواجه الفكر الدينى السائد والمسيطر ، بل يقوم على أساس موضوعى يستند الى حقائق التاريخ والى حقائق النصوص ذاتها . وفى مثل هذا الطرح الاستناد الى الموقف الاعتزالى التراثى وما يطرحه من حدوث النص وخلقه ليس استنادا تأسيسيا ، بمعنى أن الموقف الاعتزالى رغم أهميته التاريخية يظل موقفا تراثيا لايؤسس - وحده - وعينا العلمى بطبيعة النصوص الدينية .

الموقف الاعتزالى شاهد تاريخى دال على بواكير وارهاصات ذات مغزى تقدمى علمى ، والمغزى لا الشاهد التاريخى هو الذى يهمنا لتأسيس الوعى العلمى بطبيعة النصوص الدينية .

واذا كانت النصوص الدينية نصوصا بشرية بحكم انتمائها للغة والثقافة فى فترة تاريخية محددة ، هى فترة تشكلها وانتاجها ، فهى بالضرورة نصوص تاريخية ، بمعنى أن دلالتها لاتنفك عن النظام اللغوى الثقافى الذى تعد جزءا منه . من هذه الزاوية تمثل اللغة ومحيطها الثقافى مرجع التفسير والتأويل . وتدخل فى مرجعية التفسير والتأويل تلك كل علوم القرآن ، وهى علوم نقلية تتضمن كثيرا من الحقائق المرتبطة بالنصوص ، بعد اخضاعها لأدوات الفحص والتوثيق النقدية . ومن أهم تلك العلوم اتصالا بمفهوم تاريخية النصوص علوم «المكى والمدنى» و« أسباب النزول» و «الناسخ والمنسوخ» . وليس معنى القول بتاريخية الدلالة تثبيت المعنى الدينى عند مرحلة تشكّل النصوص ، ذلك أن اللغة - الاطار المرجعى للتفسير والتأويل - ليست ساكنة ثابته ، بل تتحرك وتتطور الثقافة والواقع . واذا كانت النصوص - كما سبقت الاشارة - تساهم فى تطوير اللغة والثقافة من جانب أنها تمثل « الكلام » فى النموذج السوسيرى ، فان تطور اللغة يعود ليحرك دلالة النصوص وينقلها فى الغالب من الحقيقة الى المجاز . وتتضح هذه الحقيقة بشكل أعمق بتحليل بعض أمثلة من النص الدينى الأساسي وهو القرآن .

تتحدث كثير من آيات القرآن عن الله بوصفه ملكا (بكسر اللام) له عرش وكرسى وجنود وتتحدث عن القلم واللوح . وفى كثير من المرويات التى تنسب الى النص الدينى الثانى - الحديث النبوى - تفاصيل دقيقة عن القلم واللوح والكرسى والعرش ، وكلها تساهم - اذا فهمت فهما حرفيا - فى تشكيل صورة أسطورية عن عالم ماوراء عالمنا المادى المشاهد المحسوس ، وهو مايطلق عليه فى الخطاب الدينى اسم « عالم الملكوت والجبروت». ولعل المعاصرين لمرحلة تكون النصوص - تنزيلها - كانوا يفهمون هذه النصوص فهما حرفيا ، ولعل الصور التى تطرحها النصوص كانت تنطلق من التصورات الثقافية للجماعة فى تلك المرحلة . ومن الطبيعى أن يكون الأمر كذلك ، لكن من غير الطبيعى أن يصر الخطاب الدينى فى بعض اتجاهاته على تثبيت المعنى الدينى عند العصر الأول ، رغم تجاوز الواقع والثقافة فى حركتهما لتلك التصورات ذات الطابع الأسطورى . ان صورة الملك والمملكة بكل ما يساندهما من صور جزئية تعكس دلاليا واقعا مثاليا تاريخيا محددا ، كما تعكس تصورات ثقافية تاريخية ، والتمسك بالدلالة الحرفية للصورة - التى تجاوزتها الثقافة وانتقلت من الواقع - يعد بمثابة نفى للتطور وتثبيت صورة الواقع الذى تجاوزه التاريخ . وعلى النقيض من الموقف التثبيتى يكون التأويل المجازى نفيا للصورة الأسطورية وتأسيسا لمفاهيم عقلية تحقيقا لواقع انسانى أفضل . من هنا نفهم أن المعارك التى خاضها المعتزلة فى مجال تأويل النصوص الدينية ضد الحرْفيّين لم تكن مجرد معارك فكرية ذات طابع نخبوى ، بل كانت معارك حول صورة الواقع الاجتماعى وما يرتبط به من مفاهيم ثقافية . وليس غريبا والحال كذلك أن يتمسك الأشاعرة بصورة الملك المتسلط الذى يعذب ولايبالى ، والذى «لايسأل عما يفعل وهم يسألون» (الأنبياء /٢٣) ، فى حين يتمسك المعتزلة بنفى الظلم عن الأفعال الالهية تثبيتا لمبدأ العدل فى الواقع والمجتمع .

والنص ذاته يطرح علينا بطريقة غير مباشرة مؤشرات القراءة المجازية لكثير من عباراته . ولن نستشهد هنا بما استشهد به المعتزلة من مثل قوله تعالى : «ليس كمثله شيئ» (الشورى / ١١) ، حتى لاندخل فى اشكالية أخرى عن طبيعة النص وآلياته فى انتاج الدلالة ، وهى اشكالية «المحكم والمتشابه» ، وهى اشكالية ناقشناها فى دراسات سابقة . المؤشر الذى نستشهد به هنا من النص هو اعتراضه على قراءة اليهود - أو بالأحرى فهمهم - للآيات التى تطلب من المؤمنين أن يقرضوا الله قرضا حسنا (المائدة / ١٢ ، الحديد / ١٨ ، التغابن /١٧ ، البقرة /٤٥ ، الحديد / ١١ ، المزمل / ٢٠ ، المائدة / ١٢)

النصوص الدينية..

طرح اليهود للآيات فهما حرفيا جعلهم يقولون . «انا الله فقير ونحن أغنياء» (آل عمران / ١٨١) ، وحين نزل تحريم الربا - عصب الاقتصاد عند اليهود آنذاك - قالوا : «عجيب أمر رب محمد ، كيف يمنعنا أخذ الربا ويعطينا اياه » . واعتراض النص على فهم اليهود الحرفي لتلك الايات يمثل لنا مؤشرا دالا على ضرورة القراءة المجازية . هكذا قرأ المسلمون كل ماورد في القرآن عن بيع المؤمنين أنفسهم وأموالهم لله في مقابل الجنة ، وكذلك فهموا كل ماورد من وصف للعلاقة بين الله والمؤمنين بأنها علاقة «تجارة» ، ان مفردات «التجارة» و «القرض» و «البيع والشراء» ومثيلاتها مفردات لغوية تنتمي الى مجال دلالي محدد . وكثرة ورودها في النص القرآني تكشف عن انعكاس الواقع الثقافي دلاليا في النص ، لكن ورودها المجازي لا الحقيقي كاشف عن أن الانعكاس ليس آليا مرآويا ، واذ للنص آلياته اللغوية الخاصة التي يعد المجاز من أهمها .

والخطاب الديني المعاصر لايعارض التأويل المجازي للنماذج السالفة من النص القرآني ، بل يؤكد هذا التأويل ملحا على طابعه البلاغي . ولأنه خطاب لاينطلق من فهم علمي للنصوص يناقض نفسه حين يرفض تأويل صورة الملك والمملكة وكل ما يساندها من صور جزئية - كالعرش والكرسي - تأويلا مجازيا ، ويتمسك بدلالاتها الحرفية تمسكا يكشف عن الطابع الأيديولوجي له . ويتكشف الطابع الأيديولوجي للخطاب الديني في تعامله مع النصوص الدينية حين يلجأ في بعض الأحوال للوثب على المعنى الحرفي التاريخي ملبسا اياه معنى جديدا يخدم أهدافه وتوجهاته . والأمثلة كثيرة نكتفي منها هنا بمثال واحد مؤجلين الأمثلة الأخرى لأهميتها ومحوريتها ، والمثال هو تأويل عبارة «لهو الحديث» في قوله تعالى : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها لهوا أولئك لهم عذاب مهين . واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم « (لقمان / ٦ - ٧) ، اذ يلجأ الخطاب الديني الى انتزاع العبارة من سياقها اللغوي أولا ، ومن سياق نزولها ثانيا - سبب النزول - ليفسر «لهو الحديث» بأنه «الغناء» . والأخطر من ذلك أن يستنتج من ذلك أن الاسلام يحرّم فن الغناء . ولايقتصر التحريم على الغناء الذي يعمد به صاحبه الى الاضلال عن ذكر الله بحسب السياق اللغوي الذي يجعل الاضلال هدفا وغاية باستخدام لام التعليل أو لام العاقبة ، بل يجعل الخطاب الديني التحريم لكل أنواع الغناء بصرف النظر عن الغاية والهدف . والخطاب الديني المعتدل حين يرد على المتشددين لا يستثني من التحريم الا الأغاني الدينية والأغاني التي تحض على الكفاح والعمل ومناهضة الاستعمار والصهيونية كما نرى في كتابات الشيخ محمد الغزالي . لكن العودة الى سياق سبب النزول تنفي نفيا تاما أن «لهو الحديث» هو الغناء ، وتكشف عن الطبيعة الأيديولوجية لهذا التأويل الذي يعادي الفنون والآدب .

ان عدم التفرقة بين ماهو تاريخي وماهو دائم مستمر في دلالة النصوص الدينية يؤدي الى الوقوع في كثير من العثرات والمتاهات . واذا كان الأمر - أمر التفرقة بين الخاص والعام - في دلالة النصوص عموما أمرا هاما ، فان الشأن في دلالة النصوص الدينية خطير لارتباطه بالعقائد والقيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية للجماعة الدينية . ولسنا بحاجة هنا للتفرقة بين مفهوم هذه الدراسة للعام والخاص وبين المفهوم المطروح عند علماء أصول الفقه وفي علوم القرآن ، فالعموم والخصوص في التراث الديني يتعلقان بالنصوص الخاصة بالاحكام التشريعية من ناحية ، ويُناقشان في اطار الجملة والعبارة والأية أو الآيات المتحدة الموضوع من ناحية أخرى . والذي نعنيه بالخصوص والعموم هنا هما جانبي الدلالة في النصوص ، فالخاص هو ذلك الجانب الدلالي المشير اشارة مباشرة الى الواقع الثقافي التاريخي لانتاج النص ، والعام هو الجانب الحي المستمر القابل للتجدد مع قراءة . انه بعبارة أخرى الفارق بين الدلالة الجزئية الوقتية وبين الدلالة العامة الكلية . والحديث عن جانبين هو من قبيل التبسيط والفصل المنهجي لأغراض الدرس والتحليل ، وقد سبق لنا بيان أن الجزئي والخاص يمكن أن يتحول بالتأويل المجازي الى الكلي والعام . لكن بعض الدلالات الجزئية - خاصة في مجال الأحكام والتشريع - يسقطها تطور الواقع الاجتماعي التاريخي ، وتتحول من ثم الى شواهد دلالية تاريخية .

ومعنى ذلك اننا بازاء ثلاثة مستويات للدلالة في النصوص الدينية : المستوى الأول مستوى الدلالات التي ليست الا شواهد تاريخية لاتقبل التأويل المجازي أو غيره ، والمستوى الثاني مستوى الدلالات القابلة للتأويل المجازي ، والمستوى الثالث مستوى الدلالات القابلة للاتساع على أساس «المغزى» الذي يمكن اكتشافه من السياق الثقافي / الاجتماعي الذي تتحرك فيه النصوص ، ومن خلاله تعيد انتاج دلالتها . وكل مستوى من هذه المستويات الثلاثة يحتاج لدراسة خاصة لابد لها من الاشتباك مع أطروحات الخطاب الديني القديم والحديث على السواء .

د. نصر حامد أبو زيد

الفساد
في الكتلة الشرقية
[بقية ص ٦٢]

ورفع كفاءة العاملين . ان الحصول على هذا الفائض يرتبط اما بمدى الولاء للحاكمين او بمدى اختلاف الاسواق . وليس بالعمل على كسب المباراة الاقتصادية في اطار تنافسي . ولذلك فان هذه الفئات على عكس الرأسماليين لاتجد مايدفعها الى استخدام جزء من فائض القيمة التي تستحوز عليه في المجال الانتاجي فضلا عن أنها لاتستطيع ذلك حتى لو ارادت .

ان الاستخدامات التي تتاح لفائض القيمة التي تستحوز عليه هذه الفئات لايعدو ان يتخذ الا احد اشكال ثلاثة،الانفاق على الاستهلاك الترفي ، او الاكتناز في شكل ذهب او حلى او ماشابه ذلك ، او التهريب للخارج في شكل عملات اجنبية قابلة للتبادل .

ويؤدي التوسع في الاستحواز على جزء من الفائض الاقتصادي بواسطة العناصر البيروقراطية او السياسية او مافيا السوق السوداء الى هبوط معدلات النمو الاقتصادي ، وتردي الانتاج والانتاجية ، وزيادة حدة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، مما ينتهي الى خسارة المباراة السلمية في مواجهة النظام الرأسمالي ، الذي لايستخدم فقط الجزء الاكبر من فائض القيمة المولد داخله للاستثمار وتطوير ادوات الانتاج ورفع الكفاية الانتاجية ، بل يستحوز ايضا على جزء هام من الفائض الاقتصادي لدول العالم الثالث وعلى مايهرب اليه من فائض اقتصادي من دول شرق اوروبا .

ان تصفية كل شكل من اشكال الاستغلال والاستحواز بغير وجه حق على جزء من الفائض الاقتصادي بواسطة بعض الفئات الاجتماعية يعتبر لذلك شرطا ضروريا ضمن شروط اخرى لتسريع عملية النمو الاقتصادي والاجتماعي في الاتحاد السوفييتي وغيره من دول شرق اوروبا التي قد تختار الاستمرار في محاولة بناء نظام اقتصادي اجتماعي جديد يستند الى الملكية العامة لادوات الانتاج . ولن يصبح ذلك ممكنا مالم تتأكد الديمقراطية ومشاركة الجماهير في السلطة وفي الرقابة وينتهي احتكار السلطة بواسطة حزب واحد او مجموعة محدودة داخله .

د. إبراهيم سعد الدين عبد الله

قصة كتاب «في الشعر الجاهلي» لطه حسين



صدر كتاب طه حسين « فى الشعر الجاهلى» فى ابريل ١٩٢٦، لكن ظروف صدوره وما أحدثه من أثر فى المجتمع لاتفهم إلا فى إطار فهم طبيعة المناخ السياسى السائد فى مصر آنذاك من ناحية والتعرض لكتاب الشيخ على عبد الرزاق «الاسلام وأصول الحكم» الذى صدر قبل كتاب طه حسين بعام (ابريل ١٩٢٥) من ناحية ثانية، ثم فهم معركة انتزاع سيطرة القصر على الازهر من ناحية ثالثة.كانت أول وزارة دستورية بعد الثورة- وزارة سعد زغلول- قد استقالت فى أواخر عام ١٩٢٤ إثر حادث اغتيال السردار سيرلى ستاك فى القاهرة وماتقدم به الانجليز من مطالب إثر الحادث (وأبرزها سحب الجيش المصرى من السودان) وهى المطالب التى رفضها سعد زغلول وآثر الاستقالة على قبولها.

بعد استقالة سعد جاءت وزارة جديدة يرأسها رجل القصر زيور باشا فأجرت انتخابات جديدة فى مارس ١٩٢٥ ثم اتضح أن ثمة أغلبية وفدية فى مجلس النواب الجديد وذلك من خلال التصويت على انتخاب رئيس مجلس النواب، إذ كان هناك متنافسان رئيسيان : سعد زغلول وعبد الخالق ثروت. وصوتت الأغلبية الساحقة من النواب لصالح سعد زغلول فإذا بالملك يصدر قرارا بحل المجلس يوم اجتماعه، وهو إجراء غير دستورى كما كان يعلم زيور والمندوب السامى البريطانى لورد اللنبى والملك نفسه.

وهكذا حكمت وزارة زيور البلاد بانقلاب غير دستورى، وكانت المأساة المحزنة أن حزب الاحرار الدستوريين الذى كان يفخر بدوره فى صناعة دستور ١٩٢٣ قبل الاشتراك فى وزارة زيور بثلاثة من وزرائه: عبد العزيز فهمى رئيس الحزب، محمد على علوبة، وتوفيق دوس فى ١٣ مارس ١٩٢٥ بعد حل المجلس مباشرة، الأمر الذى أدى الى توتر الموقف بينه وبين حزب الوفد. وفى هذه الظروف صدر كتاب الشيخ على عبد الرازق «الاسلام وأصول الحكم» وكان بمثابة قذيفة مدوية ضد مشروع الملك فؤاد فى إحياء الخلافة وتعيينه خليفة للمسلمين بعد إلغائها فى تركيا على يد أتاتورك عام ١٩٢٤. وكانت قيادات الجامع الازهر ألعوبه سهلة فى يد الملك فؤاد ورجال السراى للإعداد لمؤتمر الخلافة الذى سوف يتولى مبايعته، وقد استغل الملك النص الدستورى بأن ميزانية الازهر لاتخضع لرقابة البرلمان من أجل وقف محاولات البرلمان بفرض رقابته المالية على الأوقاف والازهر ودار صراع شديد حول هذا الموضوع ووقف الازهر فى معظمه (قيادات وطلاب) ضد حكومة الوفد الدستورية، وانتهز الملك

صراع العلم والدين والسياسة

الانقلاب غير الدستورى فألحق بالأزهر مدرستى القضاء الشرعى ودار العلوم ومعاهد المعلمين الاولية، وكلها تتبع وزارة المعارف العمومية، الامر الذى أسعد الازهريين وإن أغضب الوفد.

ماذا كان موقف الوفد من الضجة التى أثارها صدور كتاب «الاسلام وأصول الحكم»؟

لقد وجد سعد زغلول وبعض قادة الوفد فرصتهم الذهبية فى التشفى من حزب الاحرار الدستوريين وهو الحزب الذى كان على عبد الرازق أحد مثقفيه البارزين، وكانت عائلة عبد الرازق إحدى دعامات هذا الحزب. فبدأت صحف الوفد فى الهجوم على الكتاب، ولاسيما صحيفة «كوكب الشرق» التى يرأس تحريرها أحمد حافظ عوض، بينما دافعت بعض العناصر البارزة فى الوفد مثل عزيز ميرهم وعباس العقاد عن الكتاب وصاحبه باعتبار أن القضية حرية رأى كفله الدستور. ويحكي العقاد فى كتابه (سعد زغلول) أنه راجع سعد باشا فى موقف الحزب غير المهدأى من هذه القضية. وعندما قامت هيئة كبار العلماء بمحاكمة الشيخ على عبد الرزاق وأصدرت حكمها بسحب شهادة العالمية منه وعزله من منصبه فى القضاء الشرعى اجتمع عدد كبير من رجال الفكر والصحافة وأعدوا عريضة رفعت للملك تهيب به ألا يستباح الدستور فى أقدس ماصان وكفل من حرية للفكر، وتددت العريضة بمحاكمة هيئة دينية لعالم فاضل بسبب رأيه الامر الذى يذكر بمحاكم المجلس البابوى لجاليليو وبمحاكم التفتيش فى القرون الوسطى. وكان ممن وقع على العريضة أحمد حافظ عوض (كوكب الشرق) الذى كان قد هاجم الكتاب وعباس العقاد (البلاغ) ومحمد صبرى أبو علم (من رجال الوفد) ومحمود عزمى (عن جريدة السياسة وهى صحيفة الاحرار الدستوريين) ومنصور فهمى وآخرون كثيرون.

ولم يكن هذا هو رد الفعل الوحيد لمحاكمة على عبد الرزاق. لقد حاول عبد العزيز فهمى وزير الحقانية فى وزارة زيور ورئيس حزب الاحرار حماية الشيخ على عبد الرزاق فلما فشل فى ذلك قدم هو وزميلاه استقالتهم من حكومة زيور احتجاجا على المحاكمة. وأخذ الوفد موقف الترقب من هذا التطور الجديد. فلما أعلن عبد العزيز فهمى فى خطاب حزبى فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٢٥ خطأه فى الاشتراك فى حكومة زيور غير الدستورية، ونادى بوجوب التمسك بالدستور ظهرت لأول مرة إمكانية تحقيق تحالف بين الوفد والاحرار الدستوريين والحزب الوطنى ضد القصر وزيور وسائر مدبرى الانقلابات على الدستور. ولم يكن الانجليز معادين تماما لهذه الدعوة. لقد استقال المندوب السامى لورد أللينبى فى مايو ١٩٢٥ بعد فشل سياسته، ولم يحضر خلفه لورد لويد إلا فى اكتوبر سنة ١٩٢٥. ومع أن الانجليز كانوا يؤيدون مشروع الخلافة إلا أنهم كانوا منزعجين بعض الشئ من تزايد نفوذ الملك دون قيود، وكانوا يحاولون تسكين الاوضاع.

وهكذا ظهر اقتراح أمين الرافعى بعقد مجلس النواب المحلول فى موعد انعقاده الدستورى فى أواخر نوفمبر سنة ١٩٢٥ لبطلان حله دستوريا، وإذا لم يتيسر عقده تحت قبة البرلمان فليكن انعقاده فى أحد الفنادق؟ وبالفعل جرت التعبئة المشتركة من الوفد والاحرار والوطنى لهذا الامر، وانعقد مجلس النواب فعلا فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ وأعلن عدم ثقته بحكومة زيور. واضطرت الوزارة الزيورية إلى الاستقالة فى نهاية الامر وتحدد موعد مايو سنة ١٩٢٦ لاجراء انتخابات جديدة. وفى هذه الانتخابات انتصرت الاحزاب الثلاثة المؤتلفة بأغلبية وفدية واضحة، واتفق المؤتلفون للمحافظة على وحدتهم على تشكيل وزارة ائتلافية جديدة من وزراء من الاحزاب الثلاثة يرأسها عدلى يكن فى يونيو سنة ١٩٢٦ بينما يرأس سعد زغلول مجلس النواب. وعين القطب الوفدى

• • •

على الشمسى وزيرا للمعارف العمومية بينما عين القطب الدستورى عبد الخالق ثروت وزيرا للخارجية.

وصدر كتاب طه حسين «فى الشعر الجاهلى» قبل إجراء الانتخابات العامة بشهر وقبل تشكيل الوزارة الجديدة بشهرين، وعلى أول صفحاته إهداء إلى عبد الخالق ثروت باشا قطب الاحرار الذى رأس الوزارة من قبل والذى كان وزيرا للخارجية فى الوزارة الجديدة!

وقد قوبل صدور الكتاب بوابل من الاتهامات الكاسحة ضد مؤلفه من جانب رجال الدين عموما ومن قيادات الازهر خصوصا. لكن الاخطر من ذلك أن صدور الكتاب وماجرى حوله من مناقشات فى مجلس النواب قد كاد أن يعصف بالحكومة الائتلافية ذاتها ولم يكن قد مضى على تشكيلها اكثر من ثلاثة شهور.

الكتاب والعاصفة التى أثارها

• ماهو الموضوع الاساسى لكتاب طه حسين «فى الشعر الجاهلى»؟

الموضوع الاساسى للكتاب هو محاولة طه حسين إثبات أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعرا جاهليا ليست من الجاهلية فى شئ، وإنما هى منتحلة مختلقة بعد ظهور الاسلام فهى إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين قبل الاسلام. فما نقرؤه على أنه شعر امرؤ القيس أو طرفه أو ابن كلثوم أو عنترة ليس من هؤلاء الناس فى شئ وإنما هو انتحال الرواة أو اختلاق الاعراب أو صنعة النحاة أو اختراع المفسرين والمحدثين والمتكلمين كما يقول طه حسين.

وأقوى حجة يقدمها طه حسين فى دعم وجهة نظره هذه هى حجة تباين اللغة بين الجنوب والشمال فى الجزيرة العربية. فقد اتفق الرواه على أن العرب ينتمون إلى قسمين : قحطانية منازلهم الأولى فى اليمن وعدنانية منازلهم الاولى فى الحجاز. وهم متفقون على أن القحطانية عرب منذ خلقهم الله فطروا على العربية فهم العرب العاربة، وعلى أن العدنانية اكتسبوا العربية اكتسابا، كانوا يتكلمون لغة أخرى هى العبرانية ثم تعلموا لغة العرب العاربة فمحوا تدريجيا لغتهم الاصلية واكتسبوا اللغة المستعارة، وهم متفقون على أن هذه العدنانية المستعربة إنما يتصل نسبها باسماعيل ابن ابراهيم ويروون حديثا يتخذونه أساسا لكل هذه النظرية مفاده أن أول من تكلم العربية ونسى لغة أبيه هو اسماعيل ابن ابراهيم.

ولقدأثبت البحث العلمى الحديث – كما يقول طه حسين– بما اكتشف من نقوش ونصوص أن هناك خلافا قويا فى الالفاظ وقواعد النحو والصرف بين لغة حمير (وهى لغة العرب العاربة) وبين لغة عدنان (لغة العرب المستعربة) وهى لغة قريش. فكيف نظم شاعر جاهلى مثل أمرؤ القيس وهو يمنى قحطانى شعره بلغة أهل الحجاز لا فرق بينه وبين لغة القرآن فى لفظه وإعرابه؟

سيقولون : نشأ امرؤ القيس فى قبائل عدنان وكان أبوه ملكا على بنى أسد وكانت أمه من تغلب وكان المهلهل خاله فليس غريبا أن يصطنع لغة عدنان ويعدل عن لغة اليمن، ولكننا لا نستطيع أن نثبت كل هذا التفسير إلا عن طريق هذا الشعر الذى ينسب إليه ونحن نشك فى هذا الشعر ونرجح أنه منتحل. وإذن فالبحث العلمى يدور فى حلقة مفرغة كما يقول طه حسين.

وإلى هنا قد يبدو أن أفكار طه حسين فى هذا الكتاب هى أمور تتعلق باللغة والشعر وليس لها علاقة بالدين من قريب أوبعيد. فلماذا إذن ثارت ثائرة رجال الدين والازهر وجماعات المحافظين عند صدور هذا الكتاب؟

لقد حدثت هذه الثورة لسببين: السبب الاول يتعلق بالمنهج الذى

يعتمد عليه طه حسين فى بحثه ويشرحه فى مقدمة الكتاب. فلقد أعلن طه حسين أنه سوف يعتمد منهج ديكارت أساسا للبحث فى الكتاب. والقاعدة الاساسية لهذا المنهج الفلسفى هى أن يتجرد الباحث من تحيزاته الدينية والقومية قبل الدخول فى البحث والايبالى إذا جاءت نتائج البحث مناقضة لعقائده الدينية أو القومية

«ولنجتهد فى أن ندرس الادب العربى غير حافلين بتمجيد العرب أو الغض منهم، ولا مكترثين بنصرة الاسلام أو النعي عليه، ولا وجلين حين ينتهى بنا إلى ما تأباه القومية أو تنفر منه الاهواء السياسية أو تكرهه العاطفة الدينية».

وطه حسين يعلن هذا منذ أول صفحة فى الكتاب لأنه يريد أن يريح الناس من أول الأمر حتى لايتأولوا كلامه ولا يذهبوا مذاهب شتى فى الكشف عن الاغراض التى يرمى إليها. فإذا كان من المفروض أن يعتمد البحث العلمى على قواعد موضوعية يمكن أن تتفق عليها عقول باحثين تتباين عقائدهم الدينية أو القومية فإن من الطبيعى عند طه حسين أن تعزل قضية البحث العلمى عن قضية الدين، وألا يكون لما يرد فى الكتب الدينية المقدسة حجية فى مسائل البحث العلمى.

هذا هو السبب الأول لثورة رجال الدين على كتاب طه حسين. أما السبب الثانى فيتعلق بالنتائج التى انتهى إليها البحث، وبعضها يناقض التفسيرات السائدة لبعض نصوص القرآن أو الحديث، خصوصا قصة هجرة، اسماعيل وابراهيم إلى مكة وقيامهما ببناء الكعبة. وطه حسين لايعلن هذا الخلاف فى لباقة أو حذر، وإنما يقوله فى صراحة دون مواربة.

« للتوراه أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا. ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة أو القرآن لايكفى لإثبات وجودهما التاريخى، فضلا عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة اسماعيل ابن ابراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها. ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى إثبات الصلة بين


فكرى أباظه

اليهود و العرب من جهة وبين الاسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى، وأقدم عصر يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة إنما هو العصر الذى أخذ فيه اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية ويبنون فيه المستعمرات. فنحن نعلم أن حروبا عنيفة شبت بين هؤلاء اليهود المستعمرين وبين العرب الذين كان يقيمون فى هذه البلاد، وانتهت بشئ من المسالمه والملاينة والمهادنة.

فليس ببعيد أن يكون هذا الصلح الذى استقر بين المغيرين وأصحاب البلاد منشأ هذه القصة التى تجعل العرب واليهود أبناء عم»

ولقد كان من الطبيعى والمتوقع أن تعلن اللجنة التى شكلها شيخ الازهر لبحث الكتاب أنه مملوء بروح الالحاد والزندقه وأنه دعامة من دعائم الكفر ومعول لهدم الاديان خصوصا الدين الاسلامى. ولقد طالبت اللجنة شيخ الازهر والحكومة «بوضع حد لهذه الفوضى الإلحادية خصوصا التى تنبث فى التعليم العام (أى التعليم المدنى) لهدم الدين بمعول الزندقة». على ان الذين اختلفوا مع طه حسين فى كتابه لم يكونوا جميعا منطلقين من ناحية النص الدينى والدفاع عنه كما فعل مثلا مصطفى صادق الرافعى، وإنما انطلق بعضهم من منطلقات منطقية للتشكيك فى نتائج طه حسين أو بعضها، أو لبيان التناقض فى حجج طه حسين.

من هؤلاء محمد فريد [illegible] الذى أوضح أن القرآن لم يعرض لحديث تعلم اسماعيل العربية من قحطان، إنما عرض فقط لوجودهما وهجرتهما وبناء الكعبة. وإنما الذى تعرض لتعلم اسماعيل اللغة من القحطانية هم مؤرخو اللغة. ودليل طه حسين لاينفى إلا أن اسماعيل تعلم اللغة من القحطانيين. أما وجود اسماعيل وابراهيم وهجرتهما إلى مكة وبناؤهما الكعبة وهى الامور التى عرض لها القرآن فلا ينفيها ولا يتعرض لها.

ومن هؤلاء أيضا المازنى الذى كان متعاطفا مع طه حسين فى بعض نتائج الكتاب، إلا أن الكتاب فى رأيه لم يخل من المآخذ ولم يبرأ من السقطات. ومنها مثلا تناقض طه حسين فى رفض بعض شعر امرؤ القيس وقبول بعضه الآخر مع أنه كله عدنانى قرشى.

على أن الشئ الذى يلفت نظر الباحث لهذه القضية هو روح التحدى التى كتب بها طه حسين كتابه هذا، خصوصا متى لاحظنا أنه صدر بعد عام واحد من كتاب الشيخ على عبد الرزاق «الاسلام وأصول الحكم» الذى أحدث ضجه واسعة فى أوساط الازهر ورجال الدين المشايعين لمشروع الخلافة الذى كانت تقف وراءه السراى، وأدى إلى محاكمة الشيخ أمام هيئة كبار العلماء والتى أصدرت قرارها بعزله من القضاء الشرعى وسحب شهادته الازهرية.

هل نعزو هذا إلى طبيعة طه حسين الشخصية وإلى أنه كان فى سن الشباب بحماسه وفورانه؟ هل يمكن أن يكون هذا وحده هو التفسير؟

لقد كان طه حسين فى السابعة والثلاثين من العمر عندما صدر الكتاب، ولايمكن أن نقول إن طه حسين لم يكن يقدر حدوث كل هذه الضجة حول الكتاب. فهو القائل بنفسه فى صدر الكتاب أنه يعلم أن فريقا من الناس سيلقون هذا الكتاب ساخطين عليه وأنه غير حافل بسخط الساخطين لأنه مطمئن إلى أن بحثه «وإن أسخط قوما وشق على آخرين فسوف يرضى هذه الطائفة القليلة من المستنيرين الذين هم فى حقيقة الأمر عدة المستقبل وقوام النهضة الحديثة وذخر الادب الجديد»

يبدو أنه لامناص من محاولة وضع اعتبار آخر فى تفسير موقف طه حسين هذا. فلقد كان قريبا من حزب الاحرار الدستوريين وكان من كتاب صحيفة الحزب «السياسة» فضلا عن صلته الوثيقة بمدير الجامعة لطفي السيد الذى كان هو أيضا من أقطاب هذا الحزب. ولابد أنه كان فى حسابات طه حسين أن الحزب لن يتخلى عنه، خصوصا أن الكتاب صدر فى ظروف ائتلاف وطنى بين الاحرار والوفد والحزب الوطنى. وكانت وزارة زيور قد سقطت أو على وشك السقوط، وكانت الانتخابات العامة على الابواب (مايو ١٩٢٦) و كان من المفهوم أن هذه الانتخابات التى دخلتها هذه الاحزاب الثلاثة بتنسيق كامل سوف تكون نتيجتها صفعة للقصر وقادة الازهر من المشايخ، وأن البرلمان الجديد سوف يخوض معاركه القديمة مع السراى حول الرقابة المالية على الازهر وضرورة انتزاع ميزانيته من ال

أزمة الثقة بالوزارة

ثارت معركة الكتاب فى البرلمان فى يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩٢٦ وذلك بمناسبة مناقشة المجلس لميزانية الجامعة. وتكلم عدد من النواب فى اتجاه الهجوم على الكتاب ومؤلفه ومنهم الشيخ القاياتى وعبد الخالق عطية الذى كان أول من آثار الموضوع فقال إنه ليس من المفهوم ولا المعقول ولامن حسن الذوق أن يقوم هذا الشخص (يقصد طه حسين) فيبصق فى وجة الحكومة التى يتقاضى مرتبه من أموالها بالطعن على دين رعيتها من أقلية واكثرية.

ورد وزير المعارف الوفدى على الشمسى قائلا إننا جميعا نطمع أن تكون الجامعة معهدا مؤهلا للبحث العلمى الصحيح لكن هذا لايعنى أننا نرضى أن تكون كراسى الاساتذة منابر تلقى فيها المطاعن فى أى دين وإنما واجب الاساتذة أن يتحاشوا ذلك فى كتاباتهم ومحاضراتهم. وقال على الشمسى إن حادثة الكتاب قد حصلت فى عهد الوزارة السابقة، فلما تولى الوزارة سأل مدير الجامعة عن الاجراءات التى اتبعت إزاء الحادث فأجابة بأن الجامعة قد منعت انتشار الكتاب بشراء جميع النسخ من المكتبات وحصرتها فى مخازنها كما اتخذت الاجراءات اللازمة لمنع طبع

نسخ أخرى منه. ولقد أكد مدير الجامعة أن ما يؤخذ عليه المؤلف لم يلقه على الطلاب فى الجامعة كما ظن (لاحظ أن هذا يتناقض مع ماقاله طه حسين فى مقدمة الكتاب من أنه ألقى مادة هذا الكتاب على طلابه)، وأن المؤلف صرح على صفحات الكتاب بأنه مسلم ولم يقصد الطعن فى دين من الاديان.

أما فيما يختص بأى إجراءات أخرى (يقصد التحقيق مع المؤلف) فقد قال الوزير إن المؤلف قد سافر الى أوروبا منذ شهر يونيو عقب تأليف الوزارة مباشرة وأنه يستحيل اتخاذ اجراءات فى غيابه، ووعد الوزير ببحث المسألة بعد عودته وإفادة المجلس.

وكان من الواضح أن الوزير يحاول كسب الوقت بأمل أن تهدأ الامور فى أوساط النواب. لكن بعض النواب كانوا مصممين على عدم تأجيل الامور. فتقدم نائب الجمالية الوفدى عبد الحميد البنان باقتراح للعرض على المجلس قرأه رئيس المجلس سعد زغلول ويقوم على ثلاثة أجزاء مصادرة الكتاب وإعدامه، تكليف النيابة العمومية برفع الدعوى ضد المؤلف، ثم إلغاء وظيفة طه حسين من الجامعة.

وتكهرب الجو. كانت هذه هى الوزارة الائتلافية التى يرأسها عدلى يكن ويرأس مجلسها النيابى سعد زغلول، وكانت الوزارة تضم ممثلين لاحزاب الوفد والاحرار والوطنى. وكان من الواضح أن الاحرار الدستوريين لن يسمحوا باتخاذ مثل هذه الاجراءات العنيفة مع واحد من مثقفيهم مثل طه حسين، فضلا عن أن بعض نواب الوفد والحزب الوطنى ووزرائهما لن يكونوا راضيين عن مثل هذه الاجراءات التى اقترحها عبد الحميد البنان.

وتقدم رئيس الحكومة عدلى يكن وألقى بيانا فى المجلس قال فيه إن الحكومة قد اتخذت كل الاجراءات اللازمة وأنه يفهم أن يظهر المجلس استياءه من الكتاب. أما أن يتخذ المجلس قرارا يخالف ما اتخذته الوزارة من إجراءات أو يلزمها بالقيام بعمل معين زيادة على مافعلته وما وعد به وزير المعارف فيكون هذا انتقادا لاجراءاتها فى الموضوع يعرضها للمسئولية الوزارية.

واحتبست الانفاس وسأل رئيس المجلس (سعد زغلول) رئيس الحكومة (عدلى يكن) إن كان هذا يعنى طرح الثقة بالوزارة فأجاب بالإيجاب.

وبدأت معركة كلامية علنية بين رئيس المجلس ورئيس الحكومة، وكان مايعنى رئيس المجلس هو سلطات المجلس فى محاسبة الحكومة واتخاذ مايراه من اجراءات أكثر من عنايته بقضية الكتاب ذاته، بينما كان عدلى يكن يهدد فى حقيقة الأمر بفض الائتلاف إذا وصلت الامور الى هذا الذى يطلبه النائب عبد الحميد البنان. وكان موقف وزير المعارف أقرب إلى موقف عدلى يكن وإن لم يكن صريحا

وتدخل النائب فكرى أباظة منبها إلى أن مصادرة الكتاب لاتتم إلا بحكم قضائى واقترح تأجيل النظر فى اقتراح عبد الحميد البنان إلى أن يطلع المجلس تفصيلا على إجراءات الحكومة. وقال سعد زغلول فى انفعال واضح ووسط تصفيق حاد «لايمكننى أن أرأس هذا المجلس إذا لم يكن هذا من اختصاصه».

ولما بدا أنه لايوجد حل وسط كل هذه الضجة الكلامية تقدم أحمد ماهر باقتراح رفع الجلسة لمدة عشر دقائق للاستراحة. ووافق سعد الذى ذهب الى مكتبه فى المجلس وتبعه عدلى يكن وحسين رشدى (رئيس مجلس الشيوخ) وبقيا معا فى مكتب سعد وانضم إليهم آخرون بحثا عن حل وكان من الواضح أنهم قد أقنعوا سعد زغلول بالذهاب الى منزله باعتبار أنه مجهد على أن يتولى مصطفى النحاس رئاسة المجلس فى غيابه حيث يتقرر التأجيل إلى اليوم التالى.

وهذا ماتم بالفعل. وإثر رفع الجلسة الساعة العاشرة والربع مساء ذهب إلى بيت الأمة أقطاب الحكومة والمجلس وانضم إليهم فتح الله بركات (ابن شقيقة سعد زغلول وواحد من أقرب المقربين له) ومحمد محمود، وظل الجميع فى مداولات فى بيت الامة إلى مابعد منتصف الليل وقال الوزراء للصحفيين عند خروجهم من بيت الأمة إن الحادث سوى وانتهى وأصبح كأنه لم يكن.

ثم اتضح أن التسوية قامت على أن يقوم عبد الحميد البنان شخصيا



سعد زغلول



على عبد الرازق

بتقديم ببلاغ الى النائب العام يطلب فيه التحقيق مع مؤلف الكتاب. أما عن المصادرة فهى مؤجلة الى حين انتهاء التحقيق. أما إلغاء وظيفة طه حسين فقد اكتفى النائب بتصريح رئيس الوزراء ووزير المعارف بالنظر فى هذه المسألة وبحثها بما تستحقه من عناية

وفى صباح اليوم التالى وقف النائب الوفدى ليعلن تنازله عن اقتراحه القديم ويشرح أسباب ذلك. وهكذا انتهت أزمة كادت أن تعصف بالحكومة الائتلافية الجديدة.

بقى أن نقول إن النيابة قامت بالتحقيق مع طه حسين عند عودته من أوربا وأنها حفظت التحقيق فى نهاية الأمر، وقام قرار حفظ التحقيق على أساس أن عنصر القصد الجنائى غير متوفر، فلكى يعاقب المؤلف لابد أن يثبت أنه بما كتب قد أراد أن يتعدى على الدين، وهو مالم يثبته التحقيق.

كتب الدكتور جابر عصفور فى عدد الهلال الاخير مقالا بعنوان (أوراق العمر للويس عوض) تعرض فيه لكتاب الشعر الجاهلى فذكر أن التهمة ضد طه حسين قد حفظها وكيل نيابة مستنير ودافع عنها وزير معارف مستنير (على الشمسى).

واعتقد أن هذا القول تنقصه الدقة، نعم لقد حفظ وكيل النيابة التحقيق فى مارس سنة ١٩٢٧ بحجة أن القصد الجنائى غير متوفر، لكنه حشد قرار الحفظ بالتهجم على طه حسين واتهامه بالجهل والتناقض، إلى درجة أن طه حسين قدم استقالته من الجامعة عقب صدور قرار الحفظ لمافيه من إهانة له، وبادر مدير الجامعة (لطفى السيد) إلى تلافى الأمر بحمل وزير المعارف على رفض الاستقالة ففعل، وقد طبع الكتاب ثانية بعد حذف ما أنكره البعض باسم «فى الادب الجاهلى».

ولاشك أن قرار النيابة بحفظ التحقيق لم يكن سببه الاساسى هو هذا الدفع الشكلى الذى ذكر عن عدم توفر القصد الجنائى، وإنما كان سببه الاساسى هو أنها كانت تدرك أن أى قرار آخر سوف يؤدى إلى أزمة وزارية لاتحمد عقباها، وهى مالايمكن أن تتحمل النيابة عواقبه.

أما وزير المعارف فإنه لم يدافع عن الكتاب وإنما حاول كسب الوقت وتهدئة الامور، لكنه بالقطع لم يكن مستعدا لاتخاذ اجراءات ضد طه حسين.

وكتبت الاهرام صبيحة يوم اجتماعات بيت الامة وانتهاء الازمة بين الوزارة والمجلس تقول :

«لاشك أنه كان مما يؤسف له كثيرا أن ينتهى الدور البرلمانى الحاضر بخلاف يقوم حول مسألة كمسألة أمس بعد أن سار مجلس النواب والوزارة فى مختلف شئون الدولة الخطيرة بتمام الاتفاق والوئام، وأن تثير الحكومة مسألة الثقة بسبب كتاب سلمت هى بضرر مافيه، كتاب نعرف أن الغالبية العظمى من الأمة لاترضى عنه ولاعن مؤلفه»

لكن التاريخ كان له حكم آخر على طه حسين غير هذا الذى قالته الاهرام...

د. عبد العظيم أنيس

ـبيسترويكا.. (٢) بقيه

– حالما يصبح ممكنا الحديث عن الحرية، فان ـرية في حد ذاتها ستكف عن الوجود وتكون في ـنها الي الذبول.

ومرة أخرى نجد أن ماركس وانجلز يتوقفان عن ـستطلاع آفاق المستقبل البعيد، حول شكل ـبمقراطية في ظل الدولة الاشتراكية، ربما لأن ـطيات الاستنتاج لم تكن متوافرة، وربما لأن ـرية سوف «تذبل» على آية حال.

واكتفى ماركس وانجلز على التأكيد على ـقواعد والضوابط التى طبقت فى الكوميون.. ـتى لن نمل من تكرارها

– حق انتخاب جميع شاغلى المسئوليات: ـمديرين، قضاء، موظفين..الخ

– حق سحب الثقة منهم في أى وقت.

– أجر الحكام يساوى أجر العامل العادى.

– كل المندوبين يشاركون فى التشريع ـتنفيذ معاكى لاتوجد فئة من المندوبين «تمثلنا ـتحكم فينا فى آن واحد»

– كل المندوبين يحكمون لبعض الوقت كى ـلا يتحول البعض الى حكام لكل الوقت.

– مؤسسات القهر: الجيش والبوليس تحل ـتختفى ويحل محلها الشعب المسلح.

لكننا قد تحدثنا من قبل عن أستحالة تطبيق ـهذه القواعد فى ظل دولة مستقرة تواجه مؤامرات ـوتدخلات من العدو الخرجى، ومؤامرات من ـالداخل.. وتواجه أيضا مهاما وواجبات لايمكن أن ـتنهض بأعبائها مندوبون يعملون في جهاز الدولة ـبعض الوقت، أى يحكم كل منهم لبعض الوقت.

.. وتمضى تجربه كوميون باريس بمحدوديتها ونصل الى مشارف التجربة الثورية في روسيا.

ويكتب لينين الى عمال أوربا وأمريكا «أن كل دولة، بما فيها الجمهورية الأكثر ديمقراطية ـليست فى الجوهر الا آلة قمع فى يد طبقة ضد ـطبقة أخرى، والدولة البروليتارية هى آلة قمع فى ـيد البروليتاريا ضد البرجوازية وهذا القمع ضرورى ـلمواجهة القوى المسعورة والشرسة والتى لاتتورع ـعن ارتكاب أى فعل.. عندما نبدأ فى انتزاع ـملكيتها

وقد حرص لينين على أن يحذر من المفهوم ـالليبرالى الكامن فى شعار «الجمهورية ـالديمقراطية» والذى قد يعنى أن تكون جمهورية ـبرلمانية أى أن تنتخب الجماهير ممثليها الى البرلمان وتنصرف تاركة اياهم ليقوموا بالدور الذى وصفه ماركس: بأنهم يمثلون الشعب ويقهرونه فى آن واحد، وأكد لينين على ضرورة الربط بحسم بين ـالجمهورية الديمقراطية وبين شعار «كل السلطة ـللسوفييت «وقال» أن مجالس السوفيتيات هى شكل أرقى من الجمهورية الديمقراطية

وأكد لينين «أن مصدر السلطة ليس هو ـالقانون الذى يقره برلمان منتخب وانما هو المبادره المباشرة للجماهير الشعبية من القاعدة

.. ويتخذ لينين ذات النموذج الكوميونى دليلا ومرشدا «أن مشكلة حيوية وملحة تواجهنا هى مشكلة تنظيم وادارة الدولة، ولايكفى مطلقا أن نبشر بالديمقراطية، ولايكفى أن نعلن تمسكنا بها، أو أن نصدر بها مرسوما، ولايكفى أن نعطى لممثلى الشعب توكيلا بالدفاع عنها، أو بتنفيذها، أن الديمقراطية يجب أن تبنى على الفور من أسفل، من خلال مبادرات الجماهير ذاتها، من خلال مشاركتها الفعالة فى كافة مجالات نشاط الدولة، ودون أى اشراف من أعلى ودون أى تحكم بيروقراطى

.. ويتجسد التأثير الكوميونى فى كتابات لينين خلال الايام الأولى للثورة..

فيقول «يكمن الطابع الاشتراكى للديمقراطية السوفيتية، البروليتارية، كما تطبق على وجه التحديد اليوم، فى حقيقة أن الناخبين هم الجماهير العاملة وأن البرجوازية مستبعدة «ويمضى قائلا» وهدفنا هو أن نضمن أن كل كادح بعد أن ينهى واجباته عبر ثمانى ساعات من العمل المنتج، سيقوم متطوعا بواجبات الدولة دون أجر، والانتقال الى ذلك صعب للغاية لكنه وحده هو الذى يضمن التوطيد النهائى للاشتراكية

ويقدم لينين الوجه الأخر للممارسة الديمقراطية.. ويلح عليه أكثر من مرة «دولة البرجوازية هى دولة ديمقراطية الاستغلاليين، أما دولتنا دولة الذين عانوا من الاستغلال، فهى ديمقراطية لأصحابها وأداة قمع لخصومهم، وقمع طبقة يعنى انعدام المساواة لتلك الطبقة واستبعادها من الديمقراطية

ونعود مرة أخرى لنتوقف، ونتأمل، ونستخلص ما هو عام..

– لينين يؤكد على كل مقاولات ماركس، فالدولة الأكثر ديمقراطية هى فى الجوهر أداة قمع للخصوم الطبقيين.

– ويربط شعار الجمهورية الديمقراطية بشعار «كل السلطة للسوفييت»

– ويستند الى المبادرة المباشرة للجماهير الشعبية.

– وواجبات الدولة يقوم بها متطوعون بدون أجر بعد أن ينتهوا من أداء ثمانى ساعات يوميا من العمل المنتج.

– أن قمع طبقة يعنى انعدام المساواة معها واستبعادها من الديمقراطية.

بهذه المفاهيم ترك لينين الدولة السوفيتية الوليدة فى يد ستالين. الذى سرعان ماخلط بين العدو الطبقى (البرجوازية) وبين الخصم السياسى (المعارضة داخل الحزب) واستخدم آلة القمع ضد كل معارضيه.

وبهذه المفاهيم ترك لينين دولة قارية المساحة والسكان والقوميات والمشكلات لايمكن بأية حال أن تدار مهامها بالمبادرات الشعبية من القاعدة، دون أدنى اشراف من أعلى، ولايمكن أن تدار مهامها بالتطوع من قبل أفراد متحمسين بعد أن يؤدوا ثمانى ساعات عمل منتج يوميا.

وهكذا فان الواقع العملى قد فرض نفسه، وتمركز جهاز الدولة واستقر واكتسب بيروقراطية عتيدة وثابتة الأركان وأدار آلة القمع ضد مبادرات الجماهيرذاتها..

كذلك فان تناقضات عديدة قد برزت..

– فثمة تناقض بين مبادرات الجماهير من القاعدة– ودون أدنى رقابة من أعلى– كما أكد لينين وبين ضرورة التخطيط المركزى الذى هو احد أركان ومزايا الحكم الاشتراكى.

– كذلك فان الملكية العامة لوسائل الانتاج هى ملكية غير ملموسة، فالعامل يقرأ أو يسمع عن الملكية العامة لمصنعه، لكنه لاينال فعليا سوى أجره، ولايمارس فعليا لابشكل كامل ولابشكل جزئى دور صاحب العمل.. (برغم الحفاظ على بعض الشكليات).

ولعل الفارق الجوهرى الذى تمنحه الماركسية للملكية العامة لوسائل الانتاج، هو الرقابة الشعبية، والمشاركة الشعبية المباشرة.. وهو ماجرى تجاهله سريعا، ومن ثم عاد «الاغتراب» الى العلاقة بين العامل وبين عملية الانتاج.

وتعتبر الماركسية أن «الاغتراب» هو أحد نتائج المجتمع الطبقى «حيث يستشعر الانسان اغترابا عن نشاط المجتمع وعن ثمار هذا النشاط، وفى الميدان الاقتصادى يتجلى الاغتراب فى تحول العمل الى شىء قسرى والى نشاط مفروض على الانسان

.. ولعل هذا يفسر لنا انخفاض معدلات الانتاج فى البلدان الاشتراكية. ذلك أن الرأسمالى يستخدم القهر والردع من أجل زيادة الانتاج، وكانت الاشتراكية تطمح الى ازالة حالة الاغتراب، بل وكانت تطمح كما قال انجلز «ان تثمر الاشتراكية جيلا يكون قادرا على أن ينبذ كل سقط متاع الدولة»

لكن افتقاد الديمقراطية، وافتقاد المشاركة الشعبية أعادا حالة الاغتراب.. تلك الحالة التى تتجسد أمامنا اليوم فى التنكر لدور الحزب الشيوعى، وفى التحركات المتلاحقة والتى تعبر عن كبت طال أمده. والتى تجسدت من قبل وطوال الفترة الماضية فى حالات التراخى فى العمل وفتقاد الحماس الثورى لدى المنتجين، ومن ثم النقص فى معدلات الانتاج..

.. وكالعادة فان استقرار جهاز الدولة، واستقرار بيروقراطيته، وتحكمها، واكتسابها مزايا ومميزات بغير حصر، قد جعلها قادرة على تطويع المفكرين، ودفعهم الى تقديم مقولات تكتسى بكساء النظرية لتبرير بيروقراطيتهم وتسلطهم..

.. هكذا أعطى الحكام البيروقراطيون لانفسهم كل السلطة التى افترضت الماركسية انها لجماهير الشعب.. بل وأعطوا لأنفسهم الحق فى تصنيف ارادة الجماهير الى ارادة صحيحة وارادة كاذبة..

<<———

بل ان أنبل الأفكار الماركسية والتى أرادت ألا تعطى للمندوبين المنتخبين القدرة على التسلط على تجاهل ارادة الجماهير، تلك الفكرة التى أكدت على ضرورة ألا يتفرغ المندوبون المنتخبون دائما يواصلون عملهما اليومى المنتج لثمانى ساعات، ثم يمارسون ادارة الدولة بعد ذلك.. هذه الفكرة تحولت الى أداة لتجاهل الهيئات التمثيلية.. ويهلل ستراشون لذلك قائلا «وحيث ان البرلمانات الاشتراكية لاتتألف بين برلمانيين متفرغين فانها لايمكنها أن تعمل بلا انقطاع على مدار العام.. ومن ثم تقع بين دورات اجتماع البرلمان فترات انقطاع طويلة تمارس فيها الكثير من صلاحياتها هيئات أضيق

.. مرة أخرى نعود لنلاحظ:

– أن تجربة الكوميون قد تسلطت على أفكار ماركس وانجلز ولينين وهى تجربة لم تكن ملائمة على الاطلاق لاعادة تطبيقها فى ظل ظروف موضوعية مختلفة تماما الاختلاف.

– لم يطرأ أى تطوير على نظرية الحق الماركسية، بل لعل الحكام قد استراحوا الى المقولات المثالية غير الصالحة للتطبيق العملى..

والتى تتحول الى هياكل شكلية إن وضعت موضع التطبيق واكتفوا بذلك كسبيل لتعزيز سلطتهم البيروقراطية.

ومرة أخرى نعود فنقرر.. أن الماركسية لم تقدم تصورا متكاملا لنظرية الحق فى الدولة الاشتراكية لأنها تصورت «ذبول الدولة»، واكتفت بنتائج، تجربة الكوميون، وهى نتائج لم يتم اختبار فعاليتها فى الواقع العملى لفترة كافية.

ونعود أيضا لنقرر الحاجة الملحة لنظرية جديدة متكاملة للحق فى الدولة الاشتراكية.. جديدة تواكب الواقع الموضوعى ولاتحصر نفسها فى اطار تجربة الكوميون التى كانت بذاتها تجربة محدودة.

وجديدة بمعنى أن تستفيد من كل دروس الماضى وأخطائه، وتحدد الضمانات الكفيلة بصيانة حقوق الجماهير فى فرض اراداتها (أيا كانت هذه الارادة كاذبة أم صادقة فى نظر الحكام) وفرض مشاركتها وفرض رقابتها..

ومتكاملة بمعنى ألا تكتفى بشعارات عامة تبدو من فرط عموميتها وكأنها مثالية كتلك الشعارات التى شكلت نظرية الحق الاشتراكية التى أشرنا اليها مرارا، والتى كان من المستحيل وضعها موضع التطبيق الفعلى..

ويبقى من هذه الدراسة قضية الدور القيادى للحزب.

ونتناولها فى العدد القادم.

د. رفعت السعيد

القلعة [بقية ص ٢٩]

خلوها من أيه حراسه نسائيه.. ومارس ضباط المباحث مرداتهم المستعاره.. وزيف المشاعر.. تحكى فريدة النقاش عن ضابط المباحث الذى فاجأ زنزانتها هى وزميلتها يسعى فى تودد بليد.. هل يمكن ان افعل شيئا؟ كانت حياة قد القى القبض عليها وهى فى حاله نزيف هددها بالموت.. كنت ألاحظ فى داخل نفسى: ان تترك هذه المهنه اذا كنت مهموماً حقا اما فوزيه مصطفى «فقد قالت بجرأة: اخلع هذه النجوم القذره ويمكنك ان تعيش سعيداً.. كنت اريد ان امسك بلحظه ندم او تأمل يقع فيها هذا الضابط الشاب لكننى لم أفلح ابداً.. طلبت اليه ذات يوم ان يعطينا جريدته فذهب ثم عاد بسرعه حاملاً نسخاً كثيره من مجلة اكتوبر قائلاً ان الصحف لم تصل.. وكنا نعرف انه يكذب ولاول مره أدركت ان مجلة اكتوبر يمكن ان تصلح ماده للتثقيف الرجعى! ... وبرغم ان التحقيق هو جزء من مرحله قضائيه من حق النيابة العامة وحدها فالنائب العام ووكلائه فى دوائر اختصاصهم- وفقاً للقانون – حق الدخول فى جميع اماكن السجن للتحقيق.. لكن المباحث العامة تتجاوز القانون حين تحتكر المشهد القضائى وتصر على ان تكون الخصم والحكم حين تسمح لنفسها بسلطه الاستجواب أو حضوره فى مبنى النيابة العامة أو بسلطه الاستجواب الموجهة للحصول على اعترافات المعتقلين داخل سجن القلعة.

* هل يوجد فى المصطلح القانونى سجن باسم سجن الاستجواب المركزى؟ وهل يحق للمباحث العامه ممارسة الاستجواب؟ يقول د. عصمت سيف الدوله: – لايوجد فى مصر كلها اى سجن يخضع لسلطه المباحث بما فيها سجن القلعة وليس من حق أحد ممارسة التحقيق الا النيابه.. ولايوجد فى القانون سجن للاستجواب.. وكل استجواب داخل السجن هو استجواب غير قانونى لايستطيع أحد إثباته والبرهنة عليه.. وكل ممارسة مباحثيه داخل سجن القلعة هى مخالفه لقوانين السجون رسمب لكن رجال المباحث يحضرون التحقيق.. ويقومون بالاستجواب داخل القلعة ويمارسون ماهو أفظع من انتزاع الاعتراف وهو التعذيب. هكذا كان سجن القلعة البوابه السوداء للاخوان المسلمين ١٩٥٦ ويحكى «احمد رائف» عن التحقيق المميت للاخوان فى هذه الفتره.. حيث كان الشخص المعتقل يذهب عدواً الى مكان التحقيق ولابدله ان يقف عارياً امام المحقق وعليه ان يخلع ملابسه اثناء عدوه سريعاً بينما السياط تلاحقه من كل جانب ليوفر على نفسه علقه الافتتاح. اكثر من يومين يمكث المعتقل فى التحقيق عارياً وعند عودته لزنزانته لايمكنه احد من البحث عن ملابسه فى طريقه فأما ان يجدها مصادفه وقد تلوثت وتمزقت او لايجدها ويذهب عارياً الى الزنزانه. ... حين تكون الجريمة رأيا.. ورأيا سياسيا لايكون السجن فقط حصاراً لكل صاحب رأى.. بل يكون القانون ايضا حصاراً حين لاتكفى خلاله صلاحية القضاء.. وتستحيل اقامة العدالة.. هكذا عرف الشيوعيون والناصريون والاخوان المسلمون والقوميون بل والحكام ايضا زنازين القلعة فى قضيه (انصار الطليعة العربية) ١٩٧٢ بدأ الضابط المحقق ضحلا امام د. عصمت سيف الدوله صاحب (اسس الاشتراكية العربية)، الطريق الى الاشتراكية العربية) (نظرية الثورة العربية)

* انت متهم بانشاء تنظيم مناهض للمبادىء الاساسيه للنظام الاشتراكى كانت اجابه د. عصمت فى مبالغتها- كاشفه للتناقض الحاد فيمن يحاكمون الاشتراكية دفاعاً عن الاشتراكية.. «اننى صاحب المبادىء الاساسية للاشتراكية العربية ومفكرها الوحيد!» ... كانت هنا قلعة مازالت قائمه شهاده على التاريخ والحضارة.. شهاده جماليه على عبقريه العماره الاسلامية. شهاده عسكريه على عبقريه العماره الحربية. وشهاده سياسيه على الحكم والمحكومين. وكان هنا سجن أحيل الى متحف تجلس فى زوايا زنازينه تماثيل خشبيه للمعتقلين فى كل عصر.. معتقل الدوله الايوبيه.. ومعتقل الدوله المملوكيه ومعتقل من الدوله العثمانيه. ثم رجل يرتدى نظاره سميكه ويمسك بكتاب بين يديه..نموذج لمعتقل العصر الحديث.. انهم المثقفون.. اصحاب الرأى اخطر خصوم الدولة.

عبلة الروينى

مع أن العلاقات العربية العربية، آخر حلاوة، وفى منتهى الانسجام، فقد لزم النظام العربى الصمت التام، تجاه التهديدات التى وجهها الرئيس الأمريكى «بوش» إلى ليبيا، بسبب اسطوانة مصنع «الرابطه» المتهم بانتاج الغازات السامه، حتى انتهت هذه التهديدات بتخريب المصنع.

وبالسؤال عن سبب صمت الانسجام العربى عن تهديدات «بوش»، قال لى مسئول كبير:

– ما أنت عارف.. العرب كلهم «بوش»!

«المصرى أفندى»

ليتوانيا الصغيرة إلى أين ... [illegible]

نوسين من الاستقلال، وان امكانيات الحركة الشعبية أكبر من تنازلات «برازوسكاس» الذى أراد أن يكون ليتوانيا لانشقاقه وسوفيتيا لبقائه شيوعيا!. لكن تلك الخطوة لم تكسبه تأييد الليتوانيين ولامنعت عنه غضب القيادة السوفيتية. وصرح جورباتشوف بعد اجتماع طارئ للجنة المركزية لبحث قرار الانشقاق الحزبى قائلا: «يجب ألا تكون هناك أوهام بشأن نوايا المركز ولا قدراته»!. وفى نفس الاجتماع قررت اللجنة المركزية ايفاد جورباتشوف شخصيا الى ليتوانيا فى يناير ١٩٩٠ لاقناع الليتوانيين بالتعقل. وسبقت الزيارة كما لحقتها مختلف انواع التحذيرات. فأرسل «فاديم ميدفيديف»- مسئول الشئون الايديولجية فى الحزب- برقية للحزب الليتوانى يقول لهم فيها: «انكم فى حالة خروج حزبكم سوف تنسحقون سياسيا». وبعد ذلك سافر الى ليتوانيا وفد من أعضاء المكتب السياسى لعلهم يفلحون فى تهدئة الأوضاع، دون جدوى. بل ان «برازوسكاس» أخذ يمعن فى «ليتوانيته» فاتخذ عدة قرارات تؤكد الاستقلال مثل حرمان أفراد القوات المسلحة السوفيتية المتواجدة فى ليتوانيا من حق التصويت فى الانتخابات» واضطر جورباتشوف شخصيا للقيام بزيارة الى «فيلنوس» فى ١١ يناير. فقال له «برازوسكاس» مرحبا به: «هاهى ليتوانيا ترى السكرتير العام للحزب لأول مرة منذ خمسين عاما»!. وواجهته المظاهرات واليافطات فى كل مكان تطالب بحرية واستقلال ليتوانيا، حتى أنه قال لهم: «لقد واجهنا الليتوانيون فى كل مكان وهم يصيحون فى جوقة واحدة «الحرية لليتوانيا» وقد استمعنا الى ذلك الصياح.. والان .. ماذا بعد؟». وفى تلك الزيارة طرح جورباتشوف برنامجا معقولا يستبعد الانفصال ويدعو لتوسيع الديمقراطية داخل الحزب والأحزاب فى الجمهوريات، والعمل على تطوير الاقتصاد السوفيتى والليتوانى، وتوسيع الاستقلالية الاقتصادية والسياسية لليتوانيا، مع البحث فى نفس الوقت عن أشكال وصيغ جديدة لاغناء المضمون الديمقراطى لاتحاد الجمهوريات. وكان ذلك موقفا وسطا لحل أزمة معقدة بالفعل. وفى مواجهة الجوقة التى تنادى بالاستقلال صاح بهم جورباتشوف: «أذكركم بحقيقة واحدة، وهى أن رؤوس الأموال الأجنبية قبل الثورة بلغت فى ليتوانيا ٥٧٪ من رأس المال الليتوانى.. ولكنكم مصرون على الصياح الاستقلال ... الاستقلال..» وفى هذه الزيارة وقف «برازوسكاس» ليشرح فى كلمة مطولة أمام جورباتشوف دوافعه للانشقاق عن الحزب السوفيتى قائلا «ان التبعية الحزبية تتناقض مع الاستقلالية الاقتصادية. وان استقلالية الحزب وحدها هى القادرة الآن على كسب الجماهير الى صفنا. وتروج الصحف لفكرة أن استقلال ليتوانيا هو خيانة للبيرسترويكا. ولكن أحدا لم يسأل نفسه: لماذا لاتود شعوبنا الاستمرار فى ذلك الاتحاد؟. وأول أسباب الحركات الاستقلالية هو السياسة القومية غير العادلة التى مورست وتمارس حتى الآن تجاه القوميات الأخرى، والتى منحت بعض القوميات الامتيازات على حساب قوميات أخرى. وثانيا فأن هناك ظروفا تاريخية محددة ضُمت فيها ليتوانيا الى الاتحاد السوفيتى، وقد داست هذه الظروف الكرامة والعزة القومية لأبناء ليتوانيا. وثالثا فأن تجربة التنمية الاقتصادية على النمط الستالينى قد أثبتت فشلها، واتضحت أزمة الشيوعية الطوباوية التكنوقراطية التى أهدرت الديمقراطية والعدل، ولم تنفذ وصايا لينين الخاصة بحق الأمم فى تقرير مصيرها.» ولم يعد أمام جورباتشوف فى نهاية هذا اللقاء الذى أذاعة التليفزيون مباشرة إلا أن يقول لهم: «لقد دعوتكم للتفكير فى مصير ليتوانيا، ولن أكون كاثوليكيا أكثر من الكاثوليك، ولن أكون ليتوانيا أكثر من الليتوانيين». وصرح جورباتشوف حينذاك بعبارة واحدة أوجزت ولخصت الموقف الرسمى للقيادة حين قال: «إما أن تكون ليتوانيا داخل الاتحاد السوفيتى، أو يكون الاتحاد السوفيتى فى ليتوانيا»! وبعودة جورباتشوف من ليتوانيا الى موسكو تبخر الحل الوسط الذى تقدم به، كما تبخر حل «برازوسكاس» الوسط هو الآخر فى حرارة الموقف الشعبى الذى اندفع نحو منظمة «سايوديس». ولأن الأحداث لاتخلو من جوانب طريفة، فقد شهدت الساحة السياسية الليتوانية نشأة حزب جديد شيوعى بزعامة «فلاديسلاف شفيتس»، مطلبه الأساس مواصلة البقاء داخل الاتحاد السوفيتى. فلم يحصل على صوت واحد فى الانتخابات الأخيرة التى قادت «لاندسبيرجيس» الى السلطة والبرلمان واعلان الاستقلال

وهناك عاملان قد مكنا ليتوانيا- دون غيرها من الجمهوريات- من قطع ذلك الشوط من هذا الطريق الصعب. أولهما ماتميزت به من تجانس قومى، فقد غلب على تركيبتها العنصر الليتوانى ٨٢٪ من السكان، على العكس من لاتفيا مثلا التى تصل نسبة القوميات الأخرى بها الى ٤٠٪، وقد ساعد ذلك على توحيد حركة المعارضة كما منحها الحق فى الحديث والحل والربط باسم «الأمة». والعامل الثانى هو موقف دول الغرب وخاصة أميركا التى ظلت ترفض الاعتراف بشرعية وجود ليتوانيا داخل الاتحاد السوفيتى على أساس انها ضُمت بالقوة ونتيجة لمعاهدة ٣٩ والملاحق السرية التابعة لها. وزاد الطين بلة إدانة مؤتمر نواب الشعب السوفيتى لهذه الملاحق صراحة. وبذلك توفر لحركة المعارضة قرار سوفيتى باحتلالها علاوة على الاقرار الأميركى والأوروبى السابق. ووفر ذلك لليتوانيا وضعا دوليا خاصا ووفر عليها الكثير. وقد روجت الحركة القومية الليتوانية لهذه الوثيقة وصبت منها التبرير على شرعية بقائها فى الاتحاد

وفى نفس الوقت تطلعت منظمة «سايوديس» لاحتضان الغرب وترقبتها بأمل كبير سرعان ماخيبه مجرى الأحداث. ويمكن رصد ذلك الاحتضان الغربى لليتوانيا اذا عرفنا أن مسئول القسم الصحفى بالبيت الأبيض قد حيا الخطوة الاستقلالية لليتوانيا، بينما صرح الرئيس الأميركى بوش عند وقوع أحداث باكو فى أذربيجان بقوله أنه لايمكن أن يلوم الرئيس السوفيتى على ماجرى، لقد كان الضرورى فرض النظام على باكو!. ذلك أن أميركا تعرف أن جمهوريات بحر البلطيق ستتحرك فى فلك الغرب ان هى انفصلت، أما أذربيجان فسوف تشدها روابط تاريخية وثقافية كثيرة نحو الشرق.

ومع تراجع الحلول الوسطية الى الخلف، أخذت منظمة «سايوديس» تندفع للأمام بزعامة البروفيسور «لاندسبيرجيس». وكشف استطلاع للرأى العام- فى نوفمبر٨٩- عن أن ٤٨٪ من السكان من مؤيدى «سايوديس» و ١٢٪ من مؤيدى الحزب الشيوعى. وفى الرابع والعشرين من فبراير هذا العام بدأت المعركة الانتخابية لمجلس السوفييت الأعلى فى ليتوانيا. وفى ١٢ مارس انتهت بفوز «سايوديس» بأكثر من تسعين مقعدا برلمانيا (من أصل ١٣١ مقعدا)، وحصول «برازوسكاس» على ٣٨ صوتا، إما «فلاديسلاف شفيتس» فقد سكت عنه الناخبون، ولأن السكوت علامة الرضى، فقد انصرف الرجل مسرورا دون نتيجة تذكرا. وكانت الجماهير من الناخبين- كما رأينا فى التليفزيون السوفيتى- تقف أمام مدخل البرلمان وهى تحمل اليافطات التى كتب عليها: «فلنتحد ولكن من دون الشيوعيين»، و«مع الشيوعيين ينهدم المستقبل» الخ.

وبوصول «لاندسبيرجيس» الى زعامة البرلمان- علنا دون أن يعترض أحد على مجرى الانتخابات - تعلقت أنفاس القيادة السوفيتية بما سيقوله، كما راح الجميع يتابعون مايجرى فى ليتوانيا. هل تخرج؟ هل تبقى داخل الاتحاد؟ هل يجد «لاندسبيرجيس» حلا وسطا؟. لكن «لاندسبيرجيس» أعلن فى اللحظات الأولى من فجر الاثنين ١٢ مارس بيان البرلمان ووثيقة الاستقلال

وكانت منظمة «سايوديس» وزعيمها «لاندسبيرجيس» تعلق أملها كله على اعتراف الغرب بها، وعلى كل كلمة ينطق بها راديو «صوت أميركا» و«صوت الحرية» وكل تلك الاذاعات. واعتقد «لاندسبيرجيس» أنه يهادى أميركا بزهرة ليتوانية بلا أشواك. ولكن أحدا لم يعترف بالاستقلال الليتوانى سوى النمسا واوستراليا

<<

وتشيكوسلوفاكيا شعبيا فقط، دون تبادل دبلوماسي، عملا بالمثل القائل «العين بصيرة واليد قصيرة». واكتفت أمريكا كخطوة لجس نبض موسكو بتحية الاستقلال فحسب! كما علقت الدول الأوروبية كلها اعترافها بليتوانيا على «اللحظة التى تتمكن فيها السلطة الجديدة من السيطرة الكاملة على الموقف الداخلى» بل وعلى «اعتراف موسكو بالاستقلال الليتوانى»!

وكان أول ردود الاتحاد السوفيتى هو بيان أدلى به «ماسليكوف» للصحف فى العاشر من مارس حيث كان واضحا أن «سايوديس» ستفوز فى الانتخابات. وأشار «ماسليكوف» وهو عضو بالمكتب السياسى الى ثلاثة مخاطر تتهدد ليتوانيا ان خرجت

أولا مشكلة الحدود. فقد ضم الاتحاد السوفيتى بالفعل الى ليتوانيا مساحة كبيرة من أراضى جمهورية «بيلاروسيا»، وأيضا هناك ميناء «كلايبنا» ولاتحدد الخرائط السوفيتية تبعيته!!

وثانيا فان مشكلة اقتصادية كبيرة ستبرز فى حالة خروج ليتوانيا. فهناك المصانع التى تقع فى ليتوانيا ولكنها تخص الاتحاد السوفيتى بأكملة، ومنها مصانع وحيدة من نوعها تحتكر انتاج سلع معينة مثل عدادات الكهرباء، وقطع غيارات التليفزيون، ومدافئ الحرارات، وغير ذلك. وبها أيضا صناعات هامة- ليست الوحيدة من نوعها - مثل بناء السفن، والصناعات الكهربائية، والالكترونيات الدقيقة، والصناعات الكيماوية، ومعامل ضخمة لتكرير النفط. وعلى حد قول «الايزفستيا» فى ١٣ مارس فان الاتحاد السوفيتى: «لم يكن يبنى كل ذلك من أجل ليتوانيا وحدها». وعلى امتداد سنوات السلطة السوفيتية بذل السوفييت خمسين مليار روبل لتطوير الاقتصاد الليتوانى، كما أن قيمة المشاريع التى تخص الاتحاد ككل تصل الى سبعة مليارات روبل. هناك أيضا الصناعات العسكرية الهامة التى تخص أمن الاتحاد العسكري وحدوده! وهناك ماهو أكثر من ذلك أى الطرق والمطارات والموانئ ووسائل الاتصال وكل ذلك مدفوع من خزانة الاتحاد السوفيتى العامة.

وهناك مشكلة أخرى تتصل بالقواعد العسكرية فى ليتوانيا والتى تهدد بضرب الحزام الدفاعى السوفيتى.

وهناك قبل ذلك كله، وبعده، أن خروج ليتوانيا سيكون نموذجا لبقية الجمهوريات وخسارة سياسية كبرى للاتحاد، وفى الحسبة النهائية سيخسر الاتحاد السوفيتى ماتمثله ليتوانيا وهو ٣ر٪ من مساحته، ٣ر١٪ من سكانه، ٤ر١٪ من دخله القومى، ١،٣٣٪ من صناعاته، ٢ر٢٪ من منتوجاته الزراعية.

فما الذى ستفقده ليتوانيا اذا انفصلت؟

أولا سيكون على ليتوانيا أن تدفع للسوفييت بالعملة الصعبة وفقا للتقديرات الغربية حوالى ٣٣ مليار دولارا ووفقا للتقديرات السوفيتية حوالى ٦٠ مليار دولارا. واذا كانت الديون قضية قابلة للتفاوض كما يفكر زعماء «سايوديس»، فان انهيار الاقتصاد نهائيا فى ليتوانيا أمر لايقبل التفاوض أو الجدل. وعلى سبيل المثال فان مائة وواحد فرع انتاجى اقتصادى فى ليتوانيا يستمد كل مقوماته من الجمهوريات السوفيتية الأخرى، على حين أن الفروع الانتاجية هناك لاتزيد عن مائة وثلاثة فروع! وأن ٧٥٪ من الغاز والنفط فى ليتوانيا يأتيها من الاتحاد، بحيث أنها فى اليوم التالى لانفصالها لابد و أن تسهر بكاملها على ضوء الشموع!. ومن المستحيل على ليتوانيا أن تتخلص من عملية «التكامل الاقتصادى» التى رسخت فى نصف قرن دون انهيار اقتصادها بالكامل. واذا كان الاتحاد يبيع لها الالف متر مربع من الغاز الطبيعى ب ٢٨ روبلا، فان سعر هذه الكمية من الغاز فى الغرب هو ٩٧ دولار. ويبيع لها الاتحاد طن النفط بثلاثين روبل، بينما سعره فى الغرب ١١٠ دولار

ولكن «سايوديس» وقادتها لايفكرون فى كل ذلك، فهمهم الوحيد هو الانفصال. وسيكون انفصال ليتوانيا من الناحية الاقتصادية أشبة بوثبة شريان خارج القلب الى العراء. ولكن «سايوديس» تراهن على مساعدات الغرب الاقتصادية، وعلى تبرعات المهاجرين الليتوانيين الأثرياء فى كندا وأمريكا، وعلى تصدير أبنائها- كقوى عاملة رخيصة- للبلاد الاسكندنافية وخاصة السويد التى تحتاج لشمالها البكر الى تلك القوى العاملة الرخيصة. وبينما يخاطب «لاندسبرجيس» أحلام الليتوانيين فى العزة والكرامة القومية، فان الحل الواقعى الذى يقدمة لهم هو انهيار ليتوانيا، وتحويل أبنائها الى جرسونات فى مقاهى أوروبا! وهناك أخيرا اعتبار آخر صرح به القادة السوفييت أكثر من مرة وهو أن انفصال هذه الجمهورية يهدد التوازن الدولى ويعرضة للمخاطر.

ومع ذلك، فقد خرجت ليتوانيا، أو بدالها ذلك، وجعلت من أخطاء التجربة الاشتراكية سلما، وصعدت عليه وأمسكت بزلاج البوابة السوفيتية الضخمة والعريقة، متطلعة الى العالم الآخر، ودون أن تفكر فى مشكلة الديون، أو الحدود، أو الانهيار الذى ستصاب به هى قبل غيرها. بقرار الاستقلال فى ١٢مارس هدأت ليتوانيا واعتبرت أنها قامت بكل مافى وسعها، وأصبح عليها أن تنتظر كلمة الاتحاد السوفيتى وردها!. وفى الدورة الثالثة الطارئة لمؤتمر نواب الشعب، اتخذ قرار باعلام ليتوانيا بأن قراريها (الاستقلال والغاء مفعول الدستور السوفيتى) لاسند لهما من الصحة أو الدستور. وأنها قد خالفت المادتين ٧٤،و ٧٥ من الدستور السوفيتى. كما كلف المؤتمر جورباتشوف أن: «يضمن حقوق كل انسان فى ليتوانيا، وأن يضمن بنفس القدر حقوق الاتحاد السوفيتى ومصالحه هو والجمهوريات الاتحادية الاخرى فى ليتوانيا». وجاء فى نهاية القرار: «وعلى كافة أجهزة السلطة فى ليتوانيا أن تتخذ كافة الاجراءات لمراعاة عدم الاخلال بالقانون والنظم المعمول بها فى جمهورية ليتوانيا السوفيتية الاشتراكية». وفى ١٧ مارس وجه جورباتشوف برقية ل «لاندسبرجيس» باعتباره رئيس مجلس السوفييت الاعلى فى ليتوانيا لاتتجاوز الثلاثة أسطر يقول فيها: «أرسل اليكم بقرار مؤتمر نواب الشعب الذى اتخذ فى ١٥ مارس. على أن يتم ابلاغنا بالاجراءات المتخذة لتنفيذ هذا القرار فى خلال ثلاثة أيام من تاريخه»!

وأرسل «لاندسبرجيس» وفدا برلمانيا الى موسكو يحمل رد ليتوانيا وخلاصته: اننا متمسكون بالانفصال ولاشئ سوى الانفصال!

ولم تمر عدة أيام الا وكانت الاتصالات الهاتفية بين ليتوانيا والعالم الخارجى قد قطعت، كما أخذت تحوم بصورة دائمة فوق سماء العاصمة «فيلنوس» الطائرات السوفيتية. وفى ١٩ مارس صدر بيان الحكومة السوفيتية بتوقيع «ريجكوف» رئيس الوزراء يقول فيه أن المعلومات الواردة اليه من ليتوانيا تفيد أن الحكومة هناك ماضية فى اجراءات تغيير عملة الدولة السوفيتية، وانشاء مصلحة للجمارك الليتوانية، وتبديل وضع منشآت الدولة، وعزل الاقتصادى الليتوانى عن الاقتصاد السوفيتى، وطالب البيان ليتوانيا بالالتزام بكافة الاتفاقيات الاقتصادية وتنفيذ الخطة الانتاجية لعام ١٩٩٠، ونقل توجيه وادارة الهيئات الليتوانية الى الوزارات المركزية، وأعطى الصلاحيات لوزارة الداخلية وجهاز المخابرات لاعادة النظام الجمركى السابق على الحدود الليتوانية، وحراسة وحماية المنشآت والمحطات وغير ذلك، وتأمين عمل خطوط المواصلات الاتحادية من ليتوانيا واليها.

فهل خرجت ليتوانيا ببيان الاستقلال فى ١٢ مارس؟ وهل ظلت فى الاتحاد بعد قرار مؤتمر النواب فى ١٥ مارس وبرقية جورباتشوف فى ١٧مارس، وأخيرا بيان الحكومة السوفيتية فى ١٩ من نفس الشهر؟

من المؤكد أنها لم تخرج ولم تنفصل، ولكنها أيضا لم تعد «ليتوانيا» تلك بصورتها السابقة. فقد تجمعت المعارضة فيها حول قيادة، وتجمعت لهذه القيادة أسانيد من الشرعية، وتجمعت حول هذه الشرعية فئات واسعة. والان تشهد «استونيا» حركة مماثلة، وتختمر فى جورجيا حركة عنيفة. وستظل المسألة القومية احدى أخطر القضايا التى تواجهها البيرسترويكا، فهى العقدة التى تتجمع فيها خيوط الأزمة الاقتصادية والديمقراطية والقومية. ولم يحدث حتى الان أن اصطدم الجيش السوفيتى بالجماهير بسبب الأزمة الاقتصادية، أو حرية الرأى، لكن المواجهة قد جرت فى بؤر قومية فى باكو، وتبليس، وكاشينوف وغيرها. وليست ليتوانيا سوى صفحة من كتاب كبير جدير بالتأمل والتفكير.

أحمد الخميسى

عبد المحسن طه بدر

المشروع القومي في النقد الأدبي

وقف عبد المحسن طه بدر موقفا فريدا في «مؤسسة» النقد الأدبي الجامعية المتخصصة، وحوله قلة من زملاء يشاركونه الموقف بدرجات متفاوتة. فالتخصص الجامعي الأدبي في مصر ظل خدمة يمكن لبعض الناس أن يؤدوها للسلطة المركزية بأعلى الأسعار. واستمر الوثب العالي من الكراسي الجامعية إلى مناصب وزراء الثقافة ورؤساء الهيئات والمؤسسات والشركات والمهرجانات وفي بعض الأحيان كان التخصص العلمي للتسلق في مجال الأدب يعني عدم التدخل في شئون العالم.

ولكن الراحل العزيز رفض دائما أن يعتبر التخصص معناه عزل الأعمال الأدبية عن الملابسات والتناقضات والأحداث التي جعلتها ممكنه وقابله للفهم .وانضم إلي القائلين بأن القصائد والروايات والمسرحيات هي نفسها «وقائع» من هذا العالم، وقائع من نوع خاص ذات فاعلية في تشكيل مواقف مختلفة من الانسان. فالأدب في كتابات عبد المحسن وثيق الصلة بالمعني الانساني بمذاق التجربة المتخيلة المأمولة وملمسها والاحساس بها من ناحية وبطرق الادراك والشعور والتقييم المرتبطة باستمرار السلطة الاجتماعية واعادة انتاجها من ناحية أخرى، وقد رفض دائما طمس العلاقة بين الابداع الأدبي ومساحات أوسع من المعتقدات والقيم عن طبيعة الأفراد واللحظات التاريخية والعلاقات الاجتماعية ومشكلات السلطة (السيطرة والانقياد) ودور الصلات الجنسية وتفسير الماضي وصيغ الوضع الراهن المتناحرة والآفاق المتفتحة أو البدائل المهدرة. لقد كان من أبرز الذين اعتبروا النظرية الأدبية النقية البحته خرافة أكاديمية. فالخصوصية الأدبية تكامل وترابط بين عناصر مختلفة، وليست جوهرا مفردا.

ولم يحدث أن عبد المحسن كان ناقدا تصادف أن دافع عن بعض الاتجاهات السياسية (كما تصادف أن تعاطف مع ناد رياضي على سبيل المثال) أو كان ناقدا تعمد أن «يقحم» السياسة اقحاما على الأدب. وفي مجال تحليله للرؤية الفنية كشف عن الفكر المحافظ المدعم للأمر الواقع، المتعامي عن تناقضاته في الاتجاه الشكلي الذي يحلل العمل الفني كمالو كان «مكنة» لغوية يفككها إلى أدواتها ومساميرها، ورفض أن يقدم الداعية السياسي أو صوت العصر أو خبير التلاعب بالأدوات الفنية بدلا من الأديب الانسان وهو يواجه صداما بين مثل أعلى مستمد من تقاليد طبقية قومية انعكست في التراث الأدبي والثقافي وبين علاقات واقعية في لحظة تاريخية في إطار قومي محدد فالأدب عميق الجذور في مواقف الحياة لدى الناس تحمله مجسما مشخصا يقوم على التفرد لا التعميم ويعرض الحياة في كل تنوعها الفني (مقدمة كتابه «الروائي والأرض في شرح الرؤية».

ولم يتحول ناقدنا إلى جزء من مؤسسة خبراء النقد، كأنهم «علماء» مصلحة المواصفات القياسية، لديهم القواعد والمعايير الأبدية لإصدار أحكام البراءة والإدانة وإعطاء الشهادات والدرجات العلمية أو الطرد خارج المملكة الأدبية المستقلة. فالخطاب النقدي الرسمي هو سلطة ايديولوجية وقف عبد المحسن منه موقف المعارضة ورفض أن يعتبر الطابع العلمي للنقد مماثلا لاجراءات علوم الميكانيكا، بل اعتبره ينتمي إلى العلوم الانسانية التي تضع في مقدمة اهتمامها القيم والتقييم والمفاضلة والتذوق والغايات الانسانية، والصراع بين الاتجاهات الفكرية والمعايير على أسس اجتماعية.



د. عبد المحسن طه بدر

نجيب محفوظ

وينظر عبد المحسن إلى التراث الأدبي العربي وخاصة التراث الشعبي في تفتحه وغناه باعتباره نبعا لحقيقتنا وحكمتنا، إنه بيت عائلتنا وعشيرتنا الذي تربى فيه وجداننا وهو مسقط رأسنا الروحي. ويجد فيه عبد المحسن تلبية لحاجتنا الي مد الجذور عميقا في الأرض ننهل من دفء الاهل ومشاعر القرابة الحانية وحماسه العمل المشترك وتحقيق الاهداف واللغة التي نحياها وتسكننا وعلى الرغم من المبالغة في التركيز على الجذور القومية، فإنه يحن بشكل خاص إلى مسارات وملامح طمستها السوقية الفردية المعاصرة، وإلى قيم عامة تهملها نزعة أنانية هابطة. وهذه المسارات والملامح والقيم التي تنتسب إلى الماضي القومي يجدها متدفقة في الأشكال الأدبية التراثية التي يريد لها النمو والتجديد على أسسها وجذورها من جانب الكتاب والشعراء. وهو لايدعو إلى العتيق الأصلي المهجور باعتبارة شفاء لجميع الأمراض ، بل الي مواصلة القيم الشعبية «الفلاحية» في وطنيتها وقوميتها وسعيها الي العدل . وفي كتابات عبد المحسن طه بدر تتألق «طيبة» فلاحية من المشروع القومي لا علاقة لها بالذين تاجروا بالشعار من مقاولين وجلادين وبصاصين ومكممي الافواه، وذلك هو مجد الراحل العزيز وتلك هي حدوده. وسنقتصر في تصوير موقفه على أمثلة قليلة توضيحية.

قصة عشق طويلة مع الشكل الروائي

بعد جولة قصيرة كشفية مع الشعر الحديث في رسالة الماجستير (١٩٥٧) اتجه عبد المحسن الى الرواية ليحكي قصتها في مصر منذ طفولتها الغضة الى قمة نضجها عند نجيب محفوظ (تطور الرواية العربية الحديثة ١٩٦٣) ولم يكن اختياره الرواية مصادفة أو اتجاها نحو مزيد من التخصص عند أستاذ جامعي.. فالرواية في كتاباته وفي رواجها وقوة

أثيرها. هي «البطل» الذى يقود دراما التطور الأدبى فى عصرنا، وهي من أشد القوى الفعالة فى تشكيل الوعى، ومن الواضح أنها حتلت مقدمة المسرح الأدبى بدلا من لشعر. ولم تصل الرواية إلى ذلك تدريجيا أو فى هدوء. ويروى عبد لمحسن فى رسالة الدكتوراه التى عرض لتطور الرواية الحديثة فى مصر من ١٨٧٠-١٩٣٨ قصة لهجمات المنتصرة والانكسارات فى لغارات التى قامت بها الرواية على لقوالب الرسمية للأدب الرفيع كما ترضه «السادة» فى تدريس الأدب وعلوم اللغة طوال قرون. وكانت لإجابة السهلة على سؤال ماهو لأدب؟ تأتى فورا: إنه ماتعترف مؤسسة التعليم به وتقوم بتدريسه. خرج الادب الشعبى ملعونا من دائرة لأدب. واعتبرت القصص والسير الملاحم ترفيها للعامة. وأثر ذلك على فى مثقف شعبى بارز من قادة لثورة العرابية هو عبد الله النديم هو يسخر من السهر لسماع السيرة لهلالية والتحيز لابطالها واللهفة على متابعة أحداثها ويعتبر هذا لسهر قرينا لسهرة «الأنطاع» بلا ائدة عملية أو ترقية للمشاعر.

الرواية والثورة القومية

ويمضى الناقد الراوى فيحكى عن نشأة الشكل الفنى الروائى فى أحضا ن الثورة القومية للاستقلال مع موسيقى سيد درويش وتماثيل مختار رواية محمود تيمور: رجب افندى ١٩٢٨ وعيسى عبيد «ثريا» ١٩٢٢) فالرواية كانت تحاول الاستقلال» عن التقليد واقتباس خيلة الغير. وتحاول تصوير شخصية المصرية متميزه عن الملامح لأجنبية وشبه الأجنبية، مكتشفة وراها وطاقاتها فى الحياة.

مع تأسيس الجامعة المصرية تيمها الليبرالية الانسانية، وبنك مصر بهدف الاستقلال الاقتصادى ؤكد الناقد الرواى توهج كلمات رواية المصرية، الادب المصرى، الواقعى» أى الذى يمتلك خصائص مصرية، فالواقعية تعنى هنا عند يحيى حقى فى رصده التاريخى الذى يوسعه عبد المحسن: الفن «الشعبى» الصادق الاحساس»، المتجه عند محمود تيمور إلى الطبقات الشعبية ويسلط الناقد الراوى الضوء على ارتباط ذلك الاستقلال الوطنى بالاستقلال الفردى الذاتى للفنان، وانتقاله من محاكاة الصور القديمة والأساليب المحفوظة إلى الابتكار وتميز الشخصية الفنية للكاتب، وكذلك استقلال شخصيات القصص والروايات وتفرد الحوادث الطازجة الجديدة المختلفة عن المأثورات التقليدية.

وحينما يوضح الناقد اقتران ثورة الأدب بالثورة السياسية ونشأة الطبقة الوسطى وصعودها فى مصر (ص ٢٠٢ من تطور الرواية) لايخرج عن «التخصص» الأدبى فى تقسيم العمل داخل الجامعة ولا يستعيد لافتة قسم التاريخ أو قسم الاقتصاد. فهذه الطبقة الوسطى عنده تتحول الى «رؤية» فنية وإلى «اداة» تشكيل قصصى فى الحبكة والشخصيات وطرق الوصف والصياغة اللغوية. ويروى الناقد أن تلك الطبقة الوسطى التى كان عمودها الفقرى يتألف من مزارعى الريف، توزعت جهودها فى جهتين مصارعة الخديوى و«الاقطاعيين» الشركسى ومهادنتهم، أو مصارعة الانجليز ومفاوضاتهم بل كانت منقسمة بين الجهتين ولم تصل إلا إلى استقلال شكلى عاجزة عن تغيير شكل المجتمع أو تطوير أدبه وثقافته وفنونه. ويتحول ذلك إلى «داخل» الرواية المصرية: فالصراع ضد الاستعمار استدعى التمسك بالتراث الشعرى أيام الازدهار القومى وبعث إطاره (من البارودى الى شوقى وحافظ) ويبدأ الحاضر القومى بعثا مجددا للقديم، لذلك تأكد عدم الاعتراف بشرعية القصص والحكايات والسيرة الشعبية التراثية. وانقطعت الصلة بين تراثنا القصصى الشعبى وبين نشأة الرواية الفنية. كما انعزلت الطبقة الوسطى عن الفلاحين.

ويبرز الناقد بأكبر قدر من الاهتمام معالم الطريق فى الرواية المصرية مبتدئا بالدكتور هيكل وروايته الشهيرة «زينب» التى نشرها عام ١٩١٤ بقلم مصرى فلاح و لم ينشرها باسمه. فقد كانت كتابة الروايات وقص الحكايات الشعبية وممارسة «فنون» التشخيص فضيحة تهبط بمكانة مثقفى الطبقة الوسطى على العكس من الشعر.

ويمضى عبد المحسن «رؤية» طلائع الرواية من داخلها، فالدكتور هيكل يرى التراث الرسمى الأدبى كالأزياء القديمة ثروة فى اللفظ وصور البديع مقابل نفاسة القماش وكثرة الحواشى والاهداب، ولكنه تغير فى تصوير الشخصية الانسانية. أما الأدب الشعبى فعلى الرغم من أنه لايقل عن أساطير اليونان إلا أنه ملئ بالخرافات ويمثل عصراً متدهورا. (ص٢٠٨)

ويكاد توفيق الحكيم (عودة الروح ١٩٣٣) يكرر نفس الرأى فى الأدب الرسمى ولكنه يتعاطف مع الأدب الشعبى تعاطفا محدودا مقصورا على ألف ليلة بل على



يحيى حقى

مقدمتها، فالأدب الغربى هو الذى نبهه الى اهميتها. وأصبحت الرواية عند عبد المحسن فى جانب منها «تحسب تابعه» للرواية الأوروبية، وينقل عن محمود تيمور إن الرواية المصرية فى تطورها المستقبل ستواصل التأثر بالاتجاهات الجديدة فى الرواية الغربية، ودون اهتمام كبير بالجذور القومية فى الأدوات والأشكال القصصية.

وربما كانت هذه الجذور القريبة عند عبد المحسن نفسه مقصورة على الأشكال العربية للحكاية ولاتمتد إلى الأساطير المصرية القديمة فهو لايكاد يقف عند اهتمام توفيق الحكيم باسطورة ايزيس وأوزيريس فى عودة الروح، كما أنه لايلاحظ مالاحظه كثيرون من أن هذه الرواية تستلهم فى بنائها الحكاية الشعبية عن تناوب إخوة أو أصدقاء ثلاثة على محاولة القيام بمهمة معينة (العثور على كنز مثلا) وبعد إخفاق متكرر ينجح «الموعود».



محمود تيمور

ومن المهم أن نوضح موقف ناقدنا من «عودة الروح» ، من الرواية ذات التأثير الكبير فى عبد الناصر ومشروعه القومى، ومن توفيق الحكيم فى «يوميات نائب فى الأرياف» حيث يصف الروائى الأرض والجذور ممثلة فى الفلاحين بعد أن انطفأت نار الثورة (١٩١٩) وتكالبت الطبقة الوسطى على المغانم.

الفلاحون والمشروع القومى

لقد كانت عودة الروح تصور الزعيم المعبود تجسيدا لروح الشعب المصرى، وتؤكد مفهوم «الكل» فى واحد بلا تمايز بين الطبقات وبلا «تعددية» حزبية بل انصهار الكل فى «اتحاد قومى» واتحاد مع الطبيعة راكعين للقائد. وعلى الرغم من خضوع الفلاح قرونا للقهر وللغزو الأجنبى فليس ذلك فى الرواية إلا قشرة ظاهرية لاتمتد إلى أكثر من السطح ويبقى جوهر النفس (الروح) المصرية كما هو: تعيش بالوحدة وتغنى فى سبيل الزعيم (سعد باشا زغلول استمرار مأمول للفرعون) المعبود الذى يوحدها

ويجمع قطعها الممزقة لتقوم بالمعجزات من جديد.

ويصب عبد المحسن فى كتابه الروائى والارض (١٩٧١) غضبه اللاذع على هذه «الرؤية» المفروضة فرضا تعسفيا على الواقع المصرى. فهذه الرؤية تضحى بالواقع على مذبح التمجيد الساذج، وتحول الشخصيات إلى أفكار تتحرك فى المطلق من المعانى مرتدية أثواب الرموز.

وهل من الممكن أن نقيم جدارا عاليا يفصل بين روح الريف البريئة وحياة الفلاحين القذرة (حمار الحكيم)؟ ويعقد ناقدنا مقارنة ذكية



الدكتور هيكل

بين الواقع نفسه وجزئياته المصورة فى عودة الروح من ناحية ويوميات نائب فى الارياف وحمار الحكيم من ناحية أخرى ليصل إلى التطابق بينهما على الرغم من التصورين المتضادين اللذين يستخلصهما توفيق الحكيم. الواقع هو: صبية مرضى وكلاب جربى ورجال منهوكون وفتيات تلطخت أكفهم بروث البهائم. والفلاحون بأعينهم التى أكلها الصديد منذ الطفولة ومداركهم التى تركت مهملة على مدى حكم ولاة من جميع الأجناس قوم بلا ادراك ولا تمييز غلاظ الطبع لا أثر فيهم للرقة ولا للحياة يوشكون أن يتحولوا إلى جماد. والقذارة؟ إنها تحوط الفلاح وتلتصق به حتى لتوشك أن تكون غريزة من غرائزه. والقرية «قطعان» من البيوت تعيش فى بطونها ديدان من الفلاحين المساكين ويرى عبد المحسن أن تلك المبالغة فى الوصف تدفعنا إلى اليأس من كل إصلاح يتعلق بالفلاح الذى لم يعد آدميا. فاستعمال «اداة» الوصف بهذه الطريقة يجعل العمل الأدبى عاجزا عن رؤية اشراق الفلاح وسماع اغنياته المعبرة عن قيم وأحلام وشكوى واحتجاج وقدرة على الحركة.

ونفس هذه «الوقائع» البشعة تقدمها عودة الروح من الزاوية العكسية وتكسوها بالحرير المستورد من جنة الاسطورة: الفلاح يعيش ملاصقا للحيوان والروث والبول عامدا، ينام هو وامرأته وعياله وعجله وجحشه فى «قاعة» واحدة، وهل يسمح للقمل بأن يسكن الجسم كرما منه بل لما هو أبعد من ذلك، فالحشرات تسكن الجسد والبيت لأن أعماق روح الفلاح التى ترسبت فيها طبقات عشرة آلاف سنة من الحضارة ورثت عاطفة الاتحاد بالكون. القذارة ليست إلا سطحا ظاهريا، فهى فى جوهرها - وياللهول. صلاة للمعبود !! . ويسخر ناقدنا من هذه الوحدة الكونية المزعومة والاتحاد العام (على المستوى الاجتماعى والكونى) بين حلقات المخلوقات، ومن رمزهم للإله الصنم (نصف انسان نصف كائن حى)، على صورة بشر وحيوان وطير وحشرات.

وماذا عن الكدح وانتزاع المحصول من العاملين؟ لايهم التعب



توفيق الحكيم

ولا الشقاء فى سبيل المعبود. ويركز عبد المحسن على الكشاف داخل هذه الرؤية الأسطورية التى تبدو جميلة فنية عن «دودة» فاسدة تعمل على تزييف الواقع والوعى معا. ففى عودة الروح يرتفع صوت العالم الأثرى الفرنسى الذى تبشرنا الرواية الى التعاطف معه زاعما أن الفلاحين يجدون لذة فى الكدح المشترك مهما تكن الآلام. وتلك خصيصة قومية تميزهم عن العمال فى اوروبا، الذين. إذا أصابهم الظلم والألم أحيوا «جراثيم الثورة والعصيان وعدم الرضا بما هم فيه. أما الفلاحون المصريون فإن اجتمعوا على الألم أحسوا السرور الخفى واللذة بالاتحاد فى الألم. ما أعجبهم شعبا صناعيا غدا». (الروائى والأرض ص ١٠٩)

فلا ينقص الفلاح إلا الرجل الرمز الذى تتمثل فيه كل الأمانى عند ذلك كما يقول الناقد يفقد الواقع وجوده الموضوعى، وتتحول «الاسطورة» إلى عصابة على العينين.

وفى مقابل ذلك يرسم الناقد لوحة فكرية «لرؤية» رومانسية فى تناول القرية هى رؤية الدكتور محمد حسين هيكل فى «زينب». رؤية مفروضة على الواقع قبل ثورة ١٩١٩. قرية بلا مشاكل هادئة صبور، يعيش الفلاح فيها حياة الرقيق والعبيد، التى اعتادها منذ الازل لايشكو ولا يتذمر ولايقلق بلا أحلام ولا أشواق. والفلاحون كتلة صماء متشابهة من الكدح والرضا خالية من «الحقد» والتطلع الانسانى عاجزة تماما عن أن تقوم بشئ لنفسها، قابعة فى السكون تنتظر من يمد لها يدا لينتشلها من هذه الرقدة الهانئة فى أحضان الطبيعة الحنون. وصاحب قطعة الارض من الطبقة الوسطى مثل الفلاحين يقدس الماضى وعادات السلف الصالح ويأسف لانتقال أجر الشغال أيام الشتاء من قرش الى قرشين!! وهو من أطيب الناس قلبا وأصفاهم سريرة وأحبهم لاخوته، ... والكل راض بمصيره ميسر لما خلق له. ويصل الناقد الى أن هذه القرية لاتستطيع أن تتحرك حركتها الذاتية ولايمكن تحديد اتجاه حركتها ولاتصلح موضوعا لعمل روائى مالم تفرض الحركة من المؤلف باستيراد قصة حب من الروايات الفرنسية. ومن هى زينب؟ بنت الطبيعة؟ انها ابنة الدكتور هيكل وثقافته الغربية! ويردد الناقد العبارة الجميلة: إنها «بوّاسة حضّانه» ولكنها عفيفه تصاب من جوى الحب بالسل وتموت مثل غادة الكاميليا والدماء تنزف من فمها!!

ونصل إلى «واقعية» عبد المحسن لم تكن دعوة إلى فرض «رؤية» على تفاصيل الواقع أو إرغام التجارب على تبنى «المشروع القومى» «وارادة التغيير». بل هو يستعمل كلمة «حساسية» فنية عميقة منذ ١٩٧١ قبل أن تتحول إلى «باترون» لتفصيل أحدث الازياء (الروائى والأرض ص ٣٢) ليعنى بها الكشف عن القوى المسيطرة على الواقع «والاحساس بالقوى التى تحدد طريق المستقبل» (اشتقاقات من أصل كلمة الحساسية)، لامجرد صرخة ذاتية بل انحياز الى القوى التى تمثل ارادة التغيير (الفلاحين والعمال فى المحل الأول) والتى تدفع المجتمع الى طريق المستقبل وآماله وأحلامه. وذلك البرنامج للحساسية الجديدة لاينتمى إلى علم الاجتماع أو السياسة إلا جزئيا ولكنه يلتقى بالاثنين على أرض التجربة الجمالية: تطوير الطاقة الانسانية والحساسية الانسانية، الحواس الفنية القادرة على الابداع، قدرات الارادة والأذن الموسيقية والعين التى تحس جمال الشكل والأداء اللغوى وعلاقة الحب بين الرجل والمرأة والتضامن بين قوى الابداع والعمل والفكر.. «انتاج» التكامل الانسانى للفرد وحل التناقض بين الجوهر الانسانى وعلاقات الاستغلال التى تخنقه أى بين قوى الابداع وطاقاته وقدراته فى تشكيل المصير وبين علاقات قهر تعوق التطور الحر المتعدد الجوانب لازدهار فردية «الانسان» أى الأغلبية الساحقة من البشر .. إن هدف الاشتراكية وهدف الفن متطابقان (الاشتراكية الكل فى واحد ولا ادعاء القلة تمثيل الشعب) ..

إبراهيم فتحى

رسميا فى الاتحاد السوفيتى ، لاترفع نحسب الشعارات العنصرية عن تفوق الجنس اليهودى ، ولكنها كانت شريكة فى جرائم بشعة مثل مذابح الفلسطينيين فى صبرا وشاتيلا ، وغيرها من الأعمال الارهابية التى اهتز لها الرأى العام العالمى .

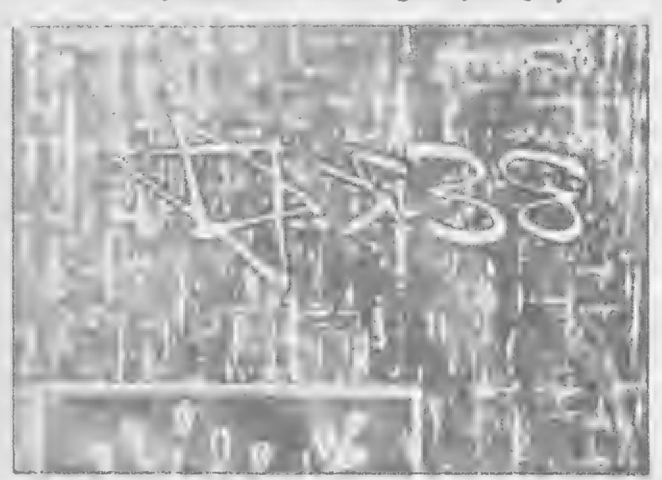
وصحيفة مثل « الايزفستيا » وهى صحيفة البرلمان والسلطة التشريعية العليا فى البلاد ترتعد رعبا من المنظمات الروسية القومية ، ولكن ألا يجدر بنا أن نلاحظ أن التجارة « بالشوفينية الروسية » تجرى على أرضية رد الاعتبار الفورى والمندفع للأيديولوجية الصهيونية بل وتأليه تلك الايديولوجية ،التأليه الذى يشمل كل الشخصيات العامه ذات الأصل اليهودى سواء من السوفييت أو الأجانب ، بما فى ذلك القادة السياسيون لدولة اسرائيل الفاشية العدوانية . وتمضى الرساله لتقول بالنص ، مع ملاحظة أن كل ماسبق هو أيضا بالنص : «وهكذا فإن الصهاينة والموالين لهم فى الصحافة السوفيتية ومنهم نواب فى مجلس الشعب ، وبعض العاملين فى القسم الايديولوجى فى اللجنة المركزية ، وبعض أعضاء المكتب السياسى يضعون مساحيق التجميل على وجه الصهيونية الآثم ، ويغسلونه من الأقذار والوسخ ، ويزعمون أن الصهيونية مفترى عليها من الأمم المتحدة التى اتخذت منذ ١٩٤٨ أكثر من ألف قرار إدانة للعدوان الصهيوني فى الشرق الأوسط والتى اعتبرت ان الصهيونية صورة من صور العنصرية والتميز العنصرى .. وهم يحاولون أن يضفوا على الصهيونية تارة صورة الاتجاه الدينى الروحى ، وتارة أخرى صورة حركة التحرر الوطنى .. التحرر الوطنى ممن؟ من الفلسطينيين فى فلسطين .. أم من الروس فى روسيا ؟ . وان عملية التأليه المنظمة للقومية اليهودية هى وسيلة معروفة لمحاولة صياغة تصور عن الأمة المتفوقة السوبر .. الأمة الأرقى .

وتمضى الرسالة قائلة : « وفى هذه الظروف يصبح حتى مجرد التعاطف مع الشعب العربى الفلسطينى المناضل من أجل حقوقه وكأنه نوع من اثارة التناحر القومى فى الاتحاد السوفيتى . ان خطر الصهيونيه أصبح ماثلا بالدرجة الأولى نظرا لتزايد الاتصالات الودية مع اسرائيل على غير ارادة الشعب الروسى . وان الحملة التى تشن يوميا ضد الشعب الروسى تبدو يوما بعد يوم أشبه ماتكون بعملية استفزاز قومى واسعة النطاق ، وتدل الظواهر كلها على أن شخصا ما من « علية القوم » يتعطش الى مذابح ، بل ويعد العدة لها ، ملقيا التبعة مقدما على اتحاد كتاب روسيا ، وعلى المنظمات وممثلى الثقافة الروسية . أن هذه المذابح - بعد أن تطال بعض اليهود الأبرياء - ستنقلب إلى حمامات من الدماء للشعب الروسي ومن بعده شعوب الاتحاد السوفيتى الأخرى . ان الاهانة اليومية لكرامة الشعب الروسى قد بلغت حدا لايمكن معه التعويل على صبر شعبنا وتسامحه . وان عملية الارهاب المعنوى انما تجرى على خلفية الكارثة الديموجرافية التى يعيشها الشعب الروسى ، ونهب ثرواته المادية والمعنوية بلا حياء طوال ٧٢ عاما .

اننا نطالب بوضع حد للحملة المكثفة المعادية للروس فى الصحافة والاذاعة والتليفزيون ، ونطالب باعادة توزيع أجهزة الاعلام لصالح روسيا ، بما يخدم مصالح شعبنا ، انطلاقا من أن روسيا هى التى تتحمل القسط الأكبر من تكلفة تلك الأجهزة الاعلامية . نطالب أيضا بمساواة روسيا بالجمهوريات الأخرى من حيث حجم البث الاعلامى ، ويجب أن توجه تلك الأجهزة للتعبير عن مشاكل وألام وأحلام الشعب الروسى . النسبة الآن هى واحد ونصف مليون نسخة من الصحافة الوطنية الروسية مقابل ستين مليون نسخة من المطبوعات التى تهين الشعب الروسى باللغة الروسية علاوة على بحر من الاعلام غير الرسمى . ونحن ندعو جميع أبناء شعبنا عمالا وفلاحين ومثقفين أن يتمسكوا بروح الكرامة ، وأن يتذكروا وأن يعرفوا أن أحدا أيا كان لن يكون بوسعه أن ينتزع من شعبنا الاخلاص الروسى للحقيقة ، والاحساس الروسى بالعدالة والتعاطف والشفقة والوطنية المتفانية .

ويختتم الادباء الروس رسالتهم بقولهم : «فلننهض ولنضع مصير روسيا بين أيدينا» ولاتحتاج هذه الرسالة الواضحة الى تعليق ، ولكنى أكتفى بالقول أن هذه الوثيقة التى وقع عليها أكثر من سبعين أديبا كبيرا هى الأولى من نوعها ، وأنها اشارة لايجب الاستهانة بها .

إحدى المظاهرات التى قامت ضد المؤتمر اليهودى فى موسكو



غلاف مجلة «العصر» التى تصدر فى لاتفيا

موسكو: أحمد الخميسى

آهي دي النظرية ياجماعة

تقول النكتة القديمة أن حسن سخام الطين قد بدّل اسمه الى: عادل سخام الطين، أما النكتة الجديدة فتقول أن النظام الرأسمالي المستغل قد بدل اسمه الى النظام الرأسمالي العادل والأكثر تحقيقا لحقوق الانسان. وتنشط مندوبو الدعاية والاعلان للترويج لبضاعتهم القديمة ببيع (النظام الرأسمالي) لشعوب الدنيا على أنه الأمل والحلم الوحيد بعدما انهارت الحكومات الشيوعية في اوروبا الشرقية.

وفي خضم الترويج للرأسمالية كنمط للحياة تكاد تضيع حقيقة بسيطة وهي أن الغاية الأكبر للاشتراكية هي تغيير الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ليصبح أكثر عدلاً وملائمة لمنطق التطور، تلك الغاية التي سعت اليها كل المحاولات الثورية عبر التاريخ الانساني من ثورة العبيد الى ثورة البلاشفة، كما كانت جوهر الدعوة المحمدية الى الإسلام وكذا كافة الأديان السماوية.

وعلى هذا النحو- ودنا نستطيع- يمكن القول بأن أية نظرية اجتماعية وسياسية هي في حقيقتها (روشتة) لعلاج أمراض الواقع فإن لم تكن مجدية أو فشل الطبيب المعالج فإن هذا لا يلغي حقيقته للرأسمالية يريدون منا نحن شعوب العالم الثالث أن نقنع بالأمر الواقع باعتباره هو الأفضل فنرضخ له وننسى (أوهامنا) في حياة أفضل وأكثر إنسانية. ولم أجد رداً على دعاة الرضوخ أبلغ مما قاله سيد حجاب وعمار الشريعي ومحمود الجندي:

آهي دي دنيا فيها ناس باكلوها بالتطاعه
وقال ايه عايزنا نبقى طوع
آهي دي النظرية ياجماعه

تحية لهذا الثلاثي المبدع وكل من ساهم في الفيلم البديع: (المرشد).

عز العرب



اللى بيغيروا دول ماعندهمش اصل لكن
احنا اصحاب خمستلاف سنة (حضارة)



ياباشا : هى دى الجلاسنوست اللى أعرفها

آهى دى النظرية ياجماعة

مظاهرات تطالب

ياراجل عيب.. المظاهرات فى التلفزيون مش فى الشارع

آهى دى النظرية ياجماعة



قال بروليتاريا قال.. كل دول كانوا عايزين يحكمونا



الحمد لله الاشتراكية انتهت دلوقت الواحد ضامن مستقبله



اطمئن خلاص مفيش تأميم .. طلع اللي تحت البلاطة

الله يرحمه ما كانش بيسمع الكلام .. ياما قلت له
بالنبي ياحبيبي دول صنف نمرود مايجيش إلا بالكرباج



الشباب يغنون ضد حرب فيتنام ... والثورة !

السعينات ...الثورة والتغيير فى كل مكان
فى بريطانيا سقط حزب المحافظين بعد فضيحة اخلاقية كبرى تضمنت اسم وزير الدفاع
انذاك " جون بروفيموس " .سقطت حكومة ماكميلان بعد ورود اسم وزير الدفاع فى قوائم قواد مشهور يدعى " دكتور ستيفن وارد " وفتاةالليل " كريستين كيلر " .الجميع يشعر ان الامبراطورية العظمى قد انتهت

. انتهت المسرحية وبريطانيا تحتاج الى وجوه جديده .
تحتاج الى دم جديد يزيح هذا الغم من ذاكرتها .
وعلى الشط الآخر للمحيط انطلقت رصاصات متآمرة لتقتل حلم امريكا ، " جون كينيدى " .
كان كينيدى يمثل الدماء الشابه ، الصوت العاقل الداعى الى نزع السلاح ومحاولة الوصول الى تقارب ما مع الكتلة الشرقية .حلم امريكا بالسلم ، والبقاء بعيدا عن مشاكل العالم
وحروبها .
ثم .. .رصاصات قاتلة ، بحر من الدموع ، وحزن يغلف قارة اعتادت المرح والحياة الرغده .
وحرب لا تنتهى فى فيتنام . قوات " هو شى منه " ، بعد انتصارها التاريخى فى " ديان بيان فو " ، مصممة على النصر . حديث تليفيزيونى للقائد الفيتنامى " فو نجوين جياب "
يذاع فى امريكا :
" عندما نحرر سايجون .. "
الشباب لا يصدق .امريكا التى لا تقهر ، مضطرة الى دك شعب أعزل من السلاح بالقنابل من أجل الاستسلام .
والشرق الاوسط يتغير . تحولات اشتراكية .والمد التحررى الناصرى فى افريقيا .
وقلق فى جامعات فرنسا . وحركة تنادى بالسلام فى جامعات امريكا .والصين ، و"ماو تسى تونج العالم على حافة الهاوية .
هذا هو المناخ السياسى الذى برز من خلاله فريق موسيقى مكون من أربع صبيان من ميناء.
" ليفربول " الانجليزى .موسيقى مرحة كلها حياة وتدفق ، تدعو الى التفاؤل والحب .
هذا ماكان العالم يحتاجة ، ولذا استقبل فريق " البيتلز " البريطانى استقبالا حافلا .وقصة نجاحات الفريق فى بريطانيا

أربعة صبية من ميناء "ليفربول"

واوروبا والولايات المتحدة الامريكية اسطورية .
وقصة الهجوم على الفريق من الدوائر " الحنجورية " اسطورية هى الاخرى .
ولكن دعونا نبدأ من البداية .
فريق " البيتلز "THE BEATLESتكون من :
- رنجو ستار RINGO STARRقارع الطبول : مولود ١٩٤٠/٧/٧
- جون لينون-JOHN LENNON عازف الجيتار : مولود ١٩٤١/١٠/٩
- بول ماكارتنىPAUL McCARTNEY عازف جيتار باص : مولود ١٩٤٢/٦/١٨
- جورج هاريسونGEORGE HARRISON عازف جيتار اساسى : مولود ١٩٤٣/٢/٢٥

جميع أعضاء الفريق من ميناء " ليفربول " وهو ميناء يقع فى شمال شرق بريطانيا .
جميع اعضاء الفريق من اوساط عمالية .
بدأوا حياتهم من العدم ، شقوا طريقهم بصعوبة بالغة وليس عن طريق الصدفة ، الى قمة النجاح ، مستخدمين الفن ، الموسيقى والسينما والتليفيزيون ، للوصول الى معجبيهم فى العالم أجمع .والمعجبون كانوا من جميع الاوساط والطبقات والملل والديانات والبلاد والالوان والاعمار .
والهجوم عليهم فى مصر وبعض البلدان الاخرى كان ، للأسف وكما هى العادة ، شكليا .
فكان الاعتراض ان " شعرهم طويل " ، ثم تدخل " الحنجوريون "



يفجرون ثورة في الموسيقى

لينعتوهم بانهم " ادوات الاستعمار للتغلغل فى نفوس وعقول شباب العالم الثالث " و " حصان طروادة الموسيقى الآتي الينا حاملا فيروسات التعفن الرأسمالى البغيض "و" رموزالتفسخ الاجتماعي الامريكى الذى سينتهى حتما بعد أن يحفر قبره باظافره " .

وتعالت صيحات البعض بضرورة منع وشجب وبتر وإفشال وتوخى الحذر من تأثير هؤلاء

"الخنافس " وأغانيهم المدمرة .

ثم ماذا ؟

اكتشفوا ان لهؤلاء الخنافس مراقفهم المستنيره الواعية .

وقف الفريق ، وغنى ، ضد الحرب فى فيتنام . وفى بيافرا . وفي ايرلنده .

غنى للسلام العالمى ، وللتقارب بين الشعوب . ونبذ الحروب . . . . والثورة .

وطالبوا بالمساواه للمرأة ، وغنوا لأنجلا ديفيس ، ودعوا للتخلى عن ماديات الغرب .

وتبنت حركة التقدم العالمية هذة الثورة الموسيقية ، واستخدمت أغانى الفريق فى مسيراتها . وطبعت اسطوانات البيتلز فى الاتحاد السوفييتى .

ووجد اعضاء الفريق في هذا المد التقدمى الحليف الطبيعى لأحلامهم وآمالهم .

واصبح الفريق ، وأغانيه ، صوت الستينيات ، بفورانها ومثاليتها وثورتها .

ان قصة نجاح البيتلز فعلا اسطورية . . وتحتاج وقفة تحليلية ،للذين شجبوها في بادئ الأمر

وبعضهم مازال يشجبها ويشجب أي شئ جديد مختلف ، وللذين لم يكتشفوها بعد ، على الرغم من مرور أكثر من ربع قرن على ظهور الفريق ، وللجيل الجديد الذى ربما يجد اشارات واضحة فى مسيرة الفريق التاريخية ، وقد يعثرعلى بعض الاجابات للتساؤلات الخاصة بما حدث فى احدى اهم الحقبات فى ٢التاريخ . الستينيات .

بالاضافة الى سرد القصة والقاء الضوء على الخلفيات والمتغيرات السياسية والاجتماعية التى واكبت صعود الفريق الى القمة واحتفاظة بهذا المركز طيلة ربع قرن ، سنقوم بنشر اهم اغنيات الفريق وترجمتها الى العربية ليسهل عملية فهم واستيعاب ما دعا اليه البيتلز .

الشباب فى كل مكان يسعى للتغيير والتجديد .فى بريطانيا ، فى ميناء " ليفربول " ، سنوات بعد المعاناة من ويلات الحرب العالمية الثانية كان المطالبة بالتغيير ملح و مسألة حياة أو موت . وحدة المصير التى كانت قد ربطت بين هذا الميناء البعيد ولندن إبان الغزو النازى

كانت قد تبخرت ، وصارت بريطانيا تحت حكم حزب المحافظين ، والحياة بشكل عام قد عادت الى ماكانت عليه قبل الحرب .

وهذا كان معناه ، عودة الميناء الى حقيقتة . ميناء عمالى . فريد فى انه منفتح ، كأي ميناء آخر على شعوب العالم وثقافاتهم من أغانى واسطوانات يأتي بها البحارة الزائرين وكان أكثر هؤلاء ضجيجا هم الامريكان والالمان ، بالاضافة الي سكان أيرلندة الذين كانوا ، ومازالوا يكونون أغلبية سكان " ليفربول " .

وكان من الطبيعى ان يثمر هذا الخليط من الناس ، والثقافات ، والفنون عن فتح عشرات من النوادى والمقاهى والكافيتيريات التى تخدم

هؤلاء الاجانب ودولاراتهم (وماركاتهم) الكثيرة .

ولأننا كما نعرف اننا يجب اسماع " الزبون " ما يريده ، فكانت أغلبية الموسيقى والاغانى

تنحدر من أصل أمريكى ، نسخ من اسطوانات أتى بها البحارة من وراء البحار .

وكانت محطة الاذاعة المحافظة ال B.B.C.بالطبع لا تعترف بهؤلاء الشباب الانجليزى الذى

ترك اصوله البريطانية العريقة من أجل هذا "المجنون" المسمى " بالروك أند رول " .واعتقد

الجالسون على المقاعد الجلدية فى لندن انه اذا لم تذاع الاغانى فى الراديو ، اذن هى غير موجودة .

ولكن الذى حدث هو ان هذه الاغانى والفرق انتشرت انتشارا سريعا ، وخرجت من " تحت الارض " لتجتاح " ليفربول " ثم الموانى والمدن الاخرى ثم فى لندن العريقة ذاتها .

والمهم انه بالنسبة للشباب ، الموضوع كان أكثر بكثير من مجرد الاستماع الى أغانى وموسيقى .ما كان يشغل الشباب هو رفض هذة التقاليد المتحجرة التى هوت ببريطانيا لتصبح قوة عالمية من الدرجة الثانية .

كانوا يسمعون ، صباحا ومساء ، ان الامبراطورية البريطانية لاتغيب عنها الشمس ابدا ،

وفجأه سمعوا عن سقوط حكم هذة الامبراطورية فى الهند ، ثم فى الصين . من كان يصدق ؟

غاندى يشجع على العصيان المدنى ، الاقمشة البريطانية تحرق فى اكوام فى ساحات دلهى .

ماو تسى تونج يخطب فى الملايين فى ميدان " تيين آن من " فى بكين .النفوذ البريطانى يتقلص فى جزيرة هونج كونج .

ثم مشاغب آخر فى مصر . والمطالبة بالاستقلال . وإعلان عن تأميم قناة السويس .

قلاقل فى العراق .فى الجزائر .

ثم حملة السويس .

وهزيمة سياسية منكرة لحزب المحافظين .

وفى حين كان " الكبار " يجلسون يتحدثون ويتكلمون ، كل ممسك بالسيجار وال"شيرى " ،

كان الشباب قد اتخذوا قرارهم . كفى .كفانا امبراطورية ، كفانا تقاليد بالية ، كفانا محافظين . بريطانيا محتاجه دم جديد .

ولو كان المطالب بذلك مجموعة صغيرة فلنتجاهلها . لوكانوا بالمئات فلنشجبهم ؛ ونرصدهم ونحاصرهم . ولكن عندما تكون اعدادهم عشرات الالاف نكون بصدد مواجهة " ثقافة جديدة " .

ثقافة قد نختلف فى تقييمها ،

شركة تخسر ٨٠٠ مليون جنيه إسترليني لعدم تعاقدها مع الفريق!

وقد لاتعجب البعض وقد يستهجنها بشدة البعض الآخر . ولكن آبدا لا نستطيع منعها أو محاصرتها بحجة اختلافها عن المعروف والسائد . هذا ما يحدث مع
الديمقراطية .

فى وسط كل هذة المتغيرات ، نشأ فريق البيتلز . ببساطة شديدة حصل جون لينون على جيتار فى عيد ميلاده ، تعلم العزف على ثلاث أو اربع مفاتيح موسيقية ، وقرر تكوين فريق صغير مع زملاءه فى المدرسة . (سنتعرض لنشأة جون لينون وباقى افراد الفريق بالتفصيل فى الحلقات المخصصة لذلك) . بعد فترة قصيرة تعرف على بول ماكارتنى ، ثم جورج هاريسون وقرروا تكوين فريق مكون منهم ، بعد استبعاد الآخرين ، وضم بيت بست الذى كان لدية عدة طبول ، وكانت أمه ستسمح لهم بالتمرين فى جراج المنزل . ثم انضم فتى آخر اليهم يدعى ستيوارت ساتكليف لمجرد انه حصل على مبلغ من المال من بيع لوحة زيتية ، واقنعه جون لينون بشراء جيتار باص والنضمام للفريق

وبدأوا التمارين . لاعقود تنهال عليهم . بالكاد يعرفون ثلاث اغانى . لا أمل فى عزف ستيوارت . لاتوجد نقود يأكلون منها .

مايصبحون فيه ، ينامون عليه مثل أغلبية سكان ليفربول .

ولكن الفريق صمد . قام جورج بمساعدة ستيوارت على الاجادة ، واكتشف جون وبول ان الابداع الحقيقي ينبع ليس من العزف وانما من التأليف ، فانخرطوا يؤلفون الاغانى ويلحنونها . ويقال انهم فى تلك الفترة كتبوا أكثر من ثلاث مائة اغنية لم ترى أغلبها النور .

وعمل الفريق فى العديد من النوادى والمقاهى مقابل خمسة جنيهات أو أقل ، وفى كثير من الاحيان كان العزف مقابل بعض الشطائر المقددة .

كان صراع البيتلز مع الجوع والفقر طويلا وشاقا . ولم يتحسن الوضع حتى بعد حصولهم على عقد للعزف يوميا فى نادى " الكايزر كيلر " فى هامبورج بالمانيا .

هناك كان الفقر فظيعا ، والليالى الجائعة طويلة ، والنوم قليلا ، والعزف ١٢ ساعة يوميا .

ولكن هناك ، تعلم الفريق كيفية العزف باحتراف ، وتلبية امزجة رواد النوادى ، والصمود امام الساعات الطويلة والطلبات المتباينة ، والاهم من ذلك ، الادراك الحقيقى بالتقسيمات الاجتماعية والاقتصادية التى كانت تشكل المجتمع الاوروبي فى ذلك الحين .

وعندما عاد الفريق الى بريطانيا كان أكثر استعدادا لمواجهة مصيرة . ولأتخاذ القرارات اللازمة التي من شأنها دفع الفريق الى لندن ، التى كانت فى ذلك الوقت قمة ما يحلم به أي فنان انجليزى .

وتم تغيير عازف الطبول برنجو ستار .

واصبح الفريق " رباعى " بعد ان توفى ستيوارت ساتكليف اثر نزيف فى المخ .

واشتهر الفريق وذاع صيته فى ليفربول . وتلقوا دعوة اخرى للعب فى المانيا . وهناك وقفوا وراء مغنى مغمور يدعي " تونى شريدان " يعزفون وراءه فى عدة أغانى طبعتها شركة اسطوانات محلية . وكان هذا أول تسجيل لهم على اسطوانات .

ولما عادوا مرة اخرى الى ليفربول ، كانت أخبار الاسطوانه قد بلغت المعجبين بهم .

وفوجئ اصحاب محال الاسطوانات بطلبات عن فريق مجهول يدعى البيتلز .



كان أحد هؤلاء " براين ابشتاين " الذى اهتم بالامر وذهب يستفسر عنهم وأعجب بهم وعرض عليهم خدماته . وتم اتخاذ " براين ابشتاين " مديرا لأعمالهم ، وإن كان الهدف فى ذلك الوقت كان مجرد " البحث عن عمل لهم " .

ونجح " ابشتاين " بما له من اتصالات من الحصول على موعد لعرض الفريق على احدى كبرى شركات الاسطوانات فى انجلترا . وبعد سماع الفريق يغنى ، كان الحكم بأن هذا الفريق

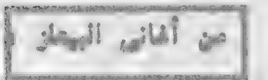
لايوجد لديه مايقدمه من جديد ، وان مصيرة الفشل ، وان علية ان يعود ليدرس كلاسيكيات الموسيقي اولا .

ويقال ان هذا القرار قد كلف هذة الشركة قرابة ال ٨٠٠ مليون جنية استرلينى كانت ستكسبة فى حالة توقيعها عقدا مع البيتلز .

المهم ان ابشتاين وجد الشركة المنافسة ، ووقع معها العقد ، وسجل البيتلز اسطوانتهم الاولى فى لندن وشاهدوا الاغنية تدخل سباق الاغنيات الاكثر مبيعا بالفعل وتحتل المركز الرابع عشر . وكانت هذة هى المرة الاولى والاخيرة التى لم تحتل أغنية لهم المركز الاول .



وبهذة الاغنية :LOVE ME DO بدأت قصة النجاح الاسطورى لفريق البيتلز .



الثورة
(تأليف وتلحين : لينون - ماكارتنى)

تقول انك تريد ثورة
عموما ، انت تدرك
كلنا نتوق الى تغيير العالم
تقول ان هذا هو التطور

الموسيقى الحرجة التى تدعو للتفاؤل والحب تجتاح العالم فى

عموما ، انت تدرك
كلنا نتوق الى تغيير العالم
ولكنك عندما تتحدث عن التدمير
ألا تعلم انك يجب ان تنسانى ؟
ألا تعلم ان كل شئ سيكون على مايرام
تقول انك وجدت حلا حقيقيا
عموما ، انت تدرك
اننا جميعا نتوق لمعرفة الخطة
تسألنى المشاركة
عموما ، انت تدرك
اننا جميعا نفعل مافى المستطاع
ولكن ان كنت تريد اموالاللذين تملأ عقولهم
الكراهية ، كل ما استطيع قوله يا أخى ،
انه سيكون عليك الانتظار
ألا تعلم ان كل شئ سيكون على ما برام
تقول انك ستغير الدستور
عموما ، انت تدرك
اننا جميعا نريد تغيير دماغك
تقول ان هذا هو النمط (السائد)
عموما ، انت تدرك
عليك اولا تحرير عقلك
ولكن ان حملت صور الزعيم ماو
لن تتفق مع أحد على أي حال
ألا تعلم ان كل شئ سيكون على ما برام

REVOLUTION

YOU SAY YOU WANT A REV
WELL, YOU KNOW
WE ALL WANT TO CHANGE THE WORLD
YOU TELL ME



THAT IT'S EVOLUTION
WELL, YOU KNOW
WE ALL WANT TO CHANGE THE WORLD
BUT WHEN YOU TALK ABOUT DESTRUCTION
DON'T YOU KNOW THAT YOU CAN COUNT ME OUT
DON'T YOU KNOW IT'S GONNA BE, ALRIGHT

YOU SAY YOU GOT A REAL SOLUTION,
WELL, YOU KNOW
WE'D ALL LOVE TO SEE THE PLAN
YOU ASK ME FOR A CONTRIBUTION
WELL, YOU KNOW
WE'RE ALL DOING WHAT WE CAN
BUT IF YOU WANT MONEY FOR PEOPLE WITH MINDS THAT HATE
ALL I CAN TELL YOU IS BROTHE:
YOU HAVE TO WAIT
DON'T YOU KNOW IT'S GONNA BE ALRIGHT
YOU SAY YOU'LL CHANGE THE CONSTITUTION
WELL, YOU KNOW
WE ALL WANT TO CHANGE YOUR HEAD
YOU TELL ME IT'S THE INSTITUTION
WELL, YOU KNOW
YOU BETTER FREE YOUR MIND INSTEAD
BUT IF YOU GO CARRYING PICTURES OF CHAIRMAN MAO
YOU AIN'T GOING TO MAKE IT WITH ANYONE



ANYHOW
DON'T YOU KNOW IT'S GONNA BE, ALRIGHT

* * *

TAXMAN
محصل الضرائب
تأليف وتلحين : جورج هاريسون

LET ME TELL YOU HOW IT WILL BE
دعنى اشرح لك كيف سيكون الحال
THERE'S ONE FOR YOU, NINETEEN FOR ME
نصيب لك ، و١٩ نصيب لى
'CAUSE I'M THE TAXMAN, YEAH I'M THE TAXMAN
لأننى محصل الضرائب
SHOULD FIVE PERCENT APPEAR TOO SMALL
ولو بدت خمس فى المائة قليلة
BE THANKFUL I DON'T TAKE IT ALL
احمد ربك اننى لم أخذة كلة
'CAUSE I'M THE TAXMAN, YEAH I'M THE TAXMAN
لأننى محصل الضرائب
IF YOU DRIVE A CAR, I'LL TAX THE STREET
لو سقت سيارة ، سأحصل على الطريق
IF YOU TRY TO SIT, I'LL TAX YOUR SEAT
لو حاولت الجلوس ، سأحصل على مقعدك
IF YOU GET TOO COLD, I'LL TAX THE HEAT
لو شعرت بالبرد ، سأحصل على التدفئة
IF YOU TAKE A WALK, I'LL TAX YOUR FEET
لو تنزهت ، سأحصل على قدميك
'CAUSE I'M THE TAXMAN, YEAH I'M THE TAXMAN
لأننى محصل الضرائب
DON'T ASK ME WHAT I WANT IT FOR
لا تسألنى لماذا اريده (المال)
TAXMAN, MISTER WILSON
السيد ويلسون محصل للضرائب
IF YOU DON'T WANT TO PAY SOME MORE
اذا لا تريد دفع المزيد
TAXMAN MISTER HEATH
السيد هيث محصل للضرائب
AND MY ADVICE FOR THOSE WHO DIE
ونصيحتى للذين يموتون
DECLARE THE PENNIES ON YOUR EYES
اعلنوا قروشكم واضحة للجميع
'CAUSE I'M THE TAXMAN, YEAH I'M THE TAXMAN
لأننى محصل الضرائب
AND YOU'RE WORKING FOR NO-ONE BUT ME
لأنكم لا تعملون إلا لسواى

* * *

محمد شبل

هتاف الصامتين

فى أفلام

عادل إمام

من بين الملامح الواضحة للسينما المصرية خلال الثمانينات ، يبرز عادل إمام نجماً شعبياً ، يملك بالنسبة للجماهير قدرة متفردة على الاقناع والامتاع معاً . وعلى الرغم من أن كثيراً من أفلامه قد تثير تساؤلات حقيقية حول تواضع المستوى الفنى لها ، أو سلبية المعايير الأخلاقية والسياسية التى تقف على أرضها ، إلا أن النجاح الهائل الذى تحققه تلك الأفلام يؤكد أنها تملك قدرة - لايمكن انكارها - على مس الوجدان الجمعى لدى القطاع الأعظم من الجماهير ، هذا الوجدان الذى يختزن ميراثاً هائلاً ومركباً من القيم ، تتوارثه الشعب المصرى جيلاً بعد جيل .

وربما كان هناك بعض الحق فى أن ننظر للأفلام التى تحقق نجاحاً تجارياً بقدر من الحذر ، لأن هذا النجاح يأتى فى العادة من خلال تنازلات ، يكون الهدف منها - قبل كل شئ - تحقيق الربح المادى ، حتى لو كان الثمن هو مغازلة مشاعر الجمهور ، ودغدغة غرائزه .

لكن للقضية وجهاً آخر ، إذ لابد أن الجماهير تجد فى تلك الأفلام - مهما كانت بدائيتها وخشونتها - قدرة على التواصل مع القطاعات الأعظم منهم . وإذا كان علينا ألا نلوم الفقراء على طعامهم الهزيل ، فإنه يجب علينا أن نعرف الدافع الحقيقى وراء اقبالهم على التهامه . فالجماهير تبحث دائما ، وفى كل العصور ، عن صورة لوجودها تكون أكثر صدقاً من الصورة (الرسمية) أو (المثقفة) لها ، صورة لاتجد طرقاً للتعبير عنها إلا على طريقة (هتاف الصامتين) ، كما أسماها الدكتور سيد عويس .

وها هى سينما عادل إمام تصنع لهم مثل هذه الصورة ، فتحكى عن صغار الناس فى مجتمع قاس لايرحم ، وإن اختلطت فى تلك الصورة - بشكل عفوى ومقصود فى الوقت ذاته - عناصر السلب والايجاب.

ولقد أدرك عادل إمام - بعد العديد من أفلامه الكوميدية التقليدية خلال السبعينات - أن عليه أن يبلور شخصية فنية ، تقترب أكثر فأكثر من الرجل العادى . وهو لم يكتف لتحقيق ذلك ببعض اللمسات الخارجية فيما يشبه اللوازم التى أصبحت لصيقة بصورته كنجم (والتى لايهملها عادل إمام أبداً ، بل لعله يهتم بها أحياناً اهتماماً زائداً) ، لكن الأهم أن تمثل تلك الشخصية - بالنسبة للمتفرج - مثيلاً وبديلاً فى آن واحد ، مثيلاً لأنه يشبه فى ملامحه الخارجية وأزماته الداخلية رجل الشارع العادى ، وبديلاً لأنه ينطق بما لايستطيع المتفرج أن يبوح به ، ولأنه يخوض فى الأفلام تلك البحار التى يعجز المتفرج عنها فى الواقع ، ويحقق انتصاراً وهمياً مؤقتاً للمشاهد الذى أتى إلى دار السينما وهو يحمل معه هزائمه اليومية الصغيرة ، ومرارة عميقة تجاه أصحاب السلطة والسلطان .

حاميها حراميها

ليس هناك ماهو أكثر بلاغة من ذلك المثل الشعبى المصرى ، الذى يلخص حكمة هذا الشعب التى استخلصها عبر عصور من الظلام والظلم ، ورؤيته المتشككة تجاه السلطة ،والتى تذكرنا بقول عمر بن عبيد عندما علم أن السلطان يقطع يد أحد اللصوص : «سارق العلانية يقطع سارق السر» .

إن تلك الرؤية التى تميل نحو عدم الاعتراف بالسلطة ، تسرى فى معظم أفلام عادل إمام ، وهو مابنعكس فى الحلول الفردية التى تدعولها ، وفقدان الثقة الكامل فى أن السلطة تستطيع ، أو تسعى ، إلى إقامة العدل .

إن السلطة تبدو عاجزة غافلة فى «كراكون فى الشارع» ،حتى أن رجال البوليس والنيابة يقعون ضحية لمقاول نصاب ، يدعى التقوى والصلاح ، ويتفاخر بأن هناك الكثيرين على شاكلته (دى البلد مليانة) . لذلك تبدو السخرية أشد مرارة عندما يقف أحد المسئولين ، يخطب فى المنكوبين الذين انهارت مساكنهم ، يعدهم بأن يجدلهم حلاً ، مكتفياً بترديد شعارات جوفاء ، لاتمنح المشردين ملجأ أو مأوى .

وفى الدور الوحيد الذى قام فيه عادل إمام بدور ضابط الشرطة الصغير فى «النمر والأنثى» ،يبدو ضعيفاً فى حياته البسيطة المتقشفة أمام الثراء الفاحش للخارجين على القانون ، المتحالفين مع بعض رجال السلطة الكبار .

إن هذا التواطؤ بين السلطة والمجرمين يبدو واضحاً فى «الغول» ،حيث تكون العدالة الضائعة ، هى التيمة المحورية للفيلم ،والتى لاينسى الفيلم أن يؤكدها من خلال التفاصيل الصغيرة ،مثلما ترى بائعى السميط يطوفون فى ردهات المحاكم . إن بطل الفيلم - الصحفى - ينشد تحقيق العدل ،ويطلب القصاص لمصرع رجل فقير،فيفاجأ بأن السلطة تتستر على القاتل لأنه ابن رجل غنى،(غول) من غيلان المال والأعمال . إن المنطق الذى ينادى به أصحاب النفوذ هو أن تلك الجريمة (لاهى أول جريمة ولا آخر جريمة .. جرايم أكثر منها حصلت ، ولا حد دخل السجن ولاحتى حققوا معاه) . بل إن أصحاب القضية أنفسهم يبيعون



ستهم بالمال تحت ضغط الحاجة والفقر ، لأن (القانون لاها يحيى ميت ولاها يوكل جمان) . ولا يكون أمام البطل إلا الاحساس المرير بعبثية الحياة فى ظل المجتمع والسلطة الظالمين :(انتوا عايزين عدالة برجل واحدة بس . انت لو ما ولقتش فى العدالة ، الحياة نفسها مش هايبقى لها معنى) . وبينما تراه فى اللقطات الأولى من الفيلم يقبض بيده على شئ وهمى، تجده فى المشهد الأخير ممسكاً بساطور ، يخفيه بين طيات كتاب (قدر الانسان) لمالرو ، ويهوى به على (الغول) ،الذى يصرخ وهو مضرج بدمائه (مش معقول)،فى إشارة ذكية إلى ماقيل عن الكلمات الأخيرة التى صرخ بها السادات فى لحظة اغتياله ! لقد تواطأت السلطة مع الغول ومع القتلة ،ورفضت أن تقف موقف القاضى العادل، فاختار البطل - أو اضطر - أن ينصب من نفسه جلاداً، يقتص للفقراء.

إن تلك الرؤية السوداوية تجاه السلطة تصبح أكثر مباشرة فى«حتى لايطير الدخان»، فيغزل الفيلم خيوطه الميلودرامية من خلال قصة صعود شاب فقير إلى عالم السلطة والوجاهة الاجتماعية عن طريق ادارته لجلسات تعاطى الحشيش ،حيث يجتمع بعض أصحاب النفوذ السياسى بتجار المخدرات ورجال الأعمال (وهى الصورة ذاتها التى ظهرت من قبل فى «لامن شاف ولامن درى»، وكذلك فى «أمهات فى المنفى») . كما يصبح الكذب على الجماهير هو لغة تجار السياسة، فحين يرشح البطل - ذو الماضى الاجرامى - نفسه لمجلس الشعب عضواً عن الفلاحين، يلبس جلباباً ويتبرع للمسجد ، ويشارك الفلاحين مآتمهم وأفراحهم .

لكن النظرة المتشككة تجاه السلطة تصبح أكثر حدة وتأثيراً عن طريق السخرية، التى يتقنها عادل إمام،ويفهمها الشعب المصرى . فمنذ«رجب فوق صفيح ساخن» يبدو البطل ضحية للسرقة والنصب داخل غابة المدينة التى لاتعرف المشاعر ، لكن السلطة - تترك الخارجين على القانون وتطارد الضحية . أما فى «عصابة حمادة وتوتو» ،فإن اللصوصية لاتقتصر على اللصوص الحقيقيين، ولا تمتد فقط إلى اللصوص المختفين وراء الأقنعة مثل الجشعين من الأطباء والمستشفيات والمدارس الخاصة ، بل إن الدولة نفسها تقوم بسرقة الناس ،حيث تصل البطل فاتورة تليفون بمكالمات زائدة فى الوقت الذى تكون فيه الحرارة مقطوعة أصلاً !! ولعل أمتع مشاهد الفيلم هى عندما يذهب البطل لسرقة خزينة هيئة التليفونات فيساعده الجمهور الواقف فى الطابور !

وفى «الأفوكاتو» يبدو المصرى مطحوناً تحت تأثير سلطة لاتستطيع أن تحقق العدل ، بينما تمارس القهر ضد الفكر (أى كلمة صعبة غامضة مشققة ، على طول الكلاب دى تاكل اللى بيقولها) . وهذا مايجعل مناشدة السلطة بتطبيق حقوق الانسان داخل السجن - فى الفيلم - عبثاً مضحكاً ، لأنها غير مطبقة خارجه . كما يمكنك أن تفهم لماذا لايؤمن الناس حقاً بالشعارات السياسية التى ترفعها السلطة ، فتبدو بطلة الفيلم وهى تعلم الأطفال أن (العمل شرف) فى الوقت الذى تقطف فيه عيدان الملوخية ، وتهرب من المدرسة لخلوة جنسية قصيرة مع زوجها الهارب من السجن فى مهمة(قانونية) !

ويسود القانون إلى حماية المجرمين والبلطجية فى «الهلفوت» ، حتى أن الهلفوت الأبله ، عندما تحول بدوره إلى بلطجى ، يكتسب احترام رجال السلطة . وإذا كان عسكرى الداورية - أحد رموز السلطة - يظهر فى الفيلم وهو يتمايل راقصاً على دقات حفلات الزار والدعارة ، فإنه فى «رمضان فوق البركان» يتسول المساعدة من الخارجين على القانون .إن حارس السجن يتصور أن البطل السجين قد نجح فى اختلاس ثروة كبيرة ، وأنه سوف يقيم مشروعات بعد خروجه من السجن ، لذلك فهو يرجوه أن يجد لابنه عملاً فى إحدى شركاته . وهى الصورة ذاتها التى يضخمها «الأفوكاتو» ، حين يجعل حارس السجن خادماً مطيعاً ، للمجرمين الكبار ، فى السجون ذات (الخمسة نجوم) !

إن سرقت ، اسرق جمل

هذا هو مايقوله بطل «رمضان فوق البركان» ، لأن مجتمعاً يقوم على تواطؤ السلطة مع اللصوص لايترك طريقاً للبطل إلا أن يكون لصاً . وإذا كان لجوء البطل إلى اللصوصية فى أفلام عادل إمام يحمل ظلالاً قوية من تراث الأدب الشعبى ، فإنه يعكس احساساً عميقاً بالظلم الاجتماعى الذى يدفع باللصوص الصغار إلى السجن ، بينما تحمى السلطة - عمداً أو غفلة - اللصوص الكبار ، وإذا كان مثل هذا النظام الاجتماعى يقوم على قانون الغاب ، حيث (السمك يأكل بعضه) ، فإن البطل يرفع شعار (فيها والا أخفيها) .

ومنذ «المحفظة معايا» تحمل أفلام عادل إمام إشارة واضحة إلى اللصوص الكبار الذين أصبحوا يتربعون على أعلى المناصب الاجتماعية . كما يضيع بطل «رجب فوق صفيح ساخن» فى غابة لصوص المدينة الذين يتنكرون وراء ملابسهم الأنيقة . إن بطلنا الفلاح القادم لتوه من القرية لايتصور أن سارقه نصاب ، لأنه (لابس أفندى) ، لكن رجب يتحول فى النهاية إلى أفندى فى مجتمع الأفندية ، لينصب بدوره على القرويين القادمين إلى القاهرة .

وفى «حب فى الزنزانه» يقبل البطل - فى





صفقة خاسرة - أن يدخل السجن بدلاً من رجل أعمال يشعل الحرائق فى منازل الفقراء ليطردهم منها ويستولى على الأرض ، لكنه بعد خروجه من السجن يكتشف أنه كان ضحية وعدكاذب ، بل إنه يجد أسوار السجن أكثر رحمة من حرية مزعومة يمنحها له مجتمع يستمر فى املاء شروطه الظالمة عليه . وينتهى الفيلم - فى قالب دائرى - بفقير جديد ، يقبل أن يضحى بحريته ليدخل السجن متحملاً قضية رجل أعمال يقوم باستيراد الأغذية الفاسدة ، وكأن الفيلم يؤكد على أنه لامكان للحديث عن الأخلاق ، أو امتلاك الحرية ، إذا ظلت الشروط الاجتماعية على حالها .

ويضع فيلم «مين فينا الحرامى» القضية بشكل أكثر حسماً ، فيقول الشقيق اللص إلى شقيقه الشريف : (انت خيالى وعايش فى الأوهام ومانتاش حاسس بالغابة اللى احنا عايشين فيها الضعيف الى ربك هو اللى بينداس بالرجلين) .

أما فى «المولد» فإن التعبير عن اللجوء إلى اللصوصية يبلغ ذروته ، حيث يصبح (المولد) واقعاً ورمزاً فى الوقت ذاته للمجتمع الذى أصبحت فيه الطريق إلى الحياة الشريفة - ويالله المفارقة السوداء - هى سرقة كبيرة : (خبطة واحدة ونستريح العمر كله دا مش حرام . هى هجمة واحدة على ناس مابيعرفوش الحلال ، ناس مش حاسين بأى حاجه

العز لم يعد بهدلة

يشير «المولد» أيضا إلى اختلال القيم التى أصبحت تقيس كل شئ بالمال ، وبالمظاهر الكاذبة : (مقام يعنى فلوس .. مش الأغنيا هما الناس اللى طول عمرنا بنبص لهم على أنهم أسيادنا ؟ .. أتارى المسألة فرقها بسيط . شوية أونطة تبقى من الأكابر ، وهما لا أكابر ولاحاجة ، دول حرامية ، محدثين نعمة .. كله بيدارى بالهدوم ..)

لقد اختفت من المجتمع قيمة الشرف أو العلم وأصبح المال هو القيمة الوحيدة ، وهو مايجعل أفلام عادل إمام تسخر دائما من الأغنياء الذين يتسترون وراء قناع زائف ، ومن المجتمع الذى يحترم الغنى حتى لو كان فى حقيقته نصاباً ، وتحاول أن تؤكد على أن الفقراء أكثر شرفاً ونبلاً . إن البطل فى «رجب» لايجد إلا ابنه صاحب المستوقد يبث لها همومه بينما تستغله النساء الثريات فى أحط الأعمال وأشقاها ، وهى الفكرة ذاتها التى يؤكدها «شعبان تحت الصفر» حيث يتسم كل الأغنياء بالدهاء الشرير ، أما الحب الحقيقى فلا يجده البطل إلا فى حبيبته الفقيرة التى يعود اليها فى النهاية بعد انغماسه الكامل فى الثراء والجنس .

لكن الوجه الأكثر أهمية فى معظم أفلام عادل إمام خلال الثمانينات ، أن البطل قد بات أكثر ادراكاً ووعياً بأن عليه - فى مجتمع انقلبت فيه المعايير - أن يصبح غنياً ، حتى بوسائل غير مشروعة . لقد أصبح البطل يسعى إلى الثراء بأى ثمن لينضم إلى زمرة المرموقين فى المجتمع الجديد . يعيش البطل فى «الجحيم» حياة اجتماعية خانقة ، اذ لايستطيع أن يلبى المطالب المتواضعة لأسرته ، بينما يرى أن هناك من ينفق الآلاف ، لذلك لا يتورع عن السرقة ، ويحاول أن يبرر الأمر لنفسه وللآخرين : (أنا وابويا من جيلين مختلفين . أنا عايز أعيش . عايز أوصل بسرعة . هو مش كده . كان دايماً يقول من رضى بقليله عاش ، اللى يبص لفوق يتعب . كلام فيه استسلام وخضوع .. عايز أبقى فوق ، وهو عايزنى أفضل معاه تحت ..)

وفى «المتسول» يفهم البطل أن من معه قرش ، يساوى قرشاً ، لذلك يسعى للاستقلال بعمله كمتسول - قطاع خاص (!) - حتى لايظل عاملاً بالأجرة فى مملكة الشحاذين . بينما يؤمن البطل الشرير فى «مين فينا الحرامى» بأن (ميزان قوتك هو رصيدك فى البنك) . لذلك يسير فى طريق الجريمة بشجاعة تدفعه إليها رغبة جارفة فى الثروة والقوة . وهو مايكرره «رمضان فوق البركان» حيث لايلقى البطل الفقير إلا تجاهل المجتمع واحتقاره ، بينما يلقى الاحترام عندما يصبح لصاً غنياً : (احنا فى زمن بطاقة الانسان فلوسه) . وفى مجتمع كهذا ، يملأ الخوف زوج الفقير عندما يواجه الآخرين ، بينما يمتلك القوة والشجاعة عندما يحصل على المال حتى لو كان مسروقاً . وفى «الهلفوت» يصبح البطل (سيد الناس) ، لانه أصبح يملك المال ، فينصبونه طاغية جديداً ، حتى لو كان هو الآخر ، مثلما كان البلطجى السابق (عايش بالأونطة ، مخوف بلد بحالها مخوخ من جوه) ..

أما فى «حتى لايطير الدخان» ، يصمم البطل على أن يثبت للأغنياء (أنى لومشيت فى سكتهم ها ابقى احسن منهم ، ها ابقى سيد سيدهم) . وأن يصبح سيداً معناه أن يملك المال بوسائل غير مشروعة ، لأن هذا الزمن (صعب أن يعيش الواحد فيه بشرفه ..) إنه الزمن الذى استطاع فيه «الغول» بماله أن يشترى (الدكاترة وأساتذة الجامعات) ، يوظفهم تحت إمرته ، يخططون لمشروعاته القذرة ويلوون له عنق القانون كيفما أراد .

سارق الإبرة

وسارق المنبر

إذن ، فى مثل هذا المجتمع ، لن يصبح المرء غنياً إلا إذا كان لصاً ، وكل من يسمى نفسه رجل أعمال فى عصر الانفتاح يظهر فى أفلام عادل إمام على أنه وحش يدعى الشرف ويتستر وراء الوجاهة الاجتماعية . فى فيلم «لامن شاف ولامن درى» ، وفيلم «أمهات فى المنفى» ،تصبح الدعارة طريقاً الى التجارة ، ومن الممكن للمرء أن يتغاضى عن شرفه من أجل تحقيق مكاسب فاحشة . تلك هى (مبادئ) رجل الأعمال فى العصر الجديد ، (مبادئه إن البيزنس عنده حاجة والحريم حاجة تانية . ومايسمحش أبداً للعواطف تأثر على شغله) .

وفي «عصابة حمادة وتوتو» يصبح اللص واحداً من رجال الأعمال ، حيث لاتبتعد الوسائل التى تعقد بها الصفقات كثيراً عن اللصوصية الحقيقية ، ويسمى الشحاذ نفسه فى «المتسول» مستشاراً ، كما يجد رجل الأعمال تتشابك تجارته فى الاستيراد والتصدير مع تجارة العملة والمخدرات والسوق السوداء . بل أن المجرمين المحترفين قد سمح لهم فى «رمضان فوق البركان» بممارسة النصب العلنى مستخدمين ستار الذين

الدعوة للعنف .. رؤية السينما الجديدة



بالحلال ، بالمضاربة والصكوك ، حلالاً بلالا لحماً نبياً).

وتشير هذه الأفلام على نحو قوى إلى أن ـك من القوانين التى (تصنعها) السلطة - أو ـم (تطبخها) - من أجل أن يمارس النصابون صلباتهم بشكل علنى . فى فيلم «المولد» يلعب ـطل - المجرم السابق - إلى استثمار - أمواله ـ المشروعات التى تعلن عنها الحكومة بينما فى ـ حقيقتها مجال آخر للتهليب : (ألعب - الأحط ـشخبير - فى المدن الجديدة ، فى الأراضى لمستصلحة ،فى السياحة ..) . وإذا كان «حتى ـبطير الدخان» يؤكد على أن أغنياء الانفتاح ـبحوا إلا (ناس ألعن من بتوع زمان بكتير) ، ـان «الغول» يشير إلى أنهم ينتمون إلى نفس ـطبقة التى لا تتوقف عن مص دم الجماهير فى كل الظروف : (انفتاح ؟ أهلاً وسهلاً . احنا ها نستورد الشمس من أوربا ونبيعها فى قزايز وها ـلاقى برضه اللى هايشتريها . انغلاق ؟ برضه ـهلاً وسهلاً ، عاملين حسابه ، وبرضه هانكسب ـنه أكثر من الانفتاح).

وإذا كان رجال الأعمال فى عصر الانفتاح على ـذا القدر من فقدان الشرف ، فإنه ليس من ـغريب أن يبدو اللصوص الصغار فى أفلام عادل ـمام على العكس تماماً ، أكثر ظرفاً ونقاء من ـصحاب الوجاهة الاجتماعية الزائفة . فى «احترس من الخط» نرى اللصوص يحكمهم ميثاق شرف ـجعلهم يتكاتفون مع البطل فى المآزق والشدائد ، كل يؤدى دوره المرسوم له فى تخصصه الاجرامى ! كما تتخذ الصداقة بين اللصوص الصغار مكاناً ـاماً فى «سلام ياصاحبى» ، حيث يعيش البطل فى غابة المجتمع القاسى ، يفقد المعنى الحقيقى الوحيد فى حياته عندما يلقى صديقه مصرعه على يد المجرمين الكبار ، فلا يجد أمامه إلا الانتقام والسباحة فى بحر من الدماء .

خطوة إلى الأمام

خطوتان إلى الخلف

تحولت الرؤية الاجتماعية إذن فى أفلام عادل إمام من النقيض إلى النقيض بين السبعينات والثمانينات . لقد كانت أفلامه الأولى مثل «احنا بتوع الاتوبيس» أو «رجب فوق صفيح ساخن» تدعو إلى الاستكانة والانسحاب (دى بلدهم ويعملوا مابدالهم) ، أو تدعو إلى الصبر على الظلم (كل شئ بالصبر والايمان يتحل .. لازم يكون فيه ظالم ومظلوم ، عشان كده فيه جنة ونار !!) كما لو أن الثورة على الظلم نوع من الالحاد ، أو تنادى بالاستسلام للثنائية بين القاهرين والمقهورين (الدنيا لازم يبقى فيها اللى زيى واللى زيك ، اللى بياخد واللى بيتاخد منه) .

وها هى أفلام عادل إمام تنتقل بعد عقد كامل من الزمن من الدعوة للامتثال إلى الدعوة للعنف الدموى . هل كان ذلك تعبيرا عن أفول الأمل فى تغيير حقيقى يعيد ميزان العدل الاجتماعى إلى نصابه ؟ أم أنها تعبير عن دهاء صناع السينما لافراغ شحنة الرفض والمرارة فى نفوس المقهورين ؟ أم تراها فى جوهرها تزييفاً مقصوداً وواعياً لوعى الجماهير .

ربما كانت الاجابة الحقيقية تكمن فى تلك الاجابات جميعها . فمن المؤكد أن تلك الأفلام ، حتى مع اختلافنا مع ماتطرحه من معايير أخلاقية أو سياسية ، تعكس فى جانبها الواعى واللاواعى معاً ، مجموعة المبادئ والقيم التى تؤمن بها الجماهير فى أعماقها ، السلبية منها والايجابية على السواء .

وماذا يمكن أن تجد فى ضمير البسطاء ، فى الفترات التاريخية الحالكة ، إلا حلماً غائماً ومشوشاً من أحلام الفقراء والمطحونين ؟

لكن صناعة السينما لاتكتفى أبداً بأن تعبر عن آلام الناس . إنها أيضاً تتاجر بها ، وتصنع منها عاملاً مؤثراً فى صياغة - وربما تشويه - وجدان الشعب من جديد .

وهنا يأتى دور النجم ، اللى تصنعه السينما بحيث يرى المتفرج فيه صورته المثالية على الشاشة ، ونفس الوقت الذى يحاول فيه المتفرج أن يحاكيه . وإذا كان عادل إمام يمثل دائماً فارساً من نوع جديد ، فارساً بسيطاً مطحوناً تقابله الحياة فى البداية بالصفعات والركلات ، فانه فى النهاية يدعوه إلى حلم زائف بحل فردى دموى ، أو يدعوه إلى الدخول فى القطيع من جديد .

وإذا كان على السينما الجادة أن تعبر عن الشعب ، وتمنحه وعياً صحيحاً ، فإن عليها أن تصنع بدورها الأفلام التى لاتتجاهل الوجدان الجمعى للجماهير ، وهتافهم الصامت ، وأن تخلق لهم بطلاً يحس بنبضهم ، ويجسد أمنياتهم وأحلامهم فى بناء وطن أكثر قوة ، ومجتمع أكثر قوة ، ومجتمع أكثر عدلاً .

أحمد يوسف



اللعب على المضمون.. بين اطلاق الانتاج

نحن الآن فى رمضان.. سوف نجتمع لنرى الفزورة، وجوائزها، واعلاناتها، والف ليلة وليلة، وليالى الحلمية، ورأفت الهجان، والمسلسل الدينى، ونادى النجوم، ونجوم دورى رمسيس الخاص، وفى المساء نسهر مع أفلام عربية ومسرحيات حتى يأتى السحور، فنرى المسحراتى.. ثم يطلع الفجر. ولكن هذا ليس كل شئ، فبعضنا سيرابط قبل الفوازير من أجل (بوجى وطمطم) بعد الافطار مباشرة. وبعضنا لن تفوته فزورة عمو فؤاد قبل الأفطار. وبعضنا سيبدأ البرنامج من أوله «يسلى صيامه» أي من الساعة الثانية بعد الظهر، أو ربما الواحدة حيث (طبق اليوم) الذى يثير شهيتنا، خاصة إذا كان من فنادق الخمس نجوم، وبعده الفيلم العربى المعاد أو مباراة الكرة.. وربما يقدمون لنا مسلسلاً مبكرا عن موعده، أى فى الخامسة.

هذه الكلمات لا ارددها أنا وحدى، ولكنها تدور فى ذهن ملايين منا، بوعى أو بدونه، فأول ما يتوارد لأذهاننا مع مجئ شهر رمضان الكريم هو برامج ومسلسلات العام كله التى يجهزونها للعرض فيه، وجبة خاصة فاخرة تتيح لنا أنهاراً من المتعة والتسلية ورؤية كل مانحبه، الافلام الجديدة من الانتاج السينمائى، وأفلام التليفزيون التى ينتجها ممدوح الليثى ويتحدث عنها للصحافة طوال العام لكنه يحجزها للعرض فى رمضان!، وكذلك أحسن مسلسلات العام تحجز مكاناً أو هى محجوز لها فى قطار رمضان باعتبار قوة وتأثير اسماء مخرجيها (يحيى العلمى – محمد فاضل – اسماعيل عبد الحافظ) والتاريخية (احمد طنطاوى – احمد توفيق) وربما يضاف الى هؤلاء اسمان أو اسم ثالث من باب الاحتياط. وكذلك، فالفوازير التى تنتج بعناية وتعتبر برنامج المنوعات المصرى الوحيد المحترم المقرر سنويا، يأتى موعد امتحانها فى رمضان وما يتبعه من شكوى الاساتذه والمسئولين وكذلك التلامذة، من مستواها مقارنة بمستوى الاعوام الماضية أو الغابرة منذ أن بدأت.. وبرغم الحادث الفاجع، أى وفاة الحاج فهمى، إلا أن المقرر لم ينقص أو يهتز فهاهو (ممدوح مراد) و (جمال عبد الحميد) يكملان المقرر حتى يتسنى للتلاميذ الامتحان فيه من المحيط إلى الخليج فى وقت واحد معا، لم لا، فالفوازير هى المنهج الوحيد الذى يتلقاه العرب جميعا فى وقت واحد، بالطائرات وبالاقمار الصناعية، يومياً ومنذ سنوات .. أحيانا مايجتمع العرب على رؤية اعمال بعينها بشكل مكثف، ومن النادر أن يحدث هذا بنفس مستوى التكاتف حول الفزورة، لكن «رأفت الهجان» و«الليالى» أنضما هذا العام إلى صاروخ الفوازير..

نأتى إلى «النجومية»، فهذا هو عز موسمها، لان موسم النجوم مستمر طوال العام، ولكنه مركز فى رمضان، وهم ثلاثة انواع من النجوم نجوم الفن، ونجوم الرياضة، وبعض نجوم الكتابة والسياسة، وعليه، فنحن فى مباريات مستمرة معهم من (الدورى) الى (ياتليفزيون يا) إلى (سباق النجوم) إلى (حوار صريح جدا) و(أنا وهو) و(سؤال محيرنى) و(تطلملى.. اطلملك)الخ.. فأى عنوان يخطر على بالنا ممكن أن يكون برنامجاً للنجوم، وماعلينا إلا القعود والاستمرار أمام الجهاز السحرى، فهل بعد كل هذا الجهد والفلوس التى انفقت من أجلنا على مدى عام كامل نغلقة؟.. ومن الذى يحلم بأكثر من هذا.. أو يشكو من وقت فراغ بعد الآن، بعد أن ملأ التليفزيون الفراغات كلها.

السؤال الان هو .. فى أى عام نحن.. وعن أى سنة نتحدث، ١٩٩٠ أو ١٩٨٨، أو ١٩٨٣.. أو ١٩٨٠؟

وهل هناك فرق، حقيقى، بين ١٩٨٠ ، ١٩٩٠؟

نعم.. وهل نتغاضى عن الفروق الهائلة بين (الخاطبة) و(عروستى) وغيرها من الألغاز.. وهل ننكر الفروق الكبيرة بين عمو فؤاد (فؤاد المهندس) وجده عبده (مدبولى) فى تقديم الفوازير للاطفال؟، وهل ينكر أحدنا ذلك المجهود المبذول فى المسلسلات التاريخية الدينية من أجل أن تتشابه هكذا كأنها مسلسل واحد ممتد(الا باستثناء مسلسل أو اثنين طوال عشرة اعوام)؟

وهل لاحظنا الفروق بين كلام هذا الفنان وتلك

وتقييد الإبداع

المغنية فى [illegible] القنوات، أو ذلك [illegible] هنا اللاعب صاحب [illegible] مع خفيف، ثم المؤلف [illegible] حبيب) و(رمسيس) [illegible] البرامج.. ولابد أننا [illegible] هنا التنوع، فى [illegible] تستقبل الحياة بدونها.

الحياة فى [illegible] التليفزيون، تتطلب من [illegible] مع برامج الوعظ [illegible] الناس من الاكل الثقيل [illegible] حتى لاتتعب معدتهم [illegible] برامج من الناس أن تتغاضى [illegible] والدروس، فليست [illegible] بها البعض، خاصة [illegible] لايحتاج

[illegible] إلى وجع الدماغ، وليس لديه مخ ولاصبر [illegible].

[illegible] الثقافة، والعلم، أى برامج الاساتذة [illegible]، وكيف لمعدته المثقلة أن [illegible] تكنولوجيا) و(الاقتصاد) والحديث عن [illegible].. ومن هنا فمن الافضل أن ترتاح [illegible] شهر..

[illegible] برامج (اخترنا لك) و(الباليه) و(العالم [illegible] المسرح) فهى تقدم فنوناً، واستعراضات [illegible]، لاتناسب وقار الشاشة فى رمضان، [illegible] لاتناسب برامج الفنون التشكيلية، اللوحات [illegible] رمضان وربما تستمر برامج السينما [illegible] و(الاوسكار)، أما الافلام التسجيلية –[illegible] السينما الاخرى– فهى أصلا ممنوعة إلا عندما تكون هناك وقائع خالية على الشاشة أو فيلم من [illegible] التليفزيون يحظى بأعجاب المسئولين عن [illegible]. غير هذا فمن المستجد أن توضع تلك التسجيليات التى تصف زخارف البيوت [illegible] مشربيات ومقتضيات المتاحف والمنمنمات العربية وكله تسجيلى).

برامج المرأة . ما أهميتها ايضا فى رمضان.. يكفيها (اى المرأة) أن ترى كيف يعد «شيفات» الفنادق اكلاتهم، وان تنفذ من الشاشة إلى مطابخ [illegible] نجوم التى لاتحلم بها .. ثم أن النساء غير محتاجات لبرامج تحدثهن عن النشاط الاجتماعى وتنظيم الاسرة ومشروعات التنمية وتعليم الهوايات وطرق التربية فى الشهر الكريم.. فيكفى طبق [illegible]..

أما (السياسة).. فهل يتحمل الصائم البرامج السياسية والحديث عن المشكلات والقضايا وهو فى هذه الحالة.. وكيف نرهقه بأحاديث عن المياه والمجارى والطرق والمعمار [illegible].. وهنا نحن المستحب أن تتقلص برامج السياسة والتحقيقات إلى ادنى حدودها.. وأن تكتفى بنشرات الاخبار.

(ملحوظة): نشرات الاخبار تكاد تكون البرنامج الوحيد المحدد وقته وموعده اذا لم تجر عملية أى انتقالات خارجية أو مباريات كرة أو تغطيات اعلامية للشئون الرئاسية، أما مواعيد الاعمال الاخرى فغير محددة تماما وفقا لجداول الاعلانات المفتوحة للتلقى حتى آخر لحظة.. وهي ليست ميزة خارقة أو حب إلهى للاعلان ولكنها سطوته المالية التى قفزت بمساحاته إلى ٩ر٢٪ من ساعات الارسال التليفزيونى و ٢٠ر٪ من ساعات الارسال الاذاعى حيث يحقق اعلى إيرادات للاذاعة

<<——





والتليفزيون بلغت فى العام الماضى اكثر من ٣٩ مليونا من الجنيهات (٣٩٢٨٤٦١٤ جنيه) ضمن ايراد كلى قدره ١٠٦ مليونا. ومن المقرر أن يتضاعف هذا الرقم لحصيلة الاعلانات هذا العام- والمؤشر هو اعلانات الشاشة فى رمضان- بعد التنظيم الجديد لادارة الاعلانات فى اتحاد الاذاعة والتليفزيون) والاتجاه للتعامل مع الوكالات الاعلانية العالمية، والوكالات العربية بعد أن وصل ارسال التليفزيون المصرى إلى دول الاردن والسعودية والعراق وليبيا وجزء من اليمن.. والى كتابه هذه السطور، بداية مارس، كان قطاع الاعلانات قد انتهى من تسويق فوازير عمر فؤاد بحيث باعها بمائه الف جنيه بالاضافة الى خمسة عشر الفا قيمة الجوائز التى ستمنح للفائزين بها.. أما بقية الاتفاقات التسويقية لفوازير (نيللى) والف ليلة وكل البرامج التى ستمنح جوائز فمفتوحة حتى اللحظة الاخيرة..

جديد ١٩٩٠ ... ولكن

هل يعنى ماسبق .. أن كل مانراه على الشاشة الصغيرة فى رمضان، هذا العام، مقدر ومكتوب منذ سنوات؟ وأنه ليس هناك مجال للجديد إلا من خلال الاعلانات بعد أن حفظ المشاهدون مقدما أحداث (ليالى الحلمية) . مثلا من كثرة كتابه قصتها فى الصحافة وحديث نجومها عن ادوارهم؟ كذلك الامر بالنسبة (للفوازير) و(الف ليلة) وبالطبع (رأفت الهجان).. الاجابة.. لا .. وحتى نكون منصفين فهناك الجديد ضمن هذا الكم الهائل من المتابعة الاعلامية لنشاط التليفزيون والاذاعة فى رمضان..

أولها المبدعون الجدد ونقصد بهما مخرجين .. ممدوح مراد وجمال عبد الحميد، اللذين حصلا على الفرصة الكبرى بسبب رحيل مبدع كبير هو المخرج فهمى عبد الحميد، لقد قدم ممدوح مراد، برغم ندرة فرص العمل التي اتيحت له فى التليفزيون (وهو ابن من ابنائه) أفضل مستوى للدراما التاريخية الدينية في مصر من خلال الجزء الثالث من مسلسل (لاإله إلا الله) الذى كانت تكتبه أمينة الصاوى قبل رحيلها. وهو الجزء الذى قدم قصة (آخناتون) صاحب عقيدة التوحيد قبل الاديان السماوية، وهو مخرج من فصيلة المطاريد، أى المطرودين من جنه التليفزيون إلى القطاع الخاص حيث يعرفون قدره، ويطلبونه دائما للعمل فى المسلسلات ذات الانتاج الكبير لتميزه فيها ولقدرته على فهم متطلبات الاعمال التاريخية وتحريك المجموعات. أما (جمال عبد الحميد) الذى بدأ مونتيرا عام ١٩٦٩ بالتليفزيون ثم اتجه إلى الاستعراض فى فيلمين للتليفزيون (آخر شقاوة) و(شقاوة كلاب)، فقد جرب قدراته فى اشكال أخرى مثل الادعية الدينية لعبد الحليم حافظ، وللشيخ النقشبندى، ولم تتح له الفرص بعدها ليتقدم من خلال اعمال كاملة فاتجه إلى نوعيات أخرى مقدمات البرامج والمسلسلات ليحقق فيها نجاحاً رائعا مستخدما الاضواء، والظلال والتحريك والحيل مثل مقدمات (ابو العلا البشرى) ،(سنوات الضحك والدموع) و(رأفت الهجان) فى جزئها الاول، بعدها أتجه للاعلانات أيضا بحثا عن كسر ايقاع الجمود والاساليب المكررة..

أيضا فإن رحيل الفنان عادل انور رئيس قسم التحريك سيتيح الفرص بالتأكيد لمبدعين آخرين فى هذا القسم ربما لم يعلن عن اعمالهم.. ولم ترصد اعلاميا لكن هكذا هى الفرصة فى بلادنا.. لابد أن تأتى على انقاض الآخرين، وليس من خلال حوار الاجيال وتعاونها وتكاملها.

الفوازير بالانجليزية ... والجوائز... اوربية امريكية

ومن اغرب الجديد أيضا فى رمضان ١٩٩٠، دخول الفوازير الرمضانية عالم اللغات الأخرى من خلال البرنامج الاوربى الذى ذكرت جريدة الاخبار يوم ٣/١١ الماضى أنه سيقدم لأول مرة فى رمضان فوازير باللغة الانجليزية، للنجوم أيضا، بعنوان (نجم وسؤال) عقب الافطار مباشرة، ويستضيف فيها نجوم الفن- الادب- والصحافة فى حديث عن ذكرياتهم فى رمضان وفى نهاية الحلقة سؤال عن الانجازات والآثار المصرية- جميل- ولكن، جوائز الفائزين عبارة عن مجموعات من شرائط الكاسيت لاحدث الاغانى الصادرة مؤخرا فى انجلترا والولايات المتحدة.. (الخبر يذكر الضيوف المقترحين وكلهم نجوم ونجمات سينما).

مائدة رجال الاعمال.... والحل

مائدة رجال الاعمال.. هو اسم برنامج من جديد ١٩٩٠، تقدمه نادية صالح بعد الافطار مباشرة كل يوم فى البرنامج العام.. وبالطبع فهو سيقدم لنا فى كل حلقة رجلا من رجال الاعمال، وواحدا من المسئولين فى حوار لمحاولة الوصول إلى المعادلة التى تحقق الرفاهية الاقتصادية أو حل لازماتنا فى مصر.. وليست الكلمات السابقة من عندى ولكنها فعلا للخبر الذى نشرته مجلة الاذاعة والتليفزيون (/ ١٩٩٠) ضمن العديد من البرامج، وللامانة



فعديد من برامج الاذاعة تصل إلى المسئولين، وأحيانا تحرجهم بسؤال أو اثنين، ولكنها دائما تعرف كيف ترفع عنهم الحرج، وفى الوقت المناسب، ويحسب رغبة الضيف. ولكن، ربما يكون جديد هذا العام - فى اذاعة البرنامج العام - هو برنامج يلتفت الى المواطن، هكذا قرأت عنه ! ولنتحلى بحسن النوايا). اسمه (يوميات مواطن) تقدمة مشيرة كامل، وهو شكوى بالرجل، وأجابة المسئول عنها.. أما لماذا يشكو المواطن بالرجل وليس بالمفتشر كما تعرف جميعا عنه.. ولماذا يكون هناك مسئول واقف على الباب دائما حتى يفند الشكوى أولا بأول.. فهذا لغز قد نعلمه عن البرنامج..

أخيرا.. لقد نمن مجمل هذا الموضوع عن «رمضان» رصد ماحدث ويحدث على مدى سنوات طوال (ولايعنى هذا اتهاما بالجمود أو العجز عن الابتكار)، ثم قدمنا رصدا للجديد، ليس كله وأنما أكثره طرافة وتميزا، والذى يؤكد على أنه لاشئ جديد تحت الشمس حقيقة، وأنما الجديد هو وضوح الرؤى لبعض ما يساهم فى جعل هذا المجتمع أقل تجانسا، وتماسكا.. فمن ابتغاء الحلول لأزماتنا الاقتصادية من خلال (مائدة رجال الاعمال) إلى المطالبة (بعودة الكتاتيب لممارسة دورها فى الامية ونشر مبادئ الدين الاسلامى) من خلال سهرة ليلة الرؤيا التى قدمتها القناة الاولى لليلة الرؤيا.. من هذا لذاك يتضح مدى الصعوبة التى تواجهنا جميعا فى بناء ثقافة موحدة لبلادنا، واذا كان وزير الاعلام صفوت الشريف قد تبنى الدعوة لعقد مؤتمر قومى للثقافة قبل نهاية عام ١٩٩٠ اثناء محاضرته له ضمن ندوة (نحو رؤية مصرية لاهداف العقد العالمى للتنمية الثقافية) التى عقدت من ٢٠ - ٢٢ يناير، واذا كان الوزير يرى دعوته لمؤتمر قومى للثقافة بلورة للاستراتيجية الاعلامية و(سوف يتبلور المشروع القومى الذى يمكن أن يكون له دور فى تعبئة روح الامة وحفزها إلى تنمية شاملة وموصولة) فإننا ننتظر بفارغ الصبر هذا الموعد لنرى .. كيف سيضع الوزير عربة التنمية الشاملة فى صحبة حصان التليفزيون.

ماجده موريس

عنصر تحريم الحلال بقية

الله». أما الفن الثانى، وهو الموسيقى، فهو ايضا فن بالغ التجريد فيمكن أن يفهم منه المستمع مايشاء. ويسمح اذا استبعدنا عنصر الغناء منه باستئصال الجانب الانسانى فيه تماما. ولكن فن الموسيقى يثير مشكلة من نوع آخر وهى أنه اذا أراد المؤلفان أن يعرّفا الطالب ببعض الأمثلة من روائع الموسيقى العربية أو العالمية، تشجيعا له على الاستماع اليها، فان كل مثال تقريبا قد يثير قضية الحرام والحلال. فزكريا أحمد مثلا، حتى لو وجدت له أغنية لاتتعلق بعلاقات إنسانية، كأغنية «الورد جميل» مثلا، اقترن فى الأذهان بأم كلثوم، وأم كلثوم تمثل مشكلة فى حد ذاتها تتصل بالحرام والحلال. والموسيقيون الأوربيون، كبيتهوفن أو موزار، يستدعون الى الاذهان مجتمعات تثير بدورها بشدة مشكلة الحرام والحلال، ومن ثم يحسن تجنب الاشارة اليهم. لهذا انتهى المؤلفان إلى اختيار ثلاثة أمثلة من روائع الموسيقى المصرية، وإن كنت لم أسمع بأسماء مؤلفيها من قبل، وهم يتمتعون بنفس الدرجة من الشهرة التى يتمتع بها الشاعران سابقا الذكر، محمد رشاد يوسف وعمر عسل. هذه الروائع الموسيقية الثلاث هى: قطعة موسيقية من تأليف شخص يدعى رفعت جرانة تصور فيها معركة ٦ أكتوبر، وقطعة موسيقية من تأليف يوسف جريس اسمها «النيل والوردة». أما الثالثة فان اختيارها يعتبر سقطة لايمكن اغتفارها للمؤلفين، ولا أشك فى أن الوزارة ستنتبه لها عاجلا أو اجلا، ذلك أن اسمها اوبرا «عنتره» وصفها الكتاب بأنها تصور «القصة الشهيرة لحُب عنترة العبسى لابنة عمه عبلة». فعلى الرغم من أن عبلة هى بنت عم عنترة، فان العبارة «تتنافى مع مقتضيات التربية والتعليم» كما حددتها الوزارة مؤخرا، ومن ثم يجب حذفها فى الطبعة الجديدة، ليس من المجدى بعد هذا أن يأتى المؤلفان فى القسم المعنون«العلم والتقدم» فيوردان موضوعا عن الحاسب الآلى وآخرا عن الصاروخ، فقد عرفنا مما تقدم نوع الانسان الذى تعده وزارة التعليم لاستخدام الحاسب الآلى وركوب الصاروخ.

هذه هى إذن حدود الحلال والحرام، ومفهوم الفضيلة عند وزارة التعليم فى عقد التسعينات، فإذا كان هذا هو مايسمى «بالصحوة الاسلامية» فانى إذن والله لا أدرى ماهى الغفلة، واذا كان هذا هو الذى يعدنا للقرن الحادى والعشرين، فانى لا أدرى ما الذى يمكن أن يعود بنا الى القرن الحادى عشر أو الثانى عشر، واذا كانت هذه هى طريقتنا فى تعليم النشئ حتى يستطيعوا مواجهة التوسع الاسرائيلى أو الوحدة الأوربية، فلاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم.

د. جلال أمين



إجتماع جائع ..!

أتيتُ الشام، أحمل قرط بغداد السبيّة
بين أيدى الفرس.. والغلمان
مجروحا على فرسٍ من النسبِ
قصدتُ المسجد الأموىّ،
لم أعثر على أحدٍ من العربِ
فقلتُ أرى «يزيدَ» لعله ندِمَ على قتل الحسين
وجدته ثملاً،
وجيشُ الروم فى حلبِ
فرشت كرامتى البيضاء فى خمّارة الليل،
طويت الشجى، وقرأت فاتحةً على الشهداء
بالعبرية الفصحى.
نضحَ الحانُ بالأفخاذ، والطربِ
خرجتُ إلى الضحى متلفتا، حذِراً
فألفيتُ العمائمَ،
آيةُ الكرسىّ تعلوها بتنقيطٍ من الذهبِ
صرخت بحانة الفقراء.. خلف مخيمِّ اليرموكِ:
- يدعوكم «أبوذرّ»
إلى عقد اجتماعٍ جائعٍ لتدارس الأوضاع!

«مُظفّر النواب»